المشرق

السنة الثامنة والخمسون

تموز-تشرين الأول ١٩٦٤

نصارى غسان والسريان

بقلم الخوري اسحق ارملة (✝)

ابقت لنا الصحف السريانية الثمينة شذرات جمة من اخبار بني « جفنة » الغسانيين تؤيد تدينهم بالنصرانية ثم انحيازهم الى السريان المنوفيزيتيّين ومدافعتهم عن بطاركتهم واساقفتهم ورهبانهم. وتشير الى ما شادوه من الأديار والكنائس في الاراضي التي انتزحوا اليها واستعمروها. وتنبئ بما كان لملوكهم او بطارقتهم وأمرائهم من المنزلة والنفوذ في بلاط قياصرة قسطنطينية. فرأينا ان نُطرف قراء المشرق الاغر بشيء من ذلك مستندين في ما نكتبه الى مؤرخي السريان المشاهير بدءاً من يوحنا الآمدي اسقف آسيا في القرن السادس حتى المفريان غريغوريوس ابن العبري في القرن الثالث عشر قاسمين الكلام قسمين نثبت في الاول اخبار الغسانيين الدينية وفي الثاني اخبارهم السياسية.

القسم الاول

أخبـــار غـسان الدينية

١ — من هم الغسانيون ؟

الغسانيون او الغساسنة قبيلة كبيرة من قبائل العرب تتحدر فيما قيل من كهلان بن سبأ . غادرت اليمن وطنها الاصلي على اثر حدوث سيل العرم نحو السنة ١٢٠ للميلاد واقبلت الى بادية دمشق الشام وحلت محل بني سليح اليمنيين فاستوطنت صحارى البلقاء والصفا وحوران وبرية سوريا وجعلت الجابية في جولان عاصمة لها . واتخذ فريق من أمرائها مدينة الرصافة على شاطئ الفرات مركزًا لهم . وكانت تلك البلاد في عهد مضى ملكاً للسريان الآراميين معروفة بدولة « باشان » او « باسان » في جملتها جَبل الدروز[1]

٢ — حدود بلاد غسان

كانت حدود الاراضي الغسانية شرقاً بادية سوريا والفرات . وغرباً غور الاردن . وشمالاً سهول دمشق وحلب . وجنوباً جبل جلعاد . وكانت جلعاد الحد الفاصل بين بلاد آرام وبلاد العرب وعند ذلك الجبل تمّ اتفاق يعقوب أبي الاسباط وخاله لابان الآرامي السرياني فنصبا كومة الشهادة وسماها لابان : « ܝܓܪ ܣܗܕܘܬܐ » بلغته السريانية وسماها يعقوب « جلعاد » بلغته العبرية[2] .

فالى هذه الاراضي الخصيبة انترح الغسانيون العرب فاستطابوا مروجها ورياضها واستحلوا مزارعها وغزارة مياهها واتخذوها مقرًا لهم ولمواشيهم وامتزجوا باهالي البلاد الاصليين واتقنوا لغتهم الآرامية السريانية القريبة من لغتهم العربية . وبتوالي الاحقاب اتسعت دائرة مملكتهم حتى بلغت الرصافـة عند الفرات الغربية[3] . غير ان عددهم لم يتغلب بتة على العنصر السرياني الاصلي في بلاد سوريا بل بقي السهم المعلى فيها للاراميين السريانيين[4]

٣ — اصل لفظ غسان

لم يتعرض احد فيما نعهد للتدقيق عن اصل لفظ « غسان » وعن حقيقة

(١) تاريخ لبنان : للاب مرتين اليسوعي ٣٦٠—٣٦٢ .
(٢) تكوين ٣١ : ٢٤ .
(٣) تاريخ الرهاوي : طبع البطريرك افرام رحماني ٨٠ : ١٣٢ .
(٤) المشرق ٣ : ١٩٠٠ : ٢٦٨و ٢٧٣ وبجلة دمشق د : ١٩١١ : ٣٥٧—٣٦٠ .

معناه . فقد روى غير واحد من المؤرخين ان الغساسنة بعد انتزاحهم عن اليمن نزلوا على ماء يقال له « غسان » وصبروه شربهم فسموا باسمه « غسان » [١] . وهذا لفظ غسان ليس عربياً . لان « غَسَنَ » العربي معناه « مضغ » والغسان معناه « حدّة الشباب » . والغاني معناه « الجميل جداً » [٢] . فاللفظ اذاً آرامي سرياني . ولنا في تخريجه مذهبان : الاول انه مشتق من فعل (ܓܫܐ غسا) بمعنى فاض الماء ومصدره « ܓܫܢܐ غسيان » بمعنى الفيضان . والثاني قد يكون غسان تحريف « بَسَّان » بالباء بدلاً من الغين . ومن المعلوم ان العرب اليمنيين بقدومهم الى بادية دمشق نزلوا في ارض بَسَّان التي كانت ملكاً للاراميين . وقد ورد لفظ بَسَّان نحو ٦٠ مرة في الكتاب الكريم وأطلق على الصحراء التي احتلها الغسانيون . وهو في العبرية בשן يَشَن وفي السريانية ܒܬܢ بيشان بالشين . فنقله اليونان وغيرهم الى لغاتهم فصار Basin بقلب الشين سيناً لخلو تلك اللغات من حرف الشين . ثم ان قلب الباء العبرية والسريانية غيناً في لفظ « بسان » قد يكون إما لتشابه حرفي الباء والجيم في كلتا اللغتين او ان العرب أنفسهم حرّفوا اللفظ كما حرفوا الفاظاً جمّة نقلوها عن اللغات العجمية . فالخلاصة ان لفظ « غسان » ليس عربياً بتة لكنه آرامي سرياني قد يكون من فعل « غسا » او تحريف « بسان » .

٤ — امراء غسان

ازداد عدد الغسانيين في بادية سوريا على كرور الاحقاب وقويت شوكتهم فلم يرَ القياصرة الا ان يعقدوا لكبيرهم او شيخهم الولاية على تلك الاطراف ليردوا عن اراضي مملكتهم خصوصاً غارات العرب المناذرة عمّال الدولة الفارسية . واطلقوا على ذلك الشيخ لقب « امير » او « بطريق » او « ملك » وفوضوا اليه ادارة بني قومه على مبلغ معلوم يؤديه لهم . وتسلسلت تلك الامارة فيهم تسلسلاً متواصلاً منذ القرن الثالث للميلاد حتى القرن السابع . وعُرفوا اولا باسم آل جفنة ܓܦܢܐ [٣] تيمناً باسم قائدهم الاكبر الذي جاء بهم عام ٢٠٥ م الى بادية سوريا وتولى شؤونهم حتى السنة ٢٤٨ م وخلفه ابنه عمرو فابنه ثعلبة فالحارث الاول فابنه جَبَلَة الاول فابنه الحارث الثاني ثم قامت بعده زوجته الاميرة معاوية او ماويا عام ٣٧٣ فانتشرت النصرانية في عهدها بين العرب انتشاراً عظيماً .

(١) مجاني الادب : للاب لويس شيخو ٣ : ٣١٢ نقلا عن حمزة الاصبهاني .
(٢) اقرب الموارد : لسعيد الشرتوني : صفحة ٨٧٣ .
(٣) تاريخ الرهاوي : ٨٠ : ١٣٢ .

٥ ــ الاميرة معاوية النصرانية

اشتهرت هذه الاميرة النبيلة في عهد والنس قيصر (٣٦٤ـ٣٧٩) ودافعت بكل قواها عن الدين المسيحي فأحرزت ذكرى مجيدة أثبتها مؤرخو السريان وغيرهم في ما خلفوه من الاخبار الصحيحة. قال ميخائيل الكبير (١١٦٧ـ١٢٠٠) مـا تعريبه :

« كلف الحارث ملك العرب بجمال معاوية النصرانية الرومية فتزوجها . وعلى اثر وفاته خلفته في العرش الملكي واخذت تعنّت من في مملكتها من النصارى الروم وتضطرهم الى ما يصعب عليهم اداؤه . ثم كتبت الى والنس قيصر المتحزّب للاريوسيين تسأله ان يرخص في اقامة الراهب موسى اسقفاً للنصارى العرب والا فانها تتمادى في الضغط على الروم . فلما برّ القيصر الا النزول عند طلبها لكنه قرر ان يتولى « السيامة » اسقفٌ اريوسي . غير ان الراهب موسى لم يرضَ ان يقبل « السيامة » الا بوضع يد اسقف ارثوذكسي فتم له ذلك بهمة معاوية الملكة وتقلد الرئاسة الاسقفية وعاد الى بلاده فانضم الى النصرانية على يده جماهير غفيرة من العرب تساعده الملكة المؤمنة في جهاده المقدس بكل استطاعتها (١

وكان ذلك مدعاة الى عقد الاتفاق بين الروم والعرب وانضمام العرب الى الدين المسيحي[٢] .

٦ ــ سلسلة الامراء الغسانيين

أطلق القدماء على امراء غسّان تارةً اسم « جفنة » وطوراً اسم « الحارث » كما اطلقوا اسم « ابجر » على ملوك الرها واسم « ارشاق » على ملوك فرثيا. فاشكل من ثم على ثقات المؤرخين ضبط أسمائهم وسنيّ أمارتهم ووفاتهم . على ان بعض المستشرقين دققوا وعمقوا كثيراً في درس أخبار اولئك الأمراء حتى توصلوا الى انشاء سلسلة لهم لا بأس من سردها على علاتها كما يلي :

اوّل من تولى إمارة غسان كما ألمعنا هو جفنة (٢٠٥ــ٢٤٨ م) وخلفه ابنه عمرو (٢٤٨ــ٣٠٠) ثم قام ابنه ثعلبة (٣٠٠ــ٣٠٣) فقلده قياصرة الروم الإمارة على سكان بادية الشام وحوران . وتولى الإمارة بعده الحارث الاول (٣٠٣ــ٣٣٠) وخلفه ابنه جبَلة الاول (٣٣٠ــ٣٦٠) فجاهر بالنصرانية ونهج نهجه خلق كثير . وتولى بعده ابنه الحارث الثاني (٣٦٠ــ٣٧٣) وعلى أثر وفاته أفضت الامارة الى زوجته معاوية (٣٧٣ــ٣٨٠) فانتشرت النصرانية في غسان بجهودها ونفوذهـا .

(١) تاريخ ميخائيل الكبير : طبع الاب شابو في باريس : صفحة ٢٥١ من الاصل السرياني .

(٢) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري : طبع الاب بولس بيجان في باريس : صفحة ٦٥ و٦٦ .

وبعد الملكة معاوية قام بالإمارة الغسانية المنذر الاول فالنعمان الاول فجبَلة الثاني فأيهُم الاول فعُمرو الثاني . وقد استغرقت إمارتهم زهاء ٤٠ سنة (٣٨٠–٤٢٠) . وبعد هؤلاء الأمراء الخمسة تولى جفنة الثالث فالنعمان الثاني فالنعمان الثالث فالنعمان الرابع فالحارث الثالث فالنعمان الخامس(٤٢٠–٤٩٠). ونهض بالامارة بعد هؤلاء الستة المنذر الثاني فعمرو الثالث فحجر الاول فأبو شمّر وهو الحارث الرابع فجبلة الثالث . وقد ساسوا العرب الغسانيين ٣٩ سنة (٤٩٠–٥٢٩) . ومالوا الى عقيدة السريان المنوفيزيتيين القائلين بالطبيعة الواحدة .

وتقلد الإمارة عام ٥٢٩ الحارث الخامس ابن جبلة الثالث حتى السنة ٥٦٥ وولي بعده ابنه المنذر الثالث (٥٦٥–٥٨٠) وخلفه الحارث السادس الاصغر ويقال له جبَلة الرابع (٥٨٠–٥٨٧) وجلس بعده عمرو الرابع (٥٨٧–٥٩٧).

وفي السنة ٥٩٧ افضت الإمارة الى النعمان السادس حتى السنة ٦٠٠ واشتهر اسمه باني جفنة او ابي كرب [١] . وقام بعده حجر الثاني فعمرو الخامس (٦٠٠–٦١٥) فالحارث السابع وشراحيل وأيهم الثاني والمنذر الرابع (٦١٥–٦٣٠) ثم عمرو السادس وجبلة الخامس وجبلة السادس (٦٣٠–٦٣٧) وهو آخر الامراء الغسانيين [٢] وسيأتيك تفصيل اخبار بعضهم في هذا المقال . ويُستخلص من هذه السلسلة ان الإمارة الغسانية استغرقت ٤٣٢ سنة بدؤها السنة ٢٠٥ ونهايتها السنة ٦٣٧ .

٧ – اساقفة غسان الارثوذكسيون

اوّل من تولى اسقفية غسان هو الاسقف موسى السابق الذكر . وجاء في قيود المجمع النيقاوي المسكوني الاول عام ٣٢٥ اسماء ستة من اساقفة البلاد العربية بينهم اساقفة بصرى وفيلدلفيا وحشبون . وقنوات وتدمر [٣] .

وحضر المجمع القسطنطيني المسكوني الاول عام ٣٨١ اسقفان من بلاد غسان هما : اسقف ادرع ، واسقف السويداء [٤] .

اما المجمع الخلقيدوني المسكوني فقد حضره ٦٣٦ اسقفاً عام ٤٥١ منهم اساقفة مطرانية بصرى حاضرة حوران وهي سادس مطرانيات الكرسي الانطاكي . وكان يخضع لها ١٩ اسقفاً حضر منهم المجمع المشار اليه احد عشر اسقفاً [٥] .

(١) مخطوطة المتحف البريطاني السريانية رقم ٥٨٥ .
(٢) شرح مجاني الادب : للاب لويس شيخو : مجلد ١ صفحة ٥١٢ .
(٣) مخطوطة دير الشرفة ٤–٧ صفحة ٨٣ من الفهرس .
(٤) ميخائيل الكبير ١٦٠ .
(٥) ميخائيل الكبير ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٠ ومجلة الآثار الشرقية : السنة الاولى : صفحة ٣٠٠ الخ .

٨ – اساقفة غسان المنوفيزيتيون الاولون

ما كادت تنتشر عقيدة المجمع الخلقيدوني المقدّس في تأييد الطبيعتين الالهية والانسانية بالسيد المسيح عزّ شأنه حتى راح يناهضها فريق من اساقفة السريان ولا سيما في ابرشيات غسان العامرة . فقد تشبّثوا كل التشبّث بعقيدة الطبيعة الواحدة اعني المنوفيزيتية وحامى عنها أمراؤهم بكل مكنتهم ونفوذهم . واليك اسماء من اتصلت بنا معرفتهم من اولئك الاساقفة وابرشياتهم :

يوحنا اسقف الرهبان العرب في حوّارين . توما يبرود . ايسيدور قنسرين . توما قرقيسيا . فولا الرقة . وقس عليهم بطرس اسقف قبيلة معدّ وفالغ اسقف المناذرة [١] . فهؤلاء وخلفاؤهم من بعدهم استرسلوا في التعصب لمقالة الطبيعة الواحدة أحقاباً طويلة .

٩ – الحارث الخامس (٥٢٩–٥٦٥) وافرام الاول بطريرك انطاكية (٥٢٦–٥٤٥)

فاق الحارث الخامس سائر أمراء غسان أسلافه وخلفائه في غلوّه بالمذهب المنوفيزيتي ومناضلته عن القائلين به . ذلك ما حمل يسطنيان قيصر (٥٢٧–٥٦٥) ان يكتب الى افرام الاول البطريرك الانطاكي ليقصد بلاد غسان ويواجه الحارث ويحادثه في العدول عن رأيه والخضوع لعقيدة المجمع الخلقيدوني [٢] .

لبّى البطريرك طلب القيصر وارتحل في بعض حاشيته الى غسان واجتمع بالحارث الخامس وجرت بينهما مناقشة لم تتجاوز معقول الامير ومفهومه . فلم ينجح البطريرك في رسالته . وبعد هذا وجّه البطريرك افرام الى آمد (دياربكر) وطنه جنوداً قصدوا دير مار ماما وكان ديراً عظيماً غاصاً بالرهبان فتهدّدوا رهبانه واضطرّوهم قاطبة أن يتبعوا عقيدة المجمع الخلقيدوني فرفضوا كل الرفض وهجروا ديرهم الكبير وتفرقوا شذر مذر في جنوبي آمد وبراري غسان [٣] التي كانت حافلة بالاديار .

١٠ – الحارث الخامس ويعقوب البرادعي مطران الرها (٥٤٥–٥٧٨)

أعرب الحارث الخامس عن جزيل اعتباره ليعقوب البرادعي وعن ثقته بتقواه . قال يوحنا اسقف اسيا ما خلاصته :

(١) ميخائيل الكبير ٢٦٦ .
(٢) ميخائيل الكبير ٢٧٤ و ٢٧٩ و ٢٨٣ و ٢٨٨ و ٣١٠ .
(٣) يوحنا اسقف اسيا خبر ٣٥ صفحة ٦٢١ .

« ولد يعقوب ابن القسيس تئوفيل بن معنو في مدينة تلّ موزل[١] . وترهب في دير فسيلتا المجاور لها . واشتهر أمره في بلاط الحارث بن جبَلة . فانطلق اليه الحارث في فريق من ارباب دولته ليسأله ان يبتهل الى الله القدير كي ينقذ الغسانيين من وباء قتّال كاد ينتك بهم أجمع فتكاً ذريعاً . وحمل اليه شيئاً من الذهب والتقادم .

شعر يعقوب بقدوم الحارث فسبق وعبر الفرات ولاقاه وقال له : ما لك شككتَ في موهبة الله عزّ وجل ؟ ارجع الى بيتك والى أرضك انت وارباب دولتك واطلق سبيل ذلك الراهب الورع القادم من جبل سيناء الى غسان وقد قبض عليه جنودك . فاذا اطلقته زال الوباء عن غسان . فعاد الحارث في رجاله واكمل مشورة يعقوب فاضمحلّ ذلك الوباء عن شعبه .

ثم توجه الراهب يعقوب البرادعي مع سرجيس ابن وطنه الى قسطنطينية . فرحبت بهما ثئودورا السريانية المنبجية زوجة يسطنيان قيصر . ولما بلغ خبرهما مسمع الحارث ارتحل الى العاصمة واتفق مع فريق من الآباء فسألوا الملكة ثئودورا ان تأذن لهم لينصبوا اسقفين او ثلاثة للجماعات المنوفيزيتية في سوريا اذ لم يكن فيها يومئذ سوى ثلاثة اساقفة : احدهم في جبل ماردين وثانيهم في بلاد فارس وثالثهم في الاسكندريـــه . فلبت الملكة طلبهم وطلب الحارث وسألت ثئودوسيوس بطريرك الاسكندرية فوضع اليد على يعقوب البرادعي وعلى زميله ثئودور فرقّى الاول الى كرسي مطرانية الرها والثاني الى كرسي مطرانية بصرى والقبائل العربية وفلسطين سوى اورشليم »[٢] .

وجعل المطران يعقوب ينصب اساقفة لمدن سوريا وغيرها كطرطوس وسلوقيا واللاذقية وقنسرين . ثم وضع اليد على الراهب سرجيس ابن وطنه المذكور آنفاً ورقّاه عام ٥٣٨ الى الرتبة البطريركية وهو ثاني بطاركة السريان الانطاكيين القائلين بالطبيعة الواحدة . وبعد ثلاثة اعوام رقّى يعقوب الى الرتبة عينها فولا الاسكندري وهو ثالث بطاركتهم . والخلاصة ان يعقوب هذا نصب ٨٩ اسقفاً وبطريركَين ومائة الف كاهن حتى ملأ بلاد سوريا من الاساقفة والشمامسة الذاهبين مذهبه[٣] . وأمست قبيلة غسان برمتها تابعة له تنفر كل النفور من النصارى القائلين بعقيدة المجمع الخلقيدوني حتى انها لم تكن ترضى ان تشاركهم في أكل الخبز . ولهذا السبب دُعي المنوفيزيتيون « يعاقبة » نسبةً الى يعقوب البرادعي المذكور[٤] .

١١ — توسط المنذر الثالث في تسوية النزاع بين بطريرك السريان الانطاكي وبطريرك الاقباط الاسكندري

على اثر وفاة سرجيس بطريرك السريان المذكور آنفاً نصب المطران يعقوب

(١) تل موزل : مدينة قديمة بين ماردين والرها تعرف اليوم باسم « ديران شهر » .
(٢) اخبار يوحنا اسقف اسيا : طبعة لاند : خبر ٤٩و٥٠ : صفحة ٢٥٤ .
(٣) فيه ٣٦٤ و ٣٧١ و ٣٧٦ .
(٤) تاريخ ابن العبري البيعي : جزء اول : في كلامه عن البطريرك سرجيس

البرادعي فولا الاسكندري بطريركاً لانطاكية (٥٤١–٥٧١) . وما مرّ القليل على بطريركيته حتى حاول التخطّي من الكرسي الانطاكي الى الكرسي الاسكندري وكان اهل الاسكندرية مصمّمين ان ينتخبوا لذلك الكرسي اثناسيوس حنيد ثئودورا الملكة . فكتب البطريرك فولا توصلاً الى مأربه رسائل لذع وقدح في حق اثناسيوس استفظعها الاسكندريون ورفعوا عليه الشكاوى مدّعين أن ترقيته الى الكرسي الانطاكي لم تكن قانونية ولم يوافق عليها اساقفة الابرشيات السريانية جمعاء وأيدوا دعواهم بحجج صادعة رفعوها الى اثناسيوس المذكور وهذا بدوره عرضها على القيصر. فسخط على فولا اي سخط وبلغ النزاع مبلغه وظل الخصام قائماً مدة ثلاث سنوات على قدم وساق ريثما توسط المنذر الثالث (٥٦٥–٥٨٠) لدى المطران يعقوب البرادعي فأقرّه في الكرسي الانطاكي. لكنه عاد فحرمه مجاراةً لاهل الاسكندرية وبعث ثلاثة اساقفة الى سوريا ليذيعوا الحرم عليه في البلاد . فاضطر البطريرك فولا ان يتوجه الى قسطنطينية وينزوي في احد الديورة . واتفق ان توفي يعقوب البرادعي عام ٥٧٨ في الاسكندرية فانتهز الفرصة دميان بطريرك القبط وقدم الى انطاكية في اسقفين من اساقفته يحاول ان ينصب للسريان بطريركاً ثانياً بدلاً من البطريرك فولا . لكنه فشل في مهمته وانطلق الى قسطنطينية لعله يتمكن من تنفيذ أربه .

وكان المنذر الغساني يومئذ في العاصمة فجعل يعنّف البطريرك دميان على فعلته الذميمة الشاذّة ويشير عليه ان يكفّ عن معاداة البطريرك فولا . فأقسم له البطريرك دميان في ازالة الخلاف وحسم النزاع . لكنه ما وصل الى الاسكندرية حتى جدد حنقه وتحامله على البطريرك السرياني فكتب اليه المنذر رسائل ذمّ وتقريع لم تؤثر فيه ولا في الاقباط الخاضعين له [1] .

ولما رأى اساقفة السريان ان لا سبيل الى رجوع البطريرك فولا على رغم ما تبادله الفريقان في ذلك من الرسائل [2] عقدوا مجمعاً في دير مار حنانيا بين بالس والرقة حيث كان النفوذ الغساني منتشراً . واصطفوا بطرس الرقيّ للكرسي الانطاكي وسلموا اليه عصا الرعاية عام ٥٧١ ووضع عليه يوسف مطران آمد وخدم البطريركية عشرين سنة .

ونسج المنذر الثالث على منوال ابيه الحارث الخامس في مناضلته عن السريان المنوفيزيتيين اينما كانوا . وكتب من الجملة الى طيباريوس قيصر (٥٧٨–٥٨٢)

(١) فيه : جزء ١ اخبار البطريرك فولا .

(٢) اشتملت مخطوطة لندن السريانية الموسومة بالرقم ٧٥٤ على ٤٤ رسالة تبودلت بين البطريرك فولا وأساقفة السريان المنوفيزيتيين .

والى غريغور بطريرك السريان الملكيين الانطاكي (٥٧٠–٥٩٣) في اعادة الصلح والسلام الى الكنائس وإطلاق الحرية لكل نصراني في قضاء فروضه الدينية كيفما شاء وحيثما شاء. قال ميخائيل الكبير:

« افرغ المنذر كل الجهد في مساعدة المنوفيزيتيين لانه كان منوفيزيتياً بحتاً مثلهم. اما البطريرك غريغور فلم يرضَ بعقد الصلح بل لم يسمح ان تقرأ رسالة الملك »[١].

١٢ — اساقفة غسان

لسنا نغالي ان صرحنا بان المنوفيزيتية ارتكزت في بيعة السريان على دعامتين هما: يعقوب البرادعي مطران الرها وثئودور مطران بصرى وعرب غسان السابق ذكرهما. وعلى تمادي الزمان انشأ السريان المنوفيزيتيون ست ابرشيات في غسان وهي: بصرى وأدرع وبيثونيا. ثم الرصافة وبالس وقنسرين وتدمر والعرب:

اولا — مطارنة بصرى وملحقاتها

اولهم ثئودور حليف يعقوب البرادعي ثم يوحنا صاحب النافور المعروف باسمه وبدؤه « ܐܠܗܐ ܗܘ ܡܗܘܒܐ ܘܝܗܘܒ يا ايها الاله الواهب المحبة »[٢]. ونصب البطريرك قرياقس (٧٩٣–٨١٧) لأدرع اسقفاً اسمه جورجي[٣] وكان مترهباً في احد اديار غسان. وتسلسل اساقفة السريان في حوران حتى القرن الحادي عشر.

ثانياً — مطارنة الرصافة

الرصافة واسمها القديم رَصَف (اشعيا ٣٧:١٢) عُدَّت الحادية عشرة في جملة المطرانيات الخاضعة للكرسي الانطاكي[٤] وكان تحت سلطتها البيعية خمس اسقفيات. وقد أطلق عليها اسم « سرجيوبوليس » تكريماً للشهيد سرجيس المشهور في عهد مكسيمنس قيصر (٣٠٨–٣١٣). وكان سرجيس من ابطال القوّاد في الجيش الروماني ومن المقربين في البلاط الملكي. وجهه القيصر الى الرصافة مع صديقه باخس وكتب الى انطيخس حاكمها ان يقنعهما في العدول عن عقيدتهما النصرانية والا فيفتك بهما. على ان القائدَين واجها الحاكم المذكور

---

(١) ميخائيل الكبير ٣٧١.
(٢) رينودوت ٢ : ٤٢.
(٣) نقلنا اسماء مطارنة غسان واساقفتها عن اللوائح الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير: صفحة ٧٥٢ ٧٦٨.
(٤) مجلة الآثار الشرقية: السنة الاولى ٣٤٥.

في بالس فأمر بتعذيب باخس اولاً وقتله . ثم مضى بسرجيس الى قرية « شورا » البعيدة ٩ اميال عن الرصافة وجعل يلح عليه ليضحي للوثن فأبى. فأمر انطيوخس بقطع هامته فانشقت الارض وأخفت دماءه . ولما خمدت نيران الاضطهاد ابتنى المؤمنون في الرصافة كنيسة فخمة تيمناً باسم سرجيس اجتمع الى تدشينها ١٥ اسقفاً من اطراف سوريا وما بين النهرين [١] .

وقد سبقنا فقلنا ان فريقاً من امراء غسان وفي جملتهم جفنة ابو كرب اتخذوا الرصافة حاضرةً لملكهم وكانوا يتممون فروضهم الدينية في بيعة مار سرجيس ويحجّونها مراراً ولا سيما وقت الطوارئ والنوازل والمعامع . والى ذلك يشير الاخطل بقولـــه :

لما رأونا والصليب طالعاً ومار سرجيس وموتاً ناقعاً
وابصروا راياتنا لوامعـــاً خلّوا لنا راذان والمزارع [٢]

وقال جرير يؤيد تعلق غسان بمار سرجيس واستشفاعهم به :

يستنصرون بمار سرجس وابنه بعد الصليب وما لهم من ناصر

اما مطارنة الرصافة السريانيون فنذكر منهم : ١ً — ملكيصادق . ٢ً — شمعون . وخلفها مطارنة سريانيون حتى القرن العاشر.

ثالثاً — اساقفة بالس

بالس أو بلش في السريانية مدينة من جند قنسرين ببلاد سوريا واقعة على شط الفرات الغربي . وهي اول مدن الشام من العراق وفي شرقيها الرقة . جعلها بطاركة السريان اسقفية فنصب لها البطريرك قرياقس اسقفاً اسمه ايونّيس وقام بعده اساقفة تسلسلوا حتى القرن الحادي عشر.

رابعاً — اساقفة قنسرين

قنسرين وفي السريانية قنشرين بالشين اي عش النسور كانت مدينة كبيرة وقاعدة كورة منها حلب . ثم ضعفت بقوة حلب وخربت حتى أمست قرية حقيرة في عهدنا . وابتنى السريان فيها اديارًا جمة أعظمها واشهرها دير يوحنا برافتونيا الذي تثقف فيه عدة رهبان ارتقوا الى المناصب البيعية العالية وصنفوا كتباً جمّة تستحق الاعتبار وهي وطن القديس ربولا مطران الرها (٤١٢—٤٣٥) الشهير . وقد جعلها بطاركة السريان كرسياً اسقفياً عرفنا من اساقفتها سويرا

(١) اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بولس بيجان ٣ : ٢٨٣.
(٢) ديوان الاخطل ٣٠٩ .

سابخت نحو السنة ٦٤٠ صاحب التصانيف النادرة . وتولى اسقفيتها حنينا وخلفه في كرسيها عدة اساقفة تباعاً حتى اواسط القرن العاشر.

خامساً — اساقفة تدمر

لم نعرف من اساقفة السريان في تدمر سوى اسقفين : احدهما شمعون في عهد البطريرك قرياقس وثانيهما يوحنا في عهد البطريرك ديونيسيوس التلمحري في القرن التاسع.

سادساً — اساقفة العرب

بهذا العنوان قرأنا في لائحة البطريرك ميخائيل الكبير اسماء بعض اساقفة سريان تولوا سياسة العرب النصارى . ونرجح انهم كانوا يرحلون مع ابناء ابرشيتهم ويقيمون لهم الفرائض الدينية تحت الخيام على مذابح منقولة . ويتسلسل اولئك الاساقفة حتى القرن الثاني عشر وعنوانهم في السريانية اساقفة ܛܝܝ̈ܐ العربية او ܥܡ̈ܡܐ الامم .

١٣ — اديار غسان

حفظت مخطوطة المتحف البريطاني السريانية ٤٤ رسالة [1] في جملتها رسالة رقمها ٢٣ عنوانها : « ܦܚܡܐ ܕܐܓܪܬܐ ܕܡܫܒܚ ܒܟܠ ܦܛܪܝܩܝܣ ܚܪܬ ܕܐܬܟܬܒܬ ܠܘܬ ܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܐܦܝܣܩܘܦܐ : نسخة رسالة البطريق الحارث المجيد التي كتبها الى المطران مار يعقوب » البرادعي . ومنها رسالة رقمها ٢٩ كتبها ٤٥ رئيساً من رؤساء أديار السريان اجتمعوا في ١٧ ايار ٥٦٧ م في دير مار بسّ او بسوس بقرية ابيتو المجاورة لانطاكية وتشاوروا في ما نُقل اليهم من أخبار العاصمة عن الامانة المنوفيزيتية وقد وقع عليها اولاً ماري رئيس دير مار بسّ ثم رئيس دير تل عدا الكبير ورئيس دير مار اوسيب في كفربرتا ورئيس دير مار يوحنا في زغبا الخ. الخ.

وفي المخطوطة عينها رسالة رقمها ٣١ وقعها ٥٨ رئيساً في دير مار بسّ بتاريخ ٣ كانون الثاني ٥٧١ م نذكر منها دير داود بقنسرين ودير تل عوقبرين ودير سرمدا ودير رومانا ودير العرب ودير نيرب الخ. الخ.

اخيراً ورد في تلك المخطوطة النفيسة عينها رسالة رقمها ٤١ عنوانها :

« ܐܓܪܬܐ ܕܐܬܟܬܒܬ ܡܢ ܪ̈ܝܫܢܐ ܕܕܝܪ̈ܐ ܕܥܪܒܝܐ ܠܘܬ ܐܦܝܣܩܘܦ̈ܐ ܐܪܬܕܘܟܣܘ . الرسالة التي انشأها رؤساء أديار العربية وبعثوا بها الى الاساقفة الارثوذكسين»

(١) مخطوطة لندن : رقم ١٤٥٧.

اعني السريان المنوفيزيتيين . وهذه الرسالة التاريخية الثمينة وقعها ١٢٤ رئيساً من رؤساء اديار سوريا الجنوبية الغربية بينهم ١٨ رئيساً سريانياً كتبوا اسماءهم باليونانية . اما البقية فوقعوا أسماءهم في السريانية . نذكر من تلك الاديار :

دير ايليا . دير ايوب . دير البرج الابيض . دير بيث ايلونا . دير بيث حاني . دير بيث يمن . دير تبنين . دير تالي . دير جفنة . دير جوبايا . دير حدثا . دير حنبون . دير السيدة مريم . دير داود . دير داريا الكبير . دير ريشايا . دير صفرين . دير العمود . دير علمات . دير عين جدي . دير فارين . دير قانيثا . دير كيفا . دير كفرجوزا . دير كفرحور . دير كفرزعورا . دير كفرسوسيا . دير كفرسوغا . دير كفركوسيثا . دير كفركومرا . دير متنا . دير نوسا . دير يونان . الخ . الخ .

واغلب اسماء تلك الاديار سريانية بحتة كما ترى . وهناك دير يقال له دير عوقبثا وقّع سرجيس رئيسه اسمه هكذا : « ܐܢܐ ܣܪܓܝܣ ܩܫܝܫܐ ܘܪܝܫ ܕܝܪܐ ܕܥܩܒܬܐ ܐܘܫܛܦܝܬ ܚܠܦ ܩܫܝܫܐ ܡܪܝ ܐܘܣܛܛ ܒܪ ܕܘܟܬܝ : ܗܘ ܩܫܝܫܐ ܕܥܕܬܐ ܕܦܛܪܝܩܝܘܣ ܡܢܕܪ ; أمضيتُ بدلاً من القس مار اوسطث نائبي . وهو قسيس بيعة البطريق المنذر المجيد المحب للمسيح » . وهو المنذر الثالث (٥٦٥–٥٨٠) ابن البطريق الحارث الخامس .

١٤ – مخطوطات السريان في غسان .

نختم هذا القسم بذكر أثرين سريانيين نفيسين نُسخا في غسان تضمن الاول شرح فم الذهب لانجيل متى الرسول نُسخ في القرن السادس . وهذا تعريب ما ورد فيه نقلاً عن الاصل السرياني :

« هذا الكتاب يخص دير زجل المجاور لتدمر . اهتم بنساخته شمعون رئيس الدير في عهد الاسقفين يعقوب (البرادعي) وثيودور (مطران بصرى) . نسأله تعالى ان يتعطف بدعائهما على الملك كَرِب(١ وعلى جميع اخوته ويهدي الضالين منهم الى معرفة الحق... نسخ سنة ٨٨٦ للاسكندر (٥٧٥ م) وهو يخص دير مار موسى المشيد في الجبل المدعو « القمة الكبرى » شرقي النبك بولاية دمشق . اجتهد في وضعه الاباتي مار جورجي اسقف تدمر . وهذا الاسقف تثقف في دير مار موسى الواقع في الجبل المدعو «القمة الكبرى» شرقي قرية النبك بعاملة دمشق كرسي المطرانية »(٢ .

اما الاثر الثاني فهو مخطوطة سريانية قديمة العهد تضمنت أخبار الرهبان والنساك ورد فيها ما تعريبه :

(١) هو النعمان السادس (٥٩٧–٦٠٠) المعروف بابي جفنة وأبي كرب كما مر في المتن .
(٢) مخطوطة لندن : رقم ٥٨٥ صفحة ٤٦٨ من الفهرس .

« هذا الكتاب يخص (بيعة) مار شعدون الحبيس بكورة بصرى . وهو ساكن في حدود متّن . نسخه سنة ٩١٥ لليونان (٦٠٤ م) . اما الكتاب فيخص الدير المقدس المؤسس على اسم الطوباوي مار شعدون ومار يوحنا الحبيس بجبل حجن شرقي قاسطرة متّن »(١).

فكل ما بسطناه من أخبار غسان الدينية يبرهن جلياً على انتشار السريان منذ القديم في سوريا الجنوبية الغربيـــة انتشارهم في سوريا الشرقية والغربية . ويصرّح بان الامراء الغسانيين كانوا من اقوى المدافعين عن العقيدة المنوفيزيتية ومن اكبر المحامين عن بطاركة السريان المنوفيزيتيين وعن اكليرسهم وكنائسهم وأديارهم .

القسم الثاني

اخبار غسان السياسية

قسم السريان نصارى العرب قسمين : الغساسنة والمناذرة . حالف اولهما قياصرة الروم وعاهد ثانيهما أكاسرة الفرس . وكانت الجولان او البلقاء حاضرةً للغساسنة والحيرة قاعدةً للمناذرة . وحصلت بين القبيلتين عدّة مناوشات ومعارك كانت الغلبة فيها تارةً لاولئك وحيناً لهؤلاء . واستمرّت الحروب بينهما حتى اواسط القرن السابع للميلاد فألقى أغلبهم السلاح والرماح وانحازوا الى الآراميين سكان سوريا الاصليين وغيرهم وتخلّقوا بأخلاقهم وتزيوا بأزيائهم . ومكث قوم منهم راسخين في العقيدة المنوفيزيتية حتى القرن الثالث عشر . واليك مجمل اخبار الامراء الغسانيين وقياصرة الروم :

١ – يسطنيان (٥٢٧–٥٦٥) والحارث الخامس (٥٢٩–٥٦٥)

في السنة ٥٥٤ للميلاد وهي السنة ٣٧ ليسطنيان و٢٥ للحارث أمير غسان زحف المنذر الثالث (٥١٣–٥٦٢) ابن النعمان من الحيرة في جيوشه الى بلاد الروم وعاث فيها وأتلف مزارعها . فركب اليه الحارث الغساني وبطش به في كورة قنسرين وشرّد رجّالته وخيّالته وارتجع اراضي الدولة الرومية وعاد الى حاضرته ظافراً منصوراً . فكبرت منزلته في عين القيصر وجاد عليه بالخلع الوافرة والتحف الثمينة . وتوفي في تلك الغضون نجل الحارث ودُفن بحضور أبيه في مقبرة عين عودايا المجاورة لقنسرين (٢) . وظلت عهود الولاء والإخلاص ثابتةً راسخةً بين يسطنيان والحارث حتى وفاتهما .

(١) مخطوطة لندن : رقم ٥٧٥ صفحة ٤٥٨ من الفهرس .
(٢) تاريخ الدول السرياني : لابن العبري ٨٩ – وتاريخ الرهاوي ٥٦ : ١٥ .

٢ – يسطينس الثاني (٥٦٥–٥٧٨) والمنذر الثالث (٥٦٥–٥٨٠)

وفي السنة الرابعة ليسطينس شدّ الفرس على نصيبين مدينة الحدود الفاصلة بين أراضي الدولتين الرومية والفارسية واحتلوها واحتلوا معها مدينة دارا القريبة منها ثم زحف قابوس ملك المناذرة (٥٦٩–٥٧٣) الى بلاد غسان وغزا مواشيهم وأفسد أراضيهم. فحشد المنذر الغساني عساكره وانصبّ على المناذرة وشتتهم وعاد الى بلاده في غنائم جمة وجمال وافرة. بيد ان قابوس كرّ على المنذر ثانية يريد إتلافه ولكنه انخذل في هذه المرة ايضاً وانقلب الى بلاده ليأتي بجنود جدد ويستأنف القتال مع غسان.

استدرك المنذر خديعة قابوس خصمه فكتب الى القيصر يطلب منه مالاً وذخيرةً ليوزّعها على جنوده ثم يهجم بهم على المناذرة ويكتسحهم. لكن يسطينس رفض طلب البطريق ونوى ان يفتك به زاعماً ان الفرس لا يطمعون باحتلال بلاد الروم الاّ لسببه. فأنتجت له نيته الخبيثة ان يكتب الى مرقيانا قائد جيشه – وكان يومئذ في نصيبين – ليحتال على قتل البطريق. فكتب اليه يقول:

«كتبنا الى المنذر في الشخوص اليك فاحتل عليه وخذ رأسه واكتب لنا».

ثم كتب الى المنذر يقول:

«امرنا مرقيانا القائد الا يُقدم على عمل يتعلق بمصلحته دون مشورتك. فصر اليه مع وصول كتابنا هذا اليك».

قال المؤرخ المنوفيزيتي:

«تعطّف الله جلت قدرته على شعبنا السرياني فأنقذ المليك المنذر من تلك الداهية الدهياء. وذلك ان كاتب القيصر بعدما نسخ الرسالتين في وقت واحد وختمهما كتب اسم المنذر سهواً على رسالة مرقيانا واسم مرقيانا على رسالة المنذر. وبوصول الرسالتين انكشفت الدسيسة وافتضحت الخديعة. فاضطر المنذر ان يأخذ حذره من القيصر وأحجم عن استئناف القتال وعقد الصلح مع العرب المناذرة. واتفق الغساسنة والمناذرة معاً على غزو بلاد الروم واتلاف مزارعهم. فغلب على ظن القيصر ان مرقيانا أفشى السر فاستشاط غيظاً وألقى القبض عليه»(١).

٣ – طيريوس قيصر (٥٧٨–٥٨٢) والمنذر الثالث والنعمان ابنه

بلغ المنذر أن طيريوس قيصر خلف يسطينس في عرش الدولة الرومية، فرأى ان يشخص الى العاصمة ليهنئه ويقرّر له عهود الولاء كآبائه وأجداده. ولما واجه القيصر أخذ يعاتبه لكونه تخلف عن الذهاب الى افاميا في جيوشه

(١) تاريخ الدول السرياني: لابن العبري ٨٥ و ٨٦ تاريخ الرهاوي ٦٧: ١٢٤.

ليكشف عنها المناذرة . فقال له المنذر : صدقتَ ايها القيصر في ما قلت وكان بوسعي ان انازل المناذرة واناجزهم القتال واردّهم على أعقابهم باذن الله تعالى . غير ان هناك مسئلة جوهرية أقعدتني عن الايقاع بهم . قال هذا وأخرج من عبه رسالة يسطينس الموجهة الى مرقيانا ودفعها الى القيصر. فدهش كل الدهش وامتُقع لونه وطفق يجامل البطريق الامين ويبالغ في تكريمه . ثم اتحفه بهدايا فاخرة وافرة وجاد عليه بتاج ذهبي زين به مفارقه . فكان المنذر الثالث اول ملك غساني لبس التاج (١) .

وثق المنذر باخلاص القيصر وولائه فجيّش جيوشاً كثيفة من روم وعرب وزحف بهم الى بلاد فارس يوآزره القائد موريقي قيصر. فحاصروا اول بدء بلدة « عنّت » واحتلوها ثم ركبوا السفن في الفرات يريدون الرقة وقاتلوا الفرس حتى كادوا ينطوون عليهم ويتلفونهم عن بكرة أبيهم .

ولما ضاقت الحيل بأدرهمون قائد الجيوش الفارسية وعجز عن القتال أرسل الى المنذر يشاغله ويقول : « الأجدر ان نكفّ غداً الاحد عن القتال ونستأنفه يوم الاثنين » . فرضي المنذر باقتراح ادرهمون طمعاً باستراحة رجاله واستجماع قواهم . غير ان الفرس تفلّتوا تلك الليلة وانقلبوا الى مدينة تل موزل وسبوها ثم صاروا الى نصيبين ودير قرتمين بطور عبدين وانكفئوا الى بلادهم .

غلب على ظنّ موريقي القائد أن المنذر خان الدولة الرومية وأطلق الحرية للجيش الفارسي في الهزيمة . فانقلب الى العاصمة ووشى به الى القيصر. فارتاب القيصر في الامر ونغلت نيته على الملك الغساني واعتزم ان يقبض عليه ويطرحه في السجن . واتفق ان مغنا (ܡܓܢܐ) والي الرها صديق المنذر كان يوم ذاك في العاصمة فقابل القيصر ووعده ان ينفذ امره . ثم انه توصلاً الى مأربه تمارض وانطلق الى حمّام مجاورة لحمص وكتب من هناك الى المنذر يقص عليه خبر مرضه ويسأله ان يعوده ومما كتبه اليه قوله :

« ارجو ان تقدم الي لاطلع على احوال صحتك . ولولا ما تكلفته من مشقات السفر لبادرتُ انا اليك وبحدت لك » .

لبّى المنذر نظراً الى صفاوة قلبه طلب صديقه مغنا وسار اليه مع بعض رجاله في هدايا جزيلة . وما ان شعر مغنا الخائن بقدوم المنذر حتى ترك الحمّام وانقلب عائداً الى حمص . فوصل المنذر الى الحمام ثم استأنف المسير الى حمص فخرج مغنا الى لقائه ورحب به ترحيباً جميلاً وأمر له بمحل ينزل فيه وأطلق الحرية لجنوده ليطوفوا في المدينة . ولما جلسا الى مائدة الطعام أومأ مغنا الى اصحابه فقبضوا

(١) مجلة البطريركية السريانية : في القدس مجلد ٧ صفحة ٢٦٨ .

على المنذر وصفّدوه بالاغلال ومضوا به الى حاكم المدينة فسيّره على تلك الحال الى العاصمة ثم نفاه القيصر الى جزيرة صقلية وظل في منفاه حتى السنة ٦٠٢ [١].

سمع الخبر النعمان بن المنذر فثار فائره واستفظع الخيانة وجهز الجنود واستاقهم الى بلاد سوريا ولا سيما الى اطراف مدينة الرها مركز مغنا المحتال الغدّار وجعل يعيث فيها . غير انه لم يفتك باحد قط حرصاً على حياة المنذر ابيه . اما القيصر فكتب الى مغنا ليقبض على النعمان وعلى اخوته كما قبض على المنذر ابيهم ويتولى هو امارة العرب الغساسنة . فانطلق الى الرها وراسل النعمان يخاتله ويماذقه كأنه يروم ان يقلده الامارة مكان ابيه المنذر اذا وافى اليه .

استدرك النعمان دسيسة مغنا الخبيث فاستدعى رجلاً عربياً من رجاله وألبسه ثيابه وسيّره اليه في بعض الجنود . ولما وصل العربي الغساني قال له مغنا : أأنت النعمان بن المنذر ؟ قال العربي ؟ بلى وقد جئتُ طبقاً لأمرك . صاح مغنا بحرسه وقال لهم : دونكم عدوّ القيصر أوثقوه . فضحك العربي وقهقه وقال لمغنا : نويتم الاحتيال علينا فسبقناكم في الحيلة . كلا وحقّ المسيح لست انا النعمان !

فصمم مغنا ان يغدر بالغساني لكن الغساني لم يعبأ به بل قال له : انا في كلتا الحالتين عرضة للقتل . فلو عصيتُ مولاي النعمان وخالفت أمره لَقتلني . وقد قضيتَ انتَ في قتلي لاني خضعتُ له واقبلت اليك . فاكتفى مغنا بان ألقى الغساني في السجن وما مرّ القليل حتى مات الخائن المحتال [٣].

٤ — موريقي قيصر (٥٨٢—٦٠٢) والنعمان السادس (٥٩٧—٦٠٠)

استهان النعمان امير غسان بحياته وقصد العاصمة ليهنئ الملك موريقي بجلوسه على تخت السلطنة ويسأله خصوصاً ان يُطلق والده المنذر من السجن . فوعده القيصر على شرط ان يقاتل الفرس ويكشفهم عن بلاده . ثم عرض عليه ان يحضر القداس في الكنيسة ويتناول القربان الاقدس . فاستعذر النعمان وقال للقيصر : « ان قبائل العرب جمعاء هم يعاقبة فاذا شعروا بمخالفتي اياهم في المعتقد قتلوني لا محالة » . فتركه القيصر وشأنه . ولما انصرف النعمان أقسم انه لن يواجه القيصر على الاطلاق فسمع بعض الجنود كلامه وتتبّعوه وقبضوا عليه فنفاه الملك كما نُفي المنذر أبوه [٤].

(١) مجلة البطريركية السريانية ٧ : ٢٦٨ .
(٢) تاريخ الرهاوي ٨٣ : ١٣٥ .
(٣) تاريخ الرهاوي ٧٤ : ١٢٧ وابن العبري ٨٨ .
(٤) تاريخ الرهاوي ٧٧ : ١٣٠ وابن العبري ٨٩ .

٥ ــ تبادل موريقي وكسرى الرسائل على يد نعمان السادس

في السنة الثامنة لموريقي خلع الفرس ملكهم هرمزد وسملوا عينيه وفتكوا به ونادوا بابنه كسرى ملكاً (٥٨٩ــ٦٢٧) . فانتقض بهرام المرزبان على الملك الجديد وحاول ان يقتله ويتملك مكانه . فانفلت كسرى من دهائه وتنكر كأنه سائل مُكَدٍّ وصار الى الرها ومنها الى منبج وكتب الى ابي جفنة ابي كرب وهو النعمان السادس وكان وقتئذ في الرصافة يسأله ان يشخص اليه . فبادر النعمان الى منبج واجتمع بكسرى وتفاوضا ملياً وأجمعا على ان يكتب كسرى الى موريقي ويصرّح له بمكنونات صدره ويستنجده على بهرام المغتصب . فكتب كسرى الى موريقي كتاباً مؤثراً ودفعه الى ابي جفنة الغساني لينقله اليه [1] وهــذه نسخته :

« للأب المبارك والسيد المقدم موريقي ملك الروم من كسرى ابن هرمز السلام .

« اما بعد فاني أعلم الملك ان بهرام ومَن معه من عبيد ابي جهلوا قدرهم ونسوا انهم عبيد وانا مولاهم . وكفروا نعمَ آبائي لديهم فاعتدوا علي وارادوا قتلي . فهممت ان أفزع الى مثلك فاعتصم بفضلك واكون خاضعاً لك . لان الخضوع لملك مثلك وإن كان عدوّاً أيسر من الوقوع في أيدي العبيد المَرَدة . ولأن يكون موتي على ايدي الملوك أفضل واقلّ عاراً من ان يجري على ايدي العبيد . ففزعت اليك ثقةً بفضلك ورجاء ان تترأف على مثلي وتمدني بجيوشك لاقوى بهم على محاربة العدو وأصير لك ولداً سامعاً ومطيعاً ان شاء الله تعالى » .

وثق القيصر بتصريح كسرى وعزم على اجابة مسئلته لانه لجأ اليه . فأنجده بعشرين الفاً وعلى رأسهم ابونّيس قائد جيش تراقية ثم شفعهم بعشرين الفاً آخرين وجهّهم مع القائد انسطاس . واضاف الى ذلك اربعين قنطاراً ذهباً وكتب الى كسرى كتاباً سلمه الى ابي جفنة الغساني ليحمله اليه وهذه نسخته :

« من موريقي عبد يشوع المسيح الى كسرى ملك الفرس ولدي وأخي السلام .

« أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من أمر العبيد الذين تمرّدوا عليك . وكونهم غمطوا أنعمَ آبائك وأسلافك غمطاً وخروجهم عليك ودحضهم اياك عن ملكك . فتداخلني من ذلك أمرحركني على الترأف بك وعليك وإمدادك بما سألت .

« فاما ما ذكرت من الاستتار تحت جناح ملك عدو والاستظلال بكنفه آثرُ من الوقوع في ايدي العبيد المَردة والموت على ايدي الملوك افضل من الموت على ايدي العبيد فانك اخترتَ افضل الخصال ورغبتَ الينا في ذلك . فقد صدّقنا قولك وقبلنا كلامك وحققنا أملك وأتممنا بغيتك وقضينا حاجتك وحمدنا سعيك وشكرنا حسن ظنك بنا . ووجهنا اليك بما سألت من الجيوش والاموال . وصيّرتُك لي ولداً وكنتُ لك أباً . فاقبض الاموال

(١) تاريخ الرهاوي ٨٠ و ٨١ صفحة ١٣٢ و ١٣٣ .

مباركاً لك فيما وقد الجيوش وسر على بركة الله وعونه. ولا يعترك الضجر والهلع. بل تشمّر لعدوك ولا تقصّر فيما يجب لك اذا تطأطأت من درجتك وانحططت عن مرتبتك. فاني ارجو ان يظفرك الله بعدوك ويرد كيده في نحره. ويعيدك الى مرتبتك برجاء الله تعالى»(١.

سرّ كسرى بجواب القيصر وانطلق الى العاصمة مطمئناً. فرحب به موريقي ترحيب الملوك وبالغ في تعزيزه وأنفذ كل ما وعده به. وتأييداً لعهود الصلح والولاء زفّ اليه القيصر ابنته ماريا. فذهب كسرى بعروسه الى عاصمته وابتنى لها ثلاث كنائس: الاولى على اسم العذراء والدة الله والثانية على اسم الرسل والثالثة على اسم مار سرجيس[٢] شفيع الغساسنة؛ وتعززت النصرانية في البلاد الفارسية على يد الملكة ماريا. وانطلق انسطاس الثاني بطريرك السريان الملكيين (٥٩٩–٦١٠) فدشن تلك الكنائس الثلاث واستتبت الطمأنينة بين الدولتين الرومية والفارسية. وظل كسرى مخلصاً في عهوده ومواثيقه يؤدي للقيصر فروض التكريم ومعرفة الجميل كالابن لابيه[٣].

٦ – انقراض الامارة الغسانية

ظلّت أمارة غسان النصرانية زاهرة حتى اوائل القرن السابع للميلاد. ثم انتُزعت من يدهم في عهد الامير جبلة السادس (٦٣٠–٦٣٧) الذي جاهر بالاسلام على يد الخليفة الراشدي عمر بن الخطّاب (٦٣٤–٦٤٤). قال ابو الفرج ابن العبري:

«انطلق جبلة الى يثرب وحضر مع عمر في المسجد. فتصدّى له رجل من قبيلة فزارة ووطئه برجله. فسخط جبلة وضرب الفزاريّ وهشم أنفه. فرافعه الفزاري الى عمر فقال عمر لجبَلة: أرضه او دعه يهشم أنفك. قال له جبلة: كيف يتيسر للملك مثلي ان يغمّض عن رجل سوقة يضربه؟ قال عمر: ان كنت اكرم منه في الملك فانت مساوٍ له في الاسلام. قال جبلة: اذاً امهلني حتى الصباح لاختار احد الأمرين: ولما جنّ الليل نهض جبلة بخيله ورواحله وانهزم برجاله الى قبدوقية وعادوا الى النصرانية»(٤.

٧ – رواية ابي الفرج الاصبهاني عن الخليفة الراشدي والامير الغساني

توسع ابو الفرج الاصبهاني (٨٩٨–٩٦٦ م) في تفصيل ما حدث لجبلة الغساني مع الخليفة عمر قال ما خلاصته:

---

(١) تاريخ مختصر الدول: لابن العبري ١٥٢–١٥٤ طبعة الاب انطوان صالحاني اليسوعي.
(٢) ميخائيل الكبير ٣٨٧ والدول السرياني: لابن العبري ٩٢.
(٣) الرهاوي ٨١: ١٣٣.
(٤) تاريخ الدول السرياني ١٣١–١٣٣.

«لما أسلم جبلة الغساني كتب الى عمر يستأذنه في القدوم عليه فأذن له . فخرج اليه جبلة في ٥٠٠ من اهل بيته حتى اذا كان على مرحلتين كتب اليه يعلمه بقدومه . فسُر عمر وأمر الناس ان يستقبلوه . اما جبلة فاشار الى مائتين من اصحابه فلبسوا السلاح والحرير وركبوا الخيول معقودةً أذنابها وألبسوها قلائد الذهب والفضة . ولبس جبلة تاجه وفيه قُرطا جدته مارية ودخل المدينة . فلم يبق بكر ولا عانس الا تبرجت وخرجت تنظر اليه والى زيّه . ولما انتهى الى عمر رحب به وألطفه وادنى مجلسه . ثم أراد عمر الحاج فخرج معه جبلة وكان من امره ما كان مع الفزاري وانهزم جبلة في رجاله كما ذكرنا آنفاً . واستتلى ابو الفرج الاصبهاني يقول : كتب عمر الى هرقل يدعوه الى الاسلام وارسل الكتاب مع جثامة الكناني فاجاب هرقل الى كل شيء سوى الاسلام . ولما اراد جثامة الانصراف قال له هرقل هل رأيت جبلة ؟ قال لا . قال فالقه .

توجه جثامة الى قصر جبلة ورأى عنده من البهجة والحسن ما لم يره بباب هرقل . فشاهده في بهو عظيم فيه من التصاوير ما لم يُحسن وصفه . وكان جبلة مستوياً على سرير قوائمه اربعة أسد من ذهب . وبين ايديه من آنية الذهب والفضة ما لم يُرَ أحسن منه . وكان جبلة اصهب ذا سبال وعثنون فسلم عليه جثامة فرحب به جبلة وألطفه وأقعده على كرسي من ذهب فانحدر عنه . فقال له جبلة : اذا طهّرت قلبك يا هذا لا يضرّك ما لبسته ولا ما جلستَ عليه . ثم أومأ جبلة الى غلام فولّى يحضر . وما كان الا هنيهة حتى اقبلت الاخونة يحملها الرجال فوُضعت وجيء بخوان من ذهب فوُضع امام جثامة . وأُديرت الخمر فاستعفى منها . ودعا بكاس من ذهب فشرب منها خمساً عدداً . ثم حضر عشر جوار فعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله تلاهنّ عشر جوار أفضل من الأول عليهن الوشي والحلي . ثم قال لهن جبلة : أطربنني . فخفقن بعيدانهن يغنين :

لله درّ عصابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الاوّل
بيضُ الوجوه كريمة أحسابهم شمّ الانوف من الطراز الاول

فاستهلّ جبلة واستبشر وطرب ثم قال للجواري زدنني فاندفعن يغنين :

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطىء اليرموك فالصمّان
فحمى جاسم فأودية الصفر مغنى قبائل وهجان
فالقريّات من بلاس فداريا م فسكّا فالقصور الدواني
ذاك مغنىً لآلا جفنة في الدهر وحقٌ تعقّب الازمان
قد دنا الفصح فالولائد ينظمن سراعاً اكلّة المرجان...

فقال جبلة لجثامة : اتعرف هذه المنازل ؟ قال لا . قال جبلة : هذه منازلنا في ملكنا باكناف دمشق . وهذا شعر حسان بن ثابت . قال جثامة : انه مضرور البصر كبير السن . فاحضر جبلة ٥٠٠ دينار وخمسة اثواب من الديباج وقال لجثامة : ادفع هذا الى حسان واقرأه مني السلام . فسلم جثامة على جبلة وانصرف الى الخليفة عمر وقصّ عليه القصة من اولها الى آخرها . ثم قال له عمر : هل سرّح جبلة معك شيئاً ؟ قال جثامة : سرّح الى حسان ٥٠٠ دينار وخمسة أثواب ديباج . فقال عمر : هاتها وبعث الى حسان فاقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم وقال : يا امير المؤمنين اني لأجد أرواح آل جفنة .

فقال عمر : قد ارسل اليك جبلة هديةً . فانصرف حسان وهو يقول :

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللّوم
لم ينسني بالشام اذ هو ربّها كلّا ولا متنصرًا بـالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده الا كبعض عطية المذموم

ثم قال حسان لجثامة : ماذا قال لك جبلة ؟ قال : قال لي ان وجدته حياً فادفعها اليه وان وجدته ميتاً فاطرح الثياب على قبره وابتع بهذه الدنانير بُدُناً فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتك وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي !

وذكر ابن بكر انه لما ولي معاوية رأس الخلفاء الاويين (٦٦٢—٦٨٠) بعث الى جبلة يدعوه الى الرجوع الى الاسلام ووعده اقطاع الغوطة بأسرها فأبى ولم يقبل (١.

٨ — نيقيفور ملك الروم الغساني

أقام جبلة ورجاله في قبدوقية كما قلنا وظلوا متمسكين بعقيدتهم النصرانية حتى وفاتهم . وتسلسل أنسالهم هناك الى ما شاء الله تعالى . قال ابو الفرج ابن العبري:

« من سلالة جبلة الغساني ينحدر نيقيفور قيصر الروم (٨٠٢—٨١١) الذي جلس على تخت السلطنة بعد قسطنطين السادس وامه الملكة ايرينا (٧٨١—٨٠٢) . وكان نيقيفور داهيةً عاقلاً ورعاً صائماً ومصليا . ذلك ما حمل ألفيدي أمير صقلية ان يخاطب عبد الملك قائد الجيوش العربية ويقول له : اذا ملك نيقيفور فاخلع ثوبك الناعم وتدرع بالسلاح وتهيأ للقتال . على ان نيقيفور ما كاد يجلس على سرير المملكة الرومية حتى كتب الى هرون الرشيد الخليفة العباسي (٧٨٦—٨٠٩) يثيره الى الحرب . وظل القيصر والخليفة مدة شهرين يتراسلان حتى عقدا الصلح بين الدولتين وتبادلا هدايا الاخلاص وعاد كل منهما الى عاصمته (٢.

٩ — تشتت الغسانيين في مختلف الاقطار

ما عدا الغسانيين الذين ذهب بهم أميرهم جبلة السادس ابن جبلة الخامس الى بلاد ارمينيا فان بقيتهم الباقية تشعبت على توالي الاحقاب خمس عشرة شعبة وتطرّدوا في البراري وانضم اغلبهم الى الفرس . وألقى بقيتهم السلاح واندغموا مع اهل الحضر في سوريا وآثور وارض سنعار (العراق) . وتبع قوم منهم عقيدة الروم الملكيين . وحافظ قوم على عقيدتهم المنوفيزيتية كأهالي الحديثة وصيت وباعربايا والقريتين ببلد حمص والنبك وسائر البلاد (٣.

هكذا انفرط عقد الامارة الغسانية النصرانية بعدما استتب لها الملك ٤٣٢ سنة بدءاً من أميرها جفنة الاول (٢٠٥—٢٤٨) حتى الامير جبلة السادس (٦٣٠—٦٣٧) . فسبحان من لا يزول ملكوته الى أبد الآبدين .

(١) الاغاني : طبعة الاب انطون صالحاني ٢ : ٢٧٦—٢٨١ .
(١) تاريخ الدول السرياني ١٣٣ .
(٢) تاريخ الدول السرياني ٨٩ .

الرواقية والاسلام

بقلم الدكتور عثمان امين

١ – كيف عرف المسلمون مذاهب الرواقية

كتب الاسلاميون عن المذاهب والفرق والملل القديمة وذكروا اسماء الكثيرين من فلاسفة اليونان وحكمائهم ولكنهم لم يذكروا عن أصحاب الرواق الا شذرات قليلة وعبارات مقتضبة لا تغني بشيء في معرفة الفلسفة الرواقية [١].

ولكن لدينا مع ذلك من الشواهد ما ينهض دليلاً على ان مفكري الاسلام قد وقفوا على شيء من مذاهب الفلسفة الرواقية أو تأثروا بها أحياناً من حيث لا يشعرون. ولكن تلك المعرفة لم تكن مباشرة، والاغلب أنهم عرفوا ما عرفوه منها عن طريق النقل أولاً لما كتبه شراح ارسطو ولا سيما الاسكندر الافروديسي ويحيى النحوي، وثانياً عن طريق نقل كتب أطباء اليونان وخصوصاً كتب جالينوس وفرقة الروحانيين. وثالثاً بواسطة كتب مختلفة نزعتها السائدة رواقية ونقلت الى العربية مثل كتاب «لغز قابس» الذي ترجمه الى العربية ابن مسكويه [٢].

على أن آراء الرواقيين: ولا سيما مذهبهم في الاخلاق كانت – كما يقول سانتلانا – معروفة لدى جمهرة المثقفين من أهل الشام ومصر وذلك منذ أوائل القرن الاول للمسيح. ولا شك ان العرب في العهد الاسلامي قد وقفوا على كثير من تلك الآراء عن طريق المناظرات والمناقشات بينهم وبين المسيحيين من جهة وبينهم وبين الروم وأهل الملل الاخرى من جهة أخرى [٣].

---

(١) انظر الفارابي: «الثمرة المرضية» طبع ديتريس ١٨٩٠ ص ٥٠ والشهرستاني: «ملل» جزء ٢ طبع Cureton ص ٢٥٣ و ٣٠٩ وابن رشد: «ما بعد الطبيعة» ص ٨٤ و ٣٧ والقفطي «اخبار الحكماء» طبع ليبرت ص ٢٦٥.

(٢) راجع كتاباً لنا بالفرنسية تحت عنوان:
Osman Amine, *Le Stoicisme et la Philosophie Musulmane* (à paraitre).

(٣) سانتلانا – تاريخ المذاهب الفلسفية – ج ١ ص ٣٢٠–٣٢١ (مخطوط محفوظ بمكتبة الجامعة المصرية).

وربما وجدنا كثيراً من الآراء الرواقية ممتزجة بأفكار افلاطونية جديدة عند كثيرين من فلاسفة الاسلام كالكندي والفارابي وابن سيناء والغزالي. ولكن لعل اظهر ما تبدو آثار فلسفة الرواق انما هو في نظريات علم الكلام [١] وبخاصة عند كثير من شيوخ المعتزلة كالنظام وتلميذه الجاحظ وهشام بن الحكم: وان كنا نجد هنا وهناك آراء قريبة من الآراء الرواقية عند بعض الاشعرية كالباقلاني والجويني.

٢ ــ مشابهات عامة بين الرواقيين والاسلاميين

أول ما نلاحظ على المتكلمين أنهم ــ كالرواقيين ــ في الغالب من أنصار المذهب الحسي في المعرفة. وكثير منهم يتفقون بوجه عام مع أصحاب الرواق في انكار أن للمعقولات أو الصور الكلية وجوداً حقيقياً. ولذلك فرق مفكرو الاسلاميين بين نوعين من الوجود: وجود الاشياء في «الاعيان» أعني خارج الذهن، ووجودها في «الاذهان» أعني من حيث التصور. واكثر المتكلمين من الذاهبين مذهب «الاسمية» فلا يرون أن الوجود الذهني هو وجود صحيح [٢] وهم في هذا أقرب الى مذهب أصحاب الرواق. وقد ذكر المتعلمون في تعريف الوجود «انه ما به ينقسم الشيء الى فاعل ومنفعل» اي ما يمكن ان يكون به أمر من الامور مؤثراً أو متأثراً. وهذا التعريف ــ فضلاً عن انطباقه على مذهب المتكلمين الذين لا يقولون الا بالوجود الخارجي ــ يوافق نظرية الرواقيين في «اللاجسميات» على نحو ما بسطها الاستاذ «برهييه» في رسالة له [٣].

ولا نعدو الصواب اذا قلنا أنه قد وجد من المتكلمين «اسميون» (nominalistes) كفلاسفة الرواق: فالفخر الرازي مثلاً يرى ان الماهية ليست بشيء وان «المثلث» الكلي لا وجود له في الخارج وانما وجوده في الذهن [٤]. واكثر المتكلمين يمكن ان ينضووا تحت علم المدرسة الرواقية: فهم يرون ان المعقولات والكليات انما هي اسماء او ألفاظ انشئت قصد التخاطب والتفاهم بين أفراد البشر وليس لها

---

(١) Horovitz, *Über den Einfluss der griechischen Philosophie auf die Entwicklung des Kalam*, Breslau, 1909.

(٢) راجع الايجي ــ «المواقف» طبع سنة ١٣٥٧ ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) Brehier, *La Théorie des Incorporels chez les Stoïciens*, 1908.

(٤) أنظر الفخر الرازي ــ «محصل افكار المتقدمين والمتأخرين» طبع سنة ١٣٢٣ ص ٣٧ قارن: Carra de Vaux, *Gazali*, Paris 1890, p. 126

حقيقة خارجية وهذا يوافق مذهب الرواقيين في هذه النقطة على نحو ما ذكر « ستوبايوس » رواية عن « زينون » [١].

وسنعرض لطائفة من آراء الباحثين من المسلمين في المنطق والطبيعيات وفي الاخلاق لنرى ما عساهم ان يكونوا قد افادوه من الرواقيين.

٣ — المنطق

اذا خطونا الى المنطق وجدنا لآراء الرواقيين صدىً جلياً عند المتكلمين والباحثين في الاسلام. فالاسلاميون — كما هو معروف — قد فرّقوا بين نوعين من الكلام: ١ً الكلام النفسي و٢ً الكلام الخارجي. فالكلام النفسي هو المعنى الموجود في النفس والذي لا علم لنا به الا عن طريق الألفاظ والاصوات التي هي مظاهر خارجية. أما الكلام الخارجي فهو اللفظ والصوت الذي يفاه به وهو الحروف والمقاطع التي تكتب في الاوراق والمصاحف [٢] — وهذه التفرقة بين النوعين من الكلام تذكرنا بنوعي العقل عند الرواقيين « لوجوس اندياثيتوس » أو العقل الكامن، و « لوجوس بروفوريكوس » أو العقل الظاهر. وهذه التفرقة هي التي نجدها عند الفيلسوف « فيلون » عند شرحه لنظريته في « الكلمة » ثم نجدها بعد ذلك عند آباء الكنيسة [٣].

والمتكلمون كالرواقيين كانوا يعنون باللغة ويجعلون من دراسات اللغة مقدمة للمنطق: فقسموا منطقهم قسمين: قسم في الدلالات وقسم في المعاني [٤].

أما ما يسميه أصحاب الرواق بالتصور (فانطاسيا) وما يسمونه « بالتسليم » (سنجاتاثيزيس) فقد يقابلها عند مناطقة الاسلام « التصور » وهو العلم (أن خلا من الحكم) و « التصديق » وهو العلم المصحوب بالحكم [٥].

والاسلاميون يفرقون بين « الحد » وهو التعريف بالجنس القريب والفصل والذي به يزعم المنطق الوصول الى ماهية الشيء، وبين « الرسم » الذي يعطي فكرة تقريبية عن الاشياء ولم يكن للرسم عمل في منطق ارسطو ولكن الرواقيين

---

(١) راجع: STOBEE, *Eclogae*, 1, 322.

(٢) راجع الشهرستاني — « نهاية الاقدام » ص ٣١٨—٣٤٠.

(٣) قارن: ZELLER, *Die Philosophie der Griechen*, t. III 1, p. 67 sqq.

(٤) انظر: Diels, *Doxographie*, 43 et 62

(٥) قارن الايجي — « المواقف » طبع سنة ١٣٥٧ ص ١١ P. KRAUS, *Revue des Etudes musulmanes, 1935 cahier IV.*

اكثروا استعماله[١] : كما استعمله بعد ذلك « جالينوس » . ولعل ما نجده عند جالينوس باسم « ابوجرافي » ([illegible]) هو الاصل في اللفظ العربي[٢] .

وللرواقيين كما رأينا نظرية مبسوطة في الدلالات خلا منها المنطق الارسطاطاليسي والاسلاميون هم ايضاً قد عنوا بنظرية الدليل هذه[٣] : فنحن نقرأ في هذه النقطة تحريرات لا تختلف عن أقاويل « كروسبوس » . قال الباقلاني : « فان قال قائل : فما معنى الدليل عندكم ؟ قيل له هو المرشد الى معرفة الغائب عن الحواس وما لا يعرف باضطرار وهو الذي ينصب من الامارات ويورد من الايماء والاشارات بما يمكن التوصل به الى معرفة ما غاب عن الضرورة والحس . ومنه يسمى دليل القوم دليلاً . وسميت العرب أثر اللصوص دليلاً عليهم لما أمكن معرفه مكانهم من جهته . ومنه سميت الاميال والعلامات المنصوبــة والنجوم الهادية أدلة . لما أمكن ان يتعرف بها ما يلتمس علمه . وانما يسمى ناصب الآيات والامارات التي يمكن التوصل بها الى معرفة المعلوم دليلاً مجازاً واتساعاً لما بينه وبين الدليل الذي هو الامارات والتأثيرات من التعلق . وانما الدليل في الحقيقة هو ما قدمنا ذكره من الاسباب المتوصل بها الى معرفة الغائب عن الضرورة والحواس من الامارات والعلامات والاحوال التي يمكن بها معرفــة المستنبطات . وهذا الدليل الذي وصفنا حاله هو « الدلالة » و « المستدل به » وهو « الحجة »[٤] . وكتب الجاحظ في هذا المعنى عينه : « فشارك كل حيوان — سوى الانسان — جميع الجماد في الدلالة وفي عدم الاستدلال وسموا ذلك « بياناً » واجتمع للانسان بأن كان دليلاً مستدلاً ثم جعل للمستدل سبب يدل على وجوه استدلاله ووجوه ما انتج له الاستدلال وسموا ذلك « بياناً » .

« وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ وخط وعقد واشارة ، وجعل بيان الدليل الذي لا يستدل تمكينه المستدل من نفسه واقتياده كل فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان واخفى من الحكمة واودع من عجيب الحكمة .فالاجسام الخرس الصامتة الناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحة الشهادة على ان

---

(١) انظر : PRNATL, *Geschichte der Logik des Abendlands*, I, p. 331 A. III

(٢) MADKOUR, *L'Organon*.

(٣) يلاحظ ان كتب المنطق العربية تبدأ الكلام في « الدلالات » ولعل هذا الاتجاه عند مناطقة الاسلام من آثار الفلسفة الرواقية . قارن القزويني الكاتبي : « متن الشمسية » ص ٣ والغزالي « محك النظر » ص ٩ بع وابن سينا : « الاشارات » ص ٤ والتفتازاني : « تهذيب المنطق » ص ٤ بع .

(٤) راجع الباقلاني — « التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة ... » (مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٦٠٩٠ ص ٦(١) .

الذي فيها من صحة التدبير والحكمة مخبر لمن استخبره ناطق لمن استنطقه كما يخبر الهزال وكسوف اللون عن سوء الحال وكما ينطق السمن وحسن النضرة عن حسن الحال... فموضوع الجسم ونصبته دليل على ما فيه فاجماد الابكم الاخرس من هذا الوجه قد شارك في البيان الانسان الحي الناطق – فمن جعل اقسام البيان خمسة فقد ذهب ايضاً مذهباً له جواز في اللغة وشاهده في العقل...» [١].

هذا ويلاحظ ان ابن سينا هو ايضاً يتكلم عن قياس « الدليل » و «العلامة» بهذا المعنى الرواقي . والمثل الذي يذكره ابن سينا هو نفسه مثل رواقي « هذه المرأة ذات لبن فهي اذن قد ولدت » [٢].

تأثر ناقدو المنطق الأرسطي من العرب باتجاه الرواقيين ... اتجاه كثير من باحثي العرب للاستقراء وحملتهم على القياس يصح اعتباره مظهراً من مظاهر تأثرهم بالرواقيين ...

٤ – الطبيعيات

فاذا نظرنا الى « مادية » الرواقيين وميلهم الى اعتبار جميع الموجودات الحقيقية اجساماً وجدنا لهذه النزعة عند الاسلاميين انصاراً . فنحن نعلم ان مفكري الاسلام قد تفرقوا في عقائدهم على مرّ القرون فرقاً : فقال بعضهم بالتجسيم وذهب غلاة الشيعة والرافضة بأن لله قداً وصورة وانه جسم ذو أعضاء... ووضع كثيرون من المحدّثين والرواة أحاديث وروايات فيها تشبيه لله بخلقه ووصف له بصفات البشر مما لا يليق بجلاله [٣].

وقالت « المشبهة » ان الله « شيء » ومعنى ذلك عندها انه جسم [٤] اي حقيقة موجودة . ويذكر الاشعري أن شيخ الرافضة هشام بن الحكم كان يقول ان الله « جسم » لكن ليس كالاجسام الارضية بل هو جسم على المجاز [٥]. وقالت « الكرامية » ان الله جسم اي موجود [٦] . وكان شيخ الرافضة يزعم ان

(١) راجع الجاحظ – الحيوان (مقدمة) ج ١ طبع فؤاد افرام البستاني بيروت سنة ١٩٢٨ ص ١٨ و ١٩ .

(٢) ابن سينا (النجاة) طبع مصر ص ٩٢ .

(٣) راجع الخياط : « كتاب الانتصار » طبع نيبرج القاهرة ١٩٢٥ ص ١٠٧ و ١٤٤ وغيرها من المواضع .

(٤) راجع الاشعري: « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين » طبع ريتر القسطنطينية ١٩٣٠ ج ٢ ص ٥١٨ .

(٥) الاشعري – « نفس الكتاب » ج ١ ص ٣١ و ٤٤ و ٥٩ و ٢٥٧ الخ .

(٦) «كشاف اصطلاحات الفنون » ج ١ ص ٣٦١ .

معبوده ذو حد ونهاية « طويل عريض عميق وان طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه . وزعم أيضاً انه نور ساطع متلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبه وزعم ايضاً انه ذو لون وطعم ورائحة »[١] . فقامت المعتزلة وقالت بالتوحيد اعني أن الله لا شريك له من اي جهة كان ولا كثرة في ذاته « وهو خالق الجسم وليس بجسم ومحدث الاشياء وليس كالاشياء » ؛ وأعلنت انه على كل حال منزه عن مشابهة المخلوقات . والراجح ان فرقة المعتزلة قد نصت على « التوحيد » كأول أصول مذهبها رداً على المشبهة والمجسمة والملحدين وقامت المنازعات بين المعتزلة وغيرها من فرق المسلمين على هذه الاصول واخيراً أقرت مذاهب الاسلاميين تنزيه الخالق عن الجسمية والمادة في اي شكل من أشكالها[٢] .

واذا انتقلنا الى النظريات عن الروح وجدنا بين مفكري الاسلام من أدلى فيها بآراء تقترب مما قاله الرواقيون . فابن حزم يذهب الى ان النفس الفردية جسم من الاجسام لانها تتميز عن نفوس سائر الافراد ولانها تحيط علماً بأشياء لا تعلمها نفس سواها[٣] . وبين المعتزلة من نحا في الروح نحواً مادياً : فالنظام يقول — فيما يروى — ان « الروح هي جسم وهي النفس ... » والى مثل ذلك ذهب الجبائي[٤] ولعل آراء ابن قيم في الروح لم تكن أقل في صبغتها المادية من آراء غيره من المتكلمين[٥] ولعل المذهب الروحاني الذي دعا اليه فيما بعد رجال مثل الغزالي والذي يذهب الى أن الانسان جوهر روحاني وليس بمادي[٦] لم يكن في البداية المذهب الشائع عند الجمهور.

ينبغي ان نضيف الى ما سبق ان « هشام بن الحكم » وغير واحد من علماء المتكلمين نظروا الى صفات الاجسام فاعتبروها ايضاً اجساماً[٧] وقد عرفنا

(١) عبد الرزاق الرسمي : « مختصر كتاب الفرق بين الفرق » طبع فيليب حتي مصر ص ٦١ قارن : HORTEN, *Philosophischen Systeme der Spekulativen Theologeu im Islam, p. 17.*

(٢) راجع مادة « جسم » في : Encyclop. de l'Islam., t. I, suppl.

(٣) ابن حزم : « الفصل في الملل والاهواء والنحل » طبع عبد الرحمن خليفة سنة ١٣٤٧ ص ٧٨ وما بعدها .

(٤) الاشعري : « مقالات الاسلاميين » ج ٢ ص ٣٣٢—٣٣٤ .

(٥) انظر — ابن قيم : « كتاب الروح ». حيدراباد طبعة ثانية ١٣٢٤ ص ٢٨٤ . يعرف الروح بانه جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ويجري فيها جريان الماء في الورد والزيت في الزيتون والنار في الحطب .

(٦) الغزالي : « المضنون الصغير » — القاهرة سنة ١٣٠٣ .

(٧) يذكر الجلال الدواني في شرحه على « العقائد العضدية » ان الاشاعرة « جوزوا رؤية كل موجود من الاعراض وغيرها حتى جوزوا رؤية الاصوات والطعوم والروائح » (٧ طبع الخشاب سنة ١٣٢٢) .

ان ذلك هو مذهب أصحاب الرواق. وهذه المادية عند المتكلمين بدت للاسلاميين أنفسهم من الوضوح حتى قـال ابن سبعين « وبالجملة الاشعرية يعتقدون في الارواح أنها جسوم لطيفة وفي العقول أنها صفات للعقلاء وانكروا الجواهر الروحانية واقاموا الدليل على ان ذلك باطل ومحـال وان لا موجود الا الجوهر الجسماني والاعراض الخاصة . واذا ذكر لهم الروحاني وما عليه من الشرف والرفعة والنزاهة كفروا القائل لذلك وقالوا ان هذا هو إله [١] » وابن سبعين نفسه ينقد امام الحرمين الجويني ويلومه على قوله بمادية الروح [٢] ولكنه يمتدح القلائل من الاشعرية الذين قالوا بلا ماديتها كابن فورك والباقلاني والغزالي [٣] .

ومن المعلوم ان النظام في نظريته عن العالم المادي قد عارض القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ فصرح « بالمداخلة » أعني أنّ كل شيء قد يداخل ضده وخلافه « وزعم ان الخفيف قد يداخل الثقيل . ورب خفيف أقل كيلاً من ثقيل واكثر قوة منه فاذا داخله شغله » ومعنى المداخلة فيما يقول الاشعري هو « ان يكون حيز احد الجسمين حيز الآخر وان يكون أحد الشيئين في الآخر [٤] » وهذا يوافق رأي الرواقيين في نظريتهم المشهورة في (χρᾶσις δι᾽ ὅλων) أعني ذلك التمازج الذي تنفذ فيه الاجزاء الممزوجة بعضها في بعض نفاذاً تاماً ومع ذلك لا يفقد كل منهما خواصه [٥] .

والحيز عند المتكلمين هو « الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده [٦] » وهذا يوافق تعريف الرواقيين للمكان خلافاً لارسطو الذي كان يعرفه بأنه المسطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوي. وبما ان الرواقيين يرون ان جسمين يمكن ان يشغلا حيزاً واحداً — وذلك هو معنى التداخل — فلا وجه للكلام عندهم عن الحاوي ولا عن المحوي فانهما يختلطان

---

(١) راجع : MASSIGNON, *Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la mystique*, 1929, p. 132.

(٢) يقول السهروردي (« عوارف المعارف » ج ٢ ص ٨٢) « وذهب بعض متكلمي الاسلام الى انه جسم لطيف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر وهو اختيار ابي المعالي الجويني .

(٣) ابن سبعين « يد المعارف » مخطوط ببرلين ٤١ ب .

(٤) الاشعري : « مقالات الاسلاميين » ج ٢ ص ٣٢٧ — المداخلة ونقدها انظر ايضاً « المواقف » للايجي ص ٤٤٨ طبع القسطنطينية « المقصد الرابع — الجواهر يمتنع عليها التداخل » قارن هذا بما يقوله الروافض وخصوصاً الفرقة الهشامية منهم فانها تثبت المداخلة وكون الجسمين اللطيفين في مكان واحد (الاشعري : « مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٦٠) .

(٥) انظر هنا الطبيعيات الرواقية ص ٩٩ .

(٦) التفتازاني — « شرح العقائد النفسية » ص ٥٨ .

في جميع اجزائها ويصبح حيز أحدهما هو حيز الآخر [١] ؛ فالمكان عند الرواقيين ليس بجسم . وهو كذلك عند المتكلمين لانه « فراغ متوهم » .

وكذلك « الزمان » عند المتكلمين « امر موهوم لا وجود له في الاعيان فهو ليس من العالم [٢] » ونحن نعلم ان هذا هو الرأي الذي ينسبه « بلوتارخوس » الى الرواقيين [٣] « فان الزمان الذي نتوهمه بالفكر حاضراً هو بعضه مستقبل وبعضه ماض » فالزمان لا يتحقق بالفعل أبداً وهو اذن غير موجود . ويترتب على ذلك ان سلسلة الحوادث التي تمتد في الزمان لا تخضع له ولا تتأثر به مطلقاً ؛ بل الحوادث خاضعة لقوانين القدر التي لا تعرف مستقبلاً ولا ماضياً لانها صادقة أبداً [٤] .

٥ — الاخلاقيات

على ان المشابهة بين اقوال الرواقيين واقوال الاسلاميين قد لا تقتصر على مسائل المنطق والطبيعيات بل اننا نسمع صداها قوياً عند الكثيرين من الاخلاقيين من صوفية ومتكلمين .

فقد يكون مما قرب الاخلاق الرواقية الى نفوس المسلمين قول شيوخهـا بوجوب الاذعان للقضاء والقدر وهي تلك العقيدة التي ثبتت جذورها في العالم الاسلامي في العهود المتأخرة وما زال يحسبها كتاب الغرب من أسباب انحطاط المسلمين ؛ ونحن نراها عقيدة رواقية في صميمها . كان الرواقيون يقولون بان القدر (ايماربيني) هو علة مطلقة للاشياء جميعاً . فلن ينفع التمرد عليه او محاولة الخلاص من حكمه الذي لا مرد له . وخير للانسان ان يقبل جميع ما يأتي به القدر مع اعتقاد ان ذلك داخل في النظام الكلي [٥] ولقد نقل المسلمون عن الرواقيين اقوالاً كثيرة في هذا الصدد وافقت هوى من نفوسهم وحسبنا ان نشير هنا الى ما ذكره الشهرستاني عن الرواقيين قال : « لن تجد في الناس الا رجلين ؛ اما مؤخراً في نفسه قدمه حظه ؛ أو مقدماً في نفسه أخره دهره ؛ فارضَ بما انت فيه اختياراً والا رضيت اضطراراً [٦] » . وهذه الفكرة قريبة جداً من

(١) Bréhier, *La théorie des Incorporels*, 2e éd. 1928, p. 42-44.

(٢) حاشية السيالكوتي على « شرح الدواني للعقائد العضدية » ص ١٣ .

(٣) Plutarque, *De comm. not.*, 41 (Arnim, 11, 165, 39).

(٤) Bréhier, *La Théorie des Incorporels*, p. 57-9.

(٥) مرقس اوريليوس « خواطر » ٥ ، ٢٠ Marc-Aurèle, *Pensées* V, 20.

(٦) الشهرستاني — الملل والنحل ج ٢ طبع Cureton ص ٢١١ .

ابيات كليانش التي يذكرها ابكتيتوس في آخر كتابه « المختصر » (الفصل الثالث والخمسون) والتي ينقلها سنكا [١] الى اللاتينية (الرسالة ١٠٧) ويضيف اليها عبارته القوية) (Ducunt volentem fata, nolentem trahunt) الاقدار تهدي من أطاعها وتجر من عصاها» . والمشابهة بين اقوال الرواقيين واقوال الاسلاميين اقوى ما تكون في مسألتي القدر والحرية فقد افترق فيهما الاسلاميون افتراق الرواقيين فظهرت بين المتكلمين فرقة « القدرية » التي قالت بأن للانسان قدرة واستطاعة على افعاله اي ان الانسان حر الارادة ولكن قامت فرق أخرى تناهضها ؛ منها الاشعرية القائلون بالكسب أعني ان للانسان قدرة غير مؤثرة مع شمول قدرة الله ؛ اي انه لا تأثير لقدرة العبد في مقدوره أصلاً . بل القدرة والمقدور واقعان بقدر الله تعالى [٢] . ومنها الجبرية النافون قدرة العبد على فعله مطلقاً [٣] . أما مشكلة التوفيق بين ارادة الانسان ومسؤوليته من جهة وبين قدرة الله على كل شيء من جهة أخرى فقد اشتغل بها المتكلمون كما اشتغل كروسبوس بالتوفيق بين حرية الانسان وبين القدر الشامل . ومن الرواقيين من ذهب الى ان الله يجب ان لا يعد مسؤولاً عن وجود الشر في الدنيا وان كان جميع ما في الطبيعة من صنعه [٤] وكذلك قالت المعتزلة . ذهب النظام الى « ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وليست هي مقدرة للباري [٥] » .

ويروي الشهرستاني عن النظام ايضاً انه قال : « ان كل ما جاوز محل القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخلقة اي ان الله تعالى طبع الحجر طبعاً وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغ قوة الدفع مبلغها عاد الحجر مكانه طبعاً [٦] » . وهذا التعبير يذكرنا المثل الذي كان يضربه « كروسبوس »

---

(١) قارن قول سنكا : SÉNÈQUE, *De Providentia*, V, 4: «...boni viri laborant, impendunt, impendentur, et volentes quidem. Non trahuntur a fortuna, sequuntur illam, et aequant gradus. Si scissent, antecessissent.»

« خيار الناس يجاهدون النفوس ويتحملون التضحيات عن طيب خاطر . والحظ لا يجرهم جراً ولكنهم يتابعونه محاذين خطواته ولو عرفوا الطريق لكانوا السابقين » .

(٢) الرازي – « المحصل » ص ١٤٠ يع .

(٣) راجع : فخر الدين الرازي – « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » . طبع مصر ١٩٣٨ ص ٦٨–٦٩ ؛ وراجع ايضاً : عبد الرزاق الرسعني – « مختصر كتاب الفرق بين الفرق » طبع فيليب حتي . مصر ١٩٢٨ ص ٩٥–٩٦ ؛ راجع كذلك « رسائل اخوان الصفا » . طبع مصر سنة ١٩٢٨ . الجزء الرابع ص ٣٥–٣٦ « في مسألة الجبر » .

(٤) راجع انشودة كليانش الى زيوس فيما تقدم ص ٣٠ .

(٥) راجع الشهرستاني « الملل والنحل » ص ٣٨ ، ابن حزم – « الفصل » ج ٤ ص ١٩٣ .

(٦) الشهرستاني « الملل والنحل » ص ٣٨ .

مفسرًا نظريته في الارادة . يقول أن العمود الاسطواني يجب ان يدفعه دافع لكي يدور ولكنه بعد دورانه انما يتحرك بفعل ما طبعه الله عليه من غير حاجة الى تأثير الانسان وكذلك يجب ان يكون هناك باعث خارجي يدفع الارادة وحينئذ تحدث الحركة التي هي جزء من طبعنا من غير ان يكون في مقدورنا ان نختار غير ما نختار حقيقة في كل حالة معينة [١] .

وقول النظام « ان الله تعالى اذا علم ان فعل شيء أصلح من تركه استحال منه تركه والتخلف عنه [٢] » يذكرنا برأي الرواقيين في كمال العالم ومحاولاتهم ان يبينوا ضرورة وجود الشرور في الدنيا [٣] .

على ان روح المعتزلة توافق روح الرواقيين حين يقرر أحدهم أن « الله لا يوصف بالقدرة على ان يزيد في عذاب أهل النار شيئاً ولا ان ينقص منه شيئاً وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة [٤] » تلك نظرات رواقية وان كانت في ثوب اسلامي واذا نقلناها الى لغة الرواق كان معناها ان الفضيلة والرذيلة يحملان جزاءهما في ذاتهما بمقتضى قانون لا يرد ولا تستطيع قوة مهما كانت ان تبدل من عواقبهما شيئاً .

وأخيرًا نصل الى رأي المعتزلة في تحسين العقل وتقبيحه للاشياء . فان المناقشات التي دارت بين المتكلمين عن طبيعة الخير والشر ، الحسن والقبيح ، والبحث عما اذا كان الحسن ما حسنه الشرع أو ما حسنه العقل الخ [٥] ، مناقشات تذكرنا بالتفرقة التي ادخلها أولا السفسطائيون اليونان بين ما هو عدل بالعرف والمواضعة وبين ما هو كذلك بالفطرة . ولقد استعمل الرواقيون هذه التفرقة فقالوا بالعدل الفطري الطبيعي لا بالعدل الوضعي [٦] .

وربما كان من فضل الرواقيين أنهم صرحوا بالتدبير والعناية الالهية في عصر طغى فيه التشكك على العقول . كتب « كروسبوس » عن التدبير الالهي كتاباً [٧] كما كتب عنه « سنكا » [٨] ولقد بسط الرواقيون بسطاً وافياً براهين

---

(١) قابل : AULU-GÈLE, *Nuits Attiques*, VI, 2, 11
(٢) الخياط — « الانتصار » ص ١٨—١٩ .
(٣) راجع : BREHIER, *Chrysippe*, p. 207-211
(٤) راجع الشهرستاني : « الملل » ص ٣٧ .
(٥) راجع الايجي : « المواقف » طبع سنة ١٣٥٧ ص ٣٢٣ بع .
(٦) BRÉHIER, *Chrysippe*, p. 269
(٧) PLUTARQUE, *De Repub. Stoic.*, 37, 1
(٨) SENEQUE, *De Providentia*, tr. fr. de Waltz collection Budé, 927

العلة الغائية والنظام في العالم للدلالة على وجود الصانع المدبر [١]. قال مرقس اوريليوس « انما تحدث الامور بمقتضى نزوع وميل أبدي من العناية التي قررت في برهة البداية التي تخلق النظام الذي عليه الكون بعد ان تصورت الاسباب وحددت القوى سوى قوى المخلوقات نفسها او قوى تغيراتها وتعاقبها [٢] » فخلق النظام في الانسان وترتيب روابط المودة بين المخلوقات العاقلة هو الصلة الغائية للكون.

وللاسلاميين عناية خاصة بهذا الموضوع ومذهبهم فيه هو مذهب الرواقيين. ينسب الى الجاحظ كتاب في العناية يسمى كتاب « الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير ». قال فيه: « وقد كانت القدماء من طائفة انكرت العمد والتدبير في الاشياء وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق » [٣] و « قلت انه ليس كون الاشياء ايضاً باضطرار من الطبيعة حتى لا يمكن ان يكون سواه — كما قال القائلون — بل هو بتقدير وعمد من الخالق اذ جعل الطبيعة تجري اكثر من ذلك على مجرى منهاج معروف وتزول أحياناً عن ذلك لاعراض تعرض لها. فيستدل بذلك على انها مصرفة مدبرة فقيرة الى ارادة الخالق وقدرته في بلوغ غايتها واتمام عملها [٤] » ثم يقول وجملة القول ان الخالق تعالى يصرف هذه الأمور كلها الى الخير والمنفعة. كذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصرفونها الى الخير والمنفعة » [٥] « اذا كان القياس يوجد والشواهد تشهد بان للاشياء خالقاً حكيماً قادراً فما يمنعه ان يدبر خلقه؟ فانه لا يصح في القياس ان يكون الصانع يهمل صنعته الآ لاحدى خلال ثلاث: اما عجز واما جهل واما شرارة. وكل هذا محال في صنعة الخالق القديم ... وذلك ان العاجز لا يستطيع ان يأتي بمثل هذه الخلائق العجيبة الجليلة والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لا يتطول بخلقها وانشائها. فاذا كان هذا هكذا وجب ان يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها ولا محالة وان كنا لا ندرك كنه ذلك التدبير ومجاريه فان كثيراً من تدبير الملوك ايضاً لا يفهمه العامة ... [٦] ».

ولقد لخص الايجي رأي فلاسفة الاسلام في الشر وما قاله هو بعينه مذهب الرواقيين والاسكندرانيين قال: « الوجود اما خير محض كالعقول والافلاك واما

---

(١) Cicéron, *De Natura Deorum*, II, 5, 29, 38

(٢) Marc-Aurele, *Pensee*, IX, 1

(٣) الجاحظ: « الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير » حلب ١٩٢٨ ص ٦٦

(٤) نفس الكتاب ص ٦٧.

(٥) نفس الكتاب ص ٧٠.

(٦) نفس الكتاب ص ٧٣.

الخير غالب عليه كما في هذا العالم فان المرض مثلاً وان كان كثيراً فالصحة اكثر منه ثم يمكن تنزيه هذا العالم عن الشر بالكلية . فكان الخير واقعاً بالقصد الاول وكان الشر واقعاً بالضرورة والعرض وانما التزم فعله لان ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير فليس من الحكمة ترك المطر الذي به حياة العالم لئلا تتهدم به دور معدودة ولا يتألم به سائح في البحر او في البر (١) » .

من أجل هذا قالت المعتزلة بعبارة الاسلامية المشهورة : « ليس في الامكان ابدع مما كان » ورأى الفارابي في مجموع نظام العالم دليلاً على خيرية الله وعدالته (٢) وكذلك ذهب الصوفية المسلمون : فابن الرومي يبسط في كتابه « مثنوي معنوي » رأيه في أن كل اضطراب هو انسجام ولكن غير مفهوم وان كل شر جزئي انما هو خير كلي (٣) .

أما رأي الرواقيين في الحكمة فيظهر ان الاسلاميين عرفوه فهم على كل حال يشيدون باخلاق سقراط وديوجانس وزينون مطرين حياتهم ذاكرين الكثير من اقوالهم في صفات الحكيم وما ينبغي ان يكون عليه . من هذا القبيل ما يروى من ان الفارابي نقل عن زينون انه قال : « ينبغي لمن يتعلم الحكمة ان يكون شاباً فارغ القلب غير ملتفت الى الدنيا صحيح المزاج محباً للعلم بحيث لا يختار على العلم شيئاً من اسباب الدنيا ويكون صدوقاً لا يتكلم بغير الصدق محباً للانصاف بالطبع لا بالتكلف ويكون أميناً متديناً عاملاً بالاعمال الدينية والوظائف الشرعية غير مخل بواجب منها . فمن أخل بواجب من واجبات أتى النبي من انبياء الله به ثم ادعى الحكمة فهو أهل أن يهجر ويترك ويحرم على نفسه ماكان حراماً في ملة نبيه ويوافق الجمهور في الرسوم والعادات التي يستعملها أهل زمانه ولا يكون فظاً سيء الخلق فان الحكمة تنافي سوء الخلق ويرحم على من دونه في الرتبة ولا يكون أكولا ولا متهتكاً ولا خائفاً من الموت ولا جامعاً للمال الا بقدر الحاجة بما يحتاج اليه . فان الاشتغال بطلب اسباب المعاش مانع عن العلم وتوريث ما فضل من النفقة والعمر لا يكون مانعاً عن العلم ولا عائقاً عن نيل الرتبة في الآخرة لعل غيره من أصحاب صناعته وشركائه ينتفع به بعد موته فيكون خيراً في حال حياته وبعد وفاته لغيره ولا يستنكف عن التعلم فان سقراط كان كثيراً ما يستفيد من تلامذته وافلاطون وارسطو كذلك فان العلم

(١) الايجي : « المواقف » (المتن) طبع سنة ١٣٥٧ ص ٣٢٣ (خاتمة المقصد الرابع من المرصد السادس) .

(٢) الفارابي : « المدينة الفاضلة » طبع ديتريس ص ١٧ .

(٣) Nicholson, *Legacy of Islam*, p. 235

كنز مدفون يفوز به من سهّل الله طريقه اليه ... ويدع الوقيعة في الناس فان أراد تهذيبهم هذّبهم بنصائح غير مؤلمة وان خالطهم ببدنه وخالفهم بخلقه بالسر فله ذلك ويعود لسانه قول الخير والصدق ويعين الاخوان بما يفضل منه — فمن فعل ذلك فهو حكيم حقيقي يتمتع بالحكمة واسرارها . ومن كان يخالف ذلك فهو حكيم بهرج مثله كمثل نحـاس مطلي بالذهب فاذا فارقته نفسه بقيت في حسرة وبلاء »[١] .

ولعلّ الفارابي قد استعار من الرواقيين كثيراً من الخصال التي يتصف بها الحكيم والصفات التي يذكرها لرئيس المدينة الفاضلة أقرب الى صفات الحكيم الرواقي والفيلسوف عند الفارابي أشبه بالنبي[٢] وليس الأمر — كذلك عند افلاطون — .

ويرى الفارابي كذلك أن أفضل المدن وأكمل الجماعات الانسانية يجب أن يتسع حدودها فتمتد الى الارض المعموزة كلها[٣] فاذا التمسنا أصل هذه الجامعية التي لا تقرب من أنظار افلاطون وارسطو وجدناها ترجع الى اصحاب الرواق الذين نظروا الى الانسان نظرة أوسع وأشمل فتخطو بها حدود الاجناس والأمم والاقطار .

وأقوال الاسلاميين في صفات الحكيم قريبة التعبير عن حال الرواقيين من الهداة الاخلاقيين الذين عرفتهم رومة أبان العصر الامبراطوري والذين نجد خير صورة لهم في « مرقس اوريليوس » نفسه .

وتجد الاخلاق الرواقية ايضاً عند متصوفي المسلمين وزهادهم الاولين والظاهر ان حسن البصري كان من هذا القبيل . كان هادياً مرشداً وكان له — فيما يروي الهجويري — قدم راسخ في « علم المعاملات » سأله اعرابي عن

(١) راجع رسالة لزيتون — (صورة فوتوغرافية) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٠٥٤ وفي كتـاب البيهقي « تاريخ حكماء الاسلام » — (مخطوط بدار الكتب المصرية ص ١٤ — ١٥) والسهروردي « نزهة الارواح » . (مخطوط مصور بمكتبة الجامعة المصرية ص ١٨١) ان الفارابي قال : « ينبغي لمن اراد الشروع في الحكمة ان يكون شاباً صحيح المزاج متأدباً بآداب الاخيار قد تعلم القرآن واللغة وعلوم الشرع أولا ويكون عفيفاً صدوقاً معرضاً عن الفسوق والفجور ، والغدر والخيانة والمكر والحيلة فارغ البال عن مصالح معاشه . غير مخل بركن من اركان الشريعة ولا بأدب من آدابها معظماً للعلم والعلماء » .

(٢) الفارابي — « المدينة الفاضلة » طبع ديتريس ص ٥٩ — ٦٠ كذلك الفارابي « تحصيل السعادة » ص ٤٤ — ٤٥ .

(٣) الفارابي — « المدينة الفاضلة » ص ٥٣ — ٥٤ .

الصبر فقال : « الصبر على نوعين صبر على المكاره وصبر على الامساك عما أمر الله ان نتجنبه »[١] .

ولا شك ان عادة تفقد الانسان عيوب نفسه عادة ترجع الى الاخلاقيين الرواقيين وأنصار الافلاطونية الجديدة . والكندي فيلسوف العرب ممن جروا على ذلك وكتب في هذا الشأن رسائل ذكرها ابن مسكويه[٢] .

وممن كتبوا في سيرة الفيلسوف ابو بكر الرازي وكان مثله الاعلى يدور حول شخص سقراط والرازي يتخذ الفيلسوف اليوناني قدوة وإماماً كما كان يفعل بعض الرواقيين[٣]

(١) الهجويري – « كشف المحجوب » ترجمة نيكلسون (Nicholson) ص ٨٦ .
(٢) ابن مسكويه – « تهذيب الاخلاق » ص ٢٢١ .
(٣) الرازي (ابو بكر) « السيرة الفلسفية » P. Kraus, *Orientalia*. Vol. IV, nova series fasc. 3/4 (1935).

أقراباذين السمرقندي

بقلم نوري الخالدي ومارتن ليفي

ان تاريخ الفرس حافل بأسماء العلماء والاطباء أثناء الحكم العربي وان تعاون العرب الذين اشتهروا بولعهم بكل ما يمت بالعلم والدين مع الفرس الذين تميزوا بحذاقة علمية نادرة ذلك التعاون الذي رفع من شأن العلم والبحث والتأليف قد وصل الى نهايته المفجعة في أوائل القرن الثالث عشر وقضى على الحضارة الاسلامية في ذلك الاقليم ولا سيا على العلم والطب قضاء مبرماً .

ان غزو المغول الكاسح وافتتاحهم المدن وتسلطهم على معظم القسم الاسيوي من بلاد الشرق الاوسط حتى مدينة بغداد كان العامل الاساسي لتقويض معالم الحضارة والمدنية والوصول بها الى هذه النهاية المؤسفة . وفي احدى حملاتهم التدميرية أتوا على مدينة هرات التي كان عدد سكانها يقارب النصف مليون نسمة ووصفها ياقوت قائلاً : « محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء وقد أصابها عين الزمان ونكبتها طوارف الحدثان وجاءها الكفار من التتر فخربوها حتى ادخلوها في خبر كان فانا لله وانا اليه راجعون وذلك سنة ٦١٨ »[١] وصاحب الاقراباذين نجيب الدين السمرقندي كان في هرات وقتل فيها عام ١٢٢٢ م[٢] .

ان معظم المدن الكبيرة قد دمرت والمكتبات أتلفت والكتاب والعلماء الذين لم يتمكنوا من الهرب قد قتلوا واصبحت البلاد في فراغ ثقافي وقحط فكري حتى نهاية العصر حيث تأثر المغول بمدنية البلاد التي اجتاحوها وشذبت اخلاقهم وتلاشت بربريتهم وتطورت نظرتهم الى العلم والحضارة فأخذوا بتشجيع العلوم وخاصة علمي الفلك والطب .

كان السمرقندي قبل وقوع الكارثة قد كتب كتباً مهمة في الطب لم ينشر منها شيء بعد ومن اشهر مؤلفاته المعروفة كتابه « **الاسباب والعلامات** » الذي

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٣٩٦ ، بيروت ١٩٥٧ .

(٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص ٣١ تحقيق امرئ القيس بن الطحان ، الطبعة الاولى ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٩٩ هـ الموافق ١٨٨٢ م .

استمرّ اثره في الشرق لمدة خمسة قرون [١] والكثير من شذرات هذا الكتاب مشهور ومعلوم وموجود في كثير من المؤلفات ولا سيما في كتاب نفيس بن عوض الكرماني المتوفى عام ١٤٤٩ « شرح الاسباب والعلامات » [٢] وفي عصر متأخر اي حوالى ١٧٠٠/١٧٠١ كتب م. أرزاني مؤلفاً اضخم استند فيه على هذا الشرح وسماه طبي اكبري [٣] وفيما يلي مؤلفاته الاخرى الباقية وكلها تبحث في الطب :

« غاية الغرض في معالجة المرض » ؛
« اصول تركيب الادوية » ؛
« الادوية المفردة » ؛
« أغذية المرضى » ؛
الاغذية والاشربة وما يتصل بها » ؛
« في مداواة وجع المفاصل » ؛
« في الطب » ؛
« في كيفية تركيب طبقات العين » ؛
« نبذة عن العقاقير سهلة التداول » [٤] ؛
« اقراباذين » ؛
« في علاج من سقي السموم او نهشه الهوام وغيرها » ؛
« في الادوية المستعملة عند الصيادلة » ؛
« في اتخاذ ماء الجبن ومنافعه وكيفية استعماله » [٥] ؛
الأقراباذين .

لقد استعملنا في بحثنا هذا مخطوطة آيا صوفيا رقم ٣٥٥٥ ومخطوطة لايدن رقم ١٣٥٣ ولكن اكثر اعتمادنا كان على مخطوطة آيا صوفيا لانها افضل وخطها اوضح . فهي تحتوي على ٤١ ورقة [٦] وفي كل صفحة ١٧ سطراً وذكر على هامش الصفحة الاولى بأن هذه النسخة وقفها السلطان الغازي محمود. وفي نهاية المخطوطة يذكر الناسخ بأنه فرغ من العمل في اليوم الثالث من ربيع الاول سنة

(١) GEORGE SARTON, *Introduction to History of Science*, Vol. II Part I p. 69.
(٢) L. LECLERC, *Histoire de la Médicine Arabe*, Paris, 1876, vol. 2, pp. 127-128
(٣) راجع : F. WUSTENFELD, *Arabische Aerzte*, Göttingen, 1840, p. 119.
(٤) ترجمت من اللاتينية *Tractus de Medicamentis Repertu facilibus*
(٥) قارن C. BROCKELMANN, *Gesch. d. arab. lit.*, Leiden, 1943 I. p. 49; 1937, S., I. pp. 895-896.
(٦) *Folio*

سبع وخمسين وثمانمئة في معمورة باكوم.

يأتي السمرقندي في المقدمة المختصرة على ذكر الاسباب التي دعته الى وضعه الاقراباذين قائلاً :

« ولأني لما كنت بصدد هذه الصناعة احببت ان اجمع من كتب الطب لمن يتعاطى هذه الصناعة ويزاولها (يباشرها) [١] اصول تركيب الادوية مختصراً بحسب الوقت والحال متحرياً (طالباً) سهولة طريق الانتفاع بهـا وتسهيلاً للمستفيدين منها فانني رأيت اطباء دار المرضى بمدينة السلام (بغداد) حماها الله تعالى اقتصروا على عدة نسخ من المركبات يشملها اوراق معدودة ورفضوا المعاجين الكبار لعوز (فقدان) الادوية وقلة عنايتها (نفع) فيما يطلب منها » [٢].

ويستدل من الشذرة التالية بأنه كان المنتظر من الاطباء ان يفضلوا الشفاء الطبيعي على استعمال الادوية المركبة فيقول : « وقالوا اتخذنا المثروديطوس [٣] وما وجدنا فيه نفعاً لفساد تركيبها واستعمال ابدال ما لم تجد في الادوية ولا ينبغي للطبيب ان يعالج كل ما يحدث في البدن من الامور اليسيرة والتغيرات القليلة بعلاج بل يدبر ذلك بتغيير التدبير وتعديل الامور الضرورية الستة ولا يثير شيئاً ولا يشوش على البدن افعاله الطبيعية وان تسكين المتحرك اصعب من تحريك الساكن ومتى يقدر ان يعالج بالاغذية الدوائية لا ينبغي ان يعالج بالادوية وان اضطر فبالأدوية الغذائية وان ألجئ الى الأدوية الصرفة فلا يتجاوز المفردات منها ما أمكن لأن ذلك اخف على الطبيعة وابلغ فعلاً في المرضى كما قـال جالينوس في الادوية المركبة ان الادوية الموصوفة بكثرة المنافع لا تنفع ولا في واحد من تلك الخلال (الخصال) نفعاً عظيماً قوياً من اجل انها لما ركبت من ادوية شتى ينفع كل واحد منها من علة من العلل كان الذي يقع في الشربة الوافية من الدواء المركب لنفع علل كثيرة مقداراً يسيراً من الدواء النافع من كل واحد منها فلا يبلغ ابداً من النفع في العلل التي تسقى لها ما بلغ ذلك المقدار من الادوية المفردة النافعة من تلك العلل » [٤].

ويعدد السمرقندي الحالات التي تستعمل فيها الادوية المركبة ويعزوها الى اربعة عشر سبباً :

---

(١) ان الكلمات المحصورة هي كلمات وجدت اما على هامش المخطوطة او فوق النص وهي اما تفسير للنص او استدراك لنقص.

(٢) مخطوطة ايا صوفيا ٣٥٥٥ ، ص ٣ ب.

(٣) المثروديطوس هو ترياق كانت له شهرته قبل اكتشاف الفارق.

(٤) مخطوطة ايا صوفيا ٣٥٥٥ ص ٣ ب و ٤ آ.

« وجميع ذلك اربعة عشر سبباً احدها مقدار سوء المزاج حيث لم يوجد دواء مقابل له في مقداره فركب الاقوى منه في كيفيته مع التي (الذي) دونه فيها فيجتمع منها مزاج مقاوم لذلك المزاج الردي والثاني قوة المرض وشدته حيث لم يوجد دواء واحدمقاوم له فركب ليعين بعضها بعضاً في مقاومته والثالث اختلاف حال المرض ويقتضي علاجه فلم يوجد دواء يفعل افعالا مضادة مثل الجلاء والتمليس في امراض الصدر والتحليل والردع في الاورام فيركب والرابع الاستظهار ليكون عدة لمقاومة سموم عدة (مثل ترياق الكبد) وامراض شتى وهذا اشرف المركبات لانه يستفيد من التركيب قوة فوق قوى جميع المفردات لكن الشأن في وجود مفرداته والخامس بعد العضو الآلم عن المعدة فيركب مع الدواء النافع له ما يبدرقه [١] ويوصله اليه بالسرعة كالزعفران مع الكافور (في ادوية القلب لأنه ينفذ الكافور في القلب لتبريده) والدارصيني [٢] مع الشاذنج [٣] والسادس قوة العضو وشرفه وكثرة منافعه فيخلط بدوائه المحلل لأورامه والملطف لأخلاط فيه ما يحفظ عليه قوته من الادوية القابضة العطرة والسابع بشاعة الدواء وكراهته حتى يطيب ويقبله الطبع والثامن زيادة قوة الدواء كخلط الزنجبيل بالتربد [٤] كالمصلحات (كخلط المصلحات) مع المسهلات والعاشر نقص قوة الدواء كالصمغ في شياف الزنجار [٥] والحادي عشر كسر عادية (غائلة) الدواء كخلط الجندبيدستر [٦] بالافيون والثاني عشر حفظ الدواء المركب زماناً طويلاً كخلط الافيون بالمعاجين الكبار والثالث عشر اختلاف الادوية في اجرامها واستعمالها في الجهة المرادة كخلط القيروطي [٧] بالادوية المختفرة (اي المعدنية) في المراهم والرابع عشر عوز الدواء الواحد النافع من العلة كخلط القيروطي بالزنجار ليحصل منها دواء نافع للقروح حيث لم توجد الادوية التي

---

(١) بدرق : حفظ .

(٢) *Cinnamomum Caphora*

(٣) *Nematite, Sanguine*

(٤) *Ipomoea Turpethum* نبات يكثر في المناطق الاستوائية ويوجد في كل انحاء الهند حيث يستعمل كدواء مسهل :

(٥) زنجار : صدأ النحاس وخضرته وزهره . راجع : M. LEVEY, *Mediaeval Arabic Bookmaking and its Relation to Early Chemistry and Pharmacology*, Philadelphia, 1962, p. 21.

(٦) الجندبيدستر *Castoreum* ، مادة قوية الرائحة يفرزها كلب البحر وتستعمل في الادوية والطيوب .

(٧) القيروطي : *Ceruse* اسفيداج . رصاص ابيض .

تصلح للقروح فهذه هي الاسباب الموجبة للتركيب والمضطر اليها عند عوز دواء مفرد يفي بجميع ما يراد منه »[١].

وتكلم السمرقندي عن العلاقة الكمية بين المفردات في الادوية المركبة وشرحها شرحاً وافياً حاصراً اياها في سبعة اسباب كما يلي :

« وأما سبب اختلاف اوزانها فهي اسباب سبعة مفردات واسباب مركبة من تلك المفردات . أما السبعة المفردات فأحدها قوتها وضعفها في كيفياتها والثاني في كثرة منافعها وقلتها والثالث شرف منفعتها وخساستها والرابع مشاركتها في المنفعة وانفرادها بها والخامس مواضع الاعضاء العليلة بحسب قربها من المعدة وبعدها عنها والسادس وجود ادوية في المركب تضعف قوتها وعدمها والسابع وجود مضرة فيها لبعض الاعضاء أو لنقص الادوية وعدمها اما اختلاف اوزانها بحسب قوتها وضعفها فان شدة قوة الدواء في التسخين والتبريد توجب التقليل منه في المركب وضعف قوته يوجب التكثير ليقوم بكثرته مقام ما يراد منه من قوته واما اختلافها بحسب كثرة المنفعة وقلتها فكثرة المنافع توجب التكثير وقلتها اعني كون الدواء ذا منفعة واحدة يوجب التقليل واما اختلافها بحسب شرف منافعها فشرف المنفعة يوجب التكثير وخساستها توجب التقليل واما بحسب مشاركتها لغيرها في المنفعة فالمشارك فيها يوجب التقليل منه والمنفرد بها يوجب التكثير واما واما بحسب قرب الاعضاء العليلة وبعدها عن المعدة فبعدها يوجب التكثير ليتدارك به الضعف الذي يحدث له في طول المسافة وقربها يوجب التقليل بقدر الحاجة واما بحسب وجود ادوية في المركب مبطل بعضها قوة بعض فوجود ذلك يوجب تكثير الدواء النافع وعدمه يوجب تقليله[٢] واما بحسب وجود مضرة في الدواء لعضو او نقص منه لفعل شيء من الادوية فذلك يوجب التقليل وضده لا يوجب »[٣].

ونلاحظ في الاقراباذين ان السمرقندي يعتمد على القياس في تركيب الادوية الجديدة :

« وطريق القياس مأمون مستعمل معتمد عليه في جميع التدابير الطبية وعسره لا يوجب تركه فان الاوائل ركبوا جميع ما ركبوا بطريق القياس فوجدوها بعد التجربة على غاية ما املوا (عملوا) حتى دعاهم ذلك الى ان دونوها وخلدوها في

---

(١) مخطوطة ايا صوفيا ٣٥٥٥ ص ٤ ب و ٥ آ .

(٢) « قل او نقص اي يمكن ان ينقص دواء فعل دواء آخر من الادوية في التركيب فلذلك تقل كية ذلك المنقص حتى لا ينقص كيفية الدواء المنقص اليه . »

(٣) مخطوطة ايا صوفيا ٣٥٥٥ ص ٥ آ و ٥ ب .

الكتب فيجب ان يكون فعلهم اسوة [١] لنــا في اتخاذ المركبات على انحاء (انواع) التركيب حسب ضروب الحاجات وكفاء المصالح الا في مركبات علمنا قوانينها واغراضها في تركيبها ان اتفق ان سنح لنا اغراض مثل اغراضهم فتتفق الخواطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر وانا اثبت من ذلك القبيل بعض ما تداولته ايدي التجارب وابرزته عن القوة الى الفعل على طريق المثال حتى ينتفع به عند اصابة موضعه واستعماله في مستحقه » [٢].

ان المقدمة ذات فائدة عظيمة وعلى الاخص لطلاب تاريخ الصيدلة لانها تأتي على ذكر النواحي النظرية والعملية باسلوب مبسط سهل للفهم. لم تزل النظرية الاساسية عنده هي الاغريقية التي تقول بأن العناصر الاربعة هي الهواء والنار والتراب والماء. ولكنه لا يبحث عنها بل يذكر احياناً بأن الاخلاط هي بنات العناصر. سمى ارسطو مادة الانسان عناصر والاخلاط عوارض الانسان [٣]. يفضل السمرقندي في اكثر الاحايين التفكير بالقوة العلاجية لدواء ما عوضا عن ان يشير الى الاخلاط ولا يبحث في الادوية الباردة والحارة والرطبة والجافة وفي علاقتها ببعضها عندما يخوض في مقدمته في النظريات بل يذكرها في الوصفات فقط كجزء من الفكر العام للقيمة التجريبية في بعض الحالات. وأما كيفية استعمال السمرقندي للادوية فهي تشابه طريقة ابيقراط التي تعتمد على القاعدة التجريبية والاختبارية اكثر مما تعتمد على النظريات. ولا يتخذ فكرة جالينوس للاخلاط كنظرية يعتمد عليها في المعالجات انما يستعملها للشرح والايضاح.

يتألف الكتاب من تسعة عشر باباً عدا المقدمة:

١ — الاشربة والربوب؛
٢ — الجوارشنات والمعجونات؛
٣ — الحبوبات والايارجات؛
٤ — المطبوخات والنقوعات؛
٥ — الحقن والشيافات والفرازج
٦ — ادوية القيء:

(١) « الاسوة الخصلة اي لما ركبوا الادوية على هذا القياس فصار عملهم حجة لنا في جواز هذا الامر. »
(٢) مخطوطة ايا صوفيا ٣٥٥٥ ص ٦ آ.
(٣) راجع « العوارض » في بحث نظرية الذرة العربية في M. Levey, *Studies in the Development of Atomic Theory*, *Chymia*, 7,40-56, 1961.

٧ — اللعوقات ؛
٨ — الاقراص ؛
٩ — السفوفات والقمايح ؛
١٠ — الاضمدة والاطلية والكمادات ؛
١١ — الادهان ؛
١٢ — ادوية العين ؛
١٣ — المراهم والذرورات ؛
١٤ — السنونات ؛
١٥ — الغراغر ؛
١٦ — المربيات ؛
١٧ — السعوطات والعطوسات والشمومات والبخورات
١٨ — النطولات ؛
١٩ — ادوية الشعر .

ونرى ان النظرية الاغريقية القديمة قد استعملت في الشرح العملي للوصفات وتمثل الشذرات الآتية ذلك بوضوح :

« وملاك الامر في علاج الحميات تفتيح السدود التي هي سبب عفونة الاخلاط ويزاد في الحميات ما يسهل بالارخاء مثل البنفسج والفواكه كالاجاص والتمر الهندي والزبيب والمشمش والعناب والسبستان وما يفتح السدود مثل اصل الهندباء وبزره والريوند والغافت والكشوث وكذلك ان اتخذ لتنقية الدماغ سقي مع شراب الورد وجعل في العلاوة الايارج وكذلك للمعدة مثل الافسنتين وللطحال مثل اصول الكبر وللكبد مثل ورق عنب الثعلب [1] ونحوه وهكذا الافسنتين للامعاء وتنقيتها من الديدان والرطوبات المخاطية والزجاجية او للجلد وتنقيته من مادة الجرب او للكلي والمثانة وتنقيتها من الرمل والحجارة ومادتها يزاد لكل واحد منها ما يختص بذلك العضو وتلك المادة وكلما سخت (ظهرت) حاجة ونقصت اخرى يزاد وينقص بحسبها واما النقوعات فهي الطف من المطبوخات الساذجة ونسبتها الى المطبوخات المقواة بالسرداروج لان الغليان والطبخ يضعف على الادوية في استخراج قواها ويخلط بعض اجرامها بالماء ويحلل ما لطف منها خاصة ما كان من الادوية مزاجة رخواً سلساً يحلل الطبخ قواه كالافتيمون وكثير من الحشايش واذا كانت لطايف (لطافة) اجراء الادوية ورخاوة التركيب تبلغ

(١) عنبُ الثعلب *Solanum Nigrum* « ظل الليل الاسود » وهو دواء معروف في الهند حيث يكثر تمر العليق ويستعمل كمعرق ومدر للبول في امراض القلب .

مبلغاً يسلب الغسل قوتها كالهندباء ونحوه فكم بالحري ان تحلل الحرارة القوية الشديدة والطبخ الطويل قواها والمنقوع (فالمنقوع) اخف من المطبوخ وابرد ايضاً فانه (لانه) لا يكتسب من حرارة النار ما يكتسب المطبوخ فلذلك هي اوفق في الحميات والامزاج الحارة والمترفين المستبشعين (اي الذين يكرهون الدواء) للادوية الكريهة الطعوم والروايح واكثر ما يراد من النقوعات في الحميات تلين البطن مع تسكين الحرارة وفي غير الحميات اخراج المواد بالرفق قليلاً قليلاً ومن النقوعات المستعملة في الحميات نقوع الفواكه مثل تمر الهندي والاجاص والنلك [١] والمشمش والخيار شنبر [٢] والعناب والسبستان وينقع في ماء الورد وماء الرمان المز المشحوم ويسقى بمثل الشرخشت [٣] او الترنجبين [٤] او السكر او شراب الورد او شراب البنفسج [٥] بقدر الحاجة الى الحلاوة والمزازة والحموضة وهذا الطف النقوعات واطيبها » [٦] .

إن الكثير من العقاقير المستعملة في الاقراباذين هي من اصل فارسي كالسرداروج والترنجبين وشرشخت وغيرها . وان كان العرب قد اقتبسوا نظرية الاخلاط الاساسية واعتمدوا عليها لانها قريبة من المنطق فعلم خواص الادوية في هذه العصور لم يقف به المطاف عند هذا الحد ويتحجر بل اضيفت الى دستور الصيدلة في هذه الفترة الآلاف من الادوية التي كانت موجودة في العالم المتمدن آنذاك .

لقد أدخل الترتيب والنظام الى هذا الحقل بتصنيف علم خواص الادوية في رسالات كالاقراباذينات وقوائم بالمترادفات وكتب عن السموم وقوائم بالمفردات الطبية وبمضادات السموم مصنفة حسب الحروف الابجدية وكتب عن علم الحيوان .

في علم خواص الادوية العربي نرى طريقة التركيب مثلاً قد تطورت وتحسنت بفضل ادخال عنصري العقل والمثابرة في ممارسة هذا الاختبار في عصر لم تكن

---

(١) « النوجه وهو شجر الزعرور واجوده الاحمر البالغ والاصفر افضل للبطن وهو بادر يابس فاقتضى » .

(٢) الخيار شنبر *Cassia Fistula*

(٣) شرخشت *Siracost* بالفارسية السكر الناشف ، نوع من المن .

(٤) الترنجبين : نوع من المن .

(٥) « ينبغي ان يكون احد المسهلين المتخالفين اغلب او يتبع بالشيرخشت المطبوخ اذ لا يجوز الجمع بين ماء الرمان المز وماء الورد بناء على القاعدة المشهورة وهي ان لا يجمع بين المسهل بالعصر والمسهل بالتليين وكان المصنف اعتمد على هذه القاعدة ولهذا اطلق القول » .

(٦) مخطوطة ايا صوفيا ٣٥٥٥ ص ١٧ ب و ١٨ آ و ١٨ ب .

فيه الكيمياء وعلم وظائف الاعضاء قد وصلا الى مكانة محترمة ومن الاهمية بمكان ان نثبت مقدمة الباب الثالث من الاقراباذين في الحبوب والايارجات ونلاحظها على ضوء هذا البحث .

« الباب الثالث في الحبوب المسهلة والايارجات وهي ادوية مسهلة مجموعة مع مصلحاتها وما يكسر غوايلها ويعين على اسهالها تهيئة للمواد وتلطيفاً لها واسالة اياها والايارج معناه الشريف وتأويله المسهل المصلح وتفسيره الدواء الالهي وانما خصت المسهلات من الادوية بالامر الالهي وان كان جميع الموجودات منه تبارك وتعالى لان خواص المسهلات وقواها ليست من عالم الخلق والطبيعة بل من عالم الامر وهي اعني الايارجات اقدم استعمالا من الحبوب استعملها القدماء وكانوا يقتصرون عليها آمنين من غوايلها لكثرة المصلحات والغازهرات (الغاذزهرات) فيها واستفادتها من العسل تخمراً ومزاجاً ثم جروا بعد ذلك على استعمال الحبوب وهي (ايارجات) تصلح للادخار وتزداد جودة به بخلاف الحبوب فانها تصلح للوقت والحال قبل الجفاف والقانون المعطي في اتخاذ الحبوب ان يجمع الادوية المسهلة (المحتاج) اليها شربات تامة ويجمع مع مصلحاتها ثم يحسب عدد المسهلات (اي جميع الادوية بعد العجن)فيقسم الجميع على عددها ان كان اثنين فنصفين او ثلثة فأثلاثاً او اربعة فأرباعاً او خمسة فأخماساً فيكون كل قسم شربة تامة ولكن لما لم تكن حاجتنا الى جميع الادوية المسهلة التي ركبنا منها الحبوب والى اسهالها متساوية في جميع الاوقات بل (قد) تكون حاجتنا الى بعضها اكثر والى بعضها اقل واحتجنا كثيراً الى ان يقع في الشربة منها شربة كاملة من واحد منها فلو جمعناها شربات متساوية وقسمناها على اعدادها ما حصل لنا في شربة واحدة منها من ذلك الدواء المطلوب فعله اكثر الا شيء قليل قاصر عن بلوغ مرادنا ويجتمع عندنا شربات ضعيفة لا تبلغ الواحدة منها غرضنا ويجف الباقي ويضعف فمن اجل ذلك رفضنا ذلك القانون وتركناه وصدرنا النسخة بدواء هو العماد والمعمول عليه في غرضنا وتممنا وزن الشربة منه على حسب ما توجب الحال والقوة ثم تتلو ذلك المسهلات الاخرى المحتاج اليها على مراتبها بحسب الحاجة الى كثرتها وقلتها ثم بحسب اوزانها ويقتصر في اقل الشربة على ثلثة دراهم ولا يتجاوز في اكثرها من اربعة دراهم ثم تكتب (ثم يركب) مصلح كل منها بازائها على الربع منه او على الثلث ان اردنا توهين قوته ثم نجمع الجميع بالمقل [1]

(١) المقل . نوع من الصمغ (نخل طيبة) *Bedellium* .

والكثيرا [١] ان وقع فيه ويحبب حبوباً كباراً ان اتخذناهـا للدماغ والمعدة ليبطو نزولها او صغاراً ان اتخذناها للاسافل والاطراف حتى لا يطول وقوفها في المعدة فيحصل لنا شربة وافية تفي بغرضنا» [٢] .

ان هذه المخطوطة ليست قيمة فقط لانها شرح عام واف للعلم الصيدلاني العربي في القرن الثالث عشر بل لانها ايضاً نموذج للاقراباذينات التي هي من هذا الباب . ان اول من كتب في هذا العلم وعلى هـذا النسق هو الكندي [٣] الذي عاش في القرن التاسع . ان ثلث العقاقير التي يأتي الكندي على ذكرها في اقراباذينته هي من بلاد ما بين النهرين والثلث الآخر من فارس واخذ واقل من الربع من اصول يونانية. واما في اقراباذين السمرقندي نلاحظ كثرة العقاقير الفارسية وقلة اليونانية . ويظهر ان المواد الاولية اليونانية كانت اقل استعمالاً واهمية في الاوساط العلمية في الشرق عامة وفي فارس خاصة واقـل تأثيراً في العلم الصيدلاني العربي ولهذا يجدر بنا ان نعيد النظر في حقيقة مدى التأثير اليوناني في هذه المنطقة ليتسنى لنا اعطاء المسلم حقه في تاريخ العلم الصيدلاني .

---

(١) الكثيرا . نوع من الصمغ *Astragalus Gummifera, tragacanth* « اي ان كان المقل والكثيرا في ذلك الدواء مكتوبا » .

(٢) مخطوطة ايا صوفيا ٣٥٥٥ ص ١٣ ب و ١٤ آ .

(٣) M. Levey,, « *The Aqrabadhin of al-Kindi and early Arabic Chemistry,* » *Chymia*, 8,11-20 (1962).

متفرقات (تابع)

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

٧

راجت في لبنان الحياة الرهبانية عند تأسيسها على يد من سيدعى يوماً الى الاسقفية عبدالله بن ميخائيل قراعلي . واخذ الرهبان ، وخاصة المتوفقون بينهم بكتاباتهم ومواعظهم وتآليفهم المختلفة يسدون الآراء لتوجيه من اراد ان يسير معهم في طريق الكمال . وها نحن ننشر هنا رسالة بالسؤال والجواب وفيها قيمة المؤلف والطريقة المستعملة لتدريب النشء :

[١١٣] صورة المتريضين

تأليف الاب القديس الكلي الشرف والاحترام عبدالله ابن مخائيل قراعلي الماروني الحلبي اسقف بيروت سنة ١٧٣٠ مسيحية .

قال التايب لله الهي ما الذي تريده مني ؟

اجابه : اريد منك ان تسعى نحو الغرض الذي خلقتك لاجله .

س : ما هو الغرض يا رب الذي خلقتني لاجله ؟

ج : هو ان تكون معي وارثاً جنتي .

س : هل تمنحني جنتك بشرط ام مجاناً بغير شرط ؟

ج : لا امنحك اياها الا بشرط لازم . وهو انك تخدمني في هذه الحياة كما اريد .

س : من اين اعرف يا رب ما تريد ؟

ج : تعرف ذلك من دليلين . الاول ذمتك والثاني الكتب الروحية .

س : نعم يا رب ان ذمتي كانت مجتمعة صاحية . فحقاً انها تدلني على ما تريده انت مني . ولكن متى كانت تايهة سكرانة من قبل خطاياي وعوايدي الردية فلم يبقَ لها قوة على ان تدلني على ارادتك فحينئذ ما اصنع .

ج : اسمع يا عبدي لو يأتيك مكتوب من الامير او الملك بان تعمل

بما فيه ورأيت هذا المكتوب سقيم الخط . لا يفهم معناه بسهولة . اما كنت تأخذ هذا المكتوب تعتزل به ناحية منفردًا لتفهم ما فيه جيدًا . وان امكنك وجدت رجلاً تثق بصداقته وله براعة بالقراءة . اما تأخذه معك ليساعدك على ادراك معاني الكتاب . فهذا بالتمام افعله مع ذمتك اذا كانت سكرانة من قبل خطاياك الكثيرة كما قلت . اعني اعتزل بنفسك [١١٤] مكانًا منفردًا ومعك كاهن تثق بمعرفته وفضله . وهناك ما بينك وبينه تتفهم جيدًا احكام ذمتك وما هو الواجب عليك تركه وما هو الواجب عليك عمله . وحينئذ تنتضي بعلم ما اريده منك انا ربك ويتسهل لك العمل بخدمتي . وتبلغ بواسطتها الى ميراث جنتي تمام غرضي في خلقتك .

س : نعم يا رب وبعد ان تدلني ذمتي على ما يلزمني من خدمتك ورأيت نيتي ثابتة على العمل بخدمتك . بل عزمي متقلق قلق . فحينئذ ماذا اصنع؟

ج : اقصد حينئذ الدليل الثاني السابق ذكره اعني الكتب الروحية فتلك تشدد عزمك نحو طاعتي وتقوم بخدمتي وليكن ذلك بمشورة الكاهن مرشدك .

س : واذا بقيت انا بعد قرآتي الكتب الروحيــة واستماعي تعليم الكاهن مرشدي . فاتر القلب مسجس النية غير راغب خدمتك . فحينئذ ماذا اصنع؟

ج : اعلم يا عبدي ان هذا المصاب يصيب كثيرين من المتريضين بالانفراد وسببه ليس بواحد بل جملة اسباب . **فالأول** لان البعض من المتريضين لا يكشفون افكارهم بالتمام لمرشدهم . بل يبقوا في زوايا قلوبهم اشياء خفية لا يظهروها او يظهروها . ولكن بنوع لا يفهمها المرشد جيدًا تمام ما هي. ولذلك امسك نعمتي عنهم فلا ينتفعون من قرآة الكتب الروحية شيأً ولا من ارشاد المرشد . ويمكثون غير مستقيمين النية في خدمتي وبالواجب يصيبهم ذلك . اذ كان من لا يظهر اوجاعه للطبيب بالتمام لا يناله الشفا التام . **الثاني** ان البعض من المتريضين يكشفون افكارهم [١١٥] للمرشد كما ينبغي. لكنهم لا يتدبرون في ايام انفرادهم بتمام التدبير الذي يحده لهم المرشد . بل باهمال ونقص حرص يكملون رسومه لهم . فهؤلاء ايضاً لا ينتفعون من قرآة الكتب الروحية وارشاد المرشد الاّ قايلاً ونادرًا . وبحكم العدل امسك عنهم نعمتي استقامة النية في خدمتي . لان من يتهامل في ان يتعلم ما يفيده لا يستحق ان يعطى له علم ما يفيده . **الثالث** ان البعض من المتريضين يكشفون افكارهم لمرشدهم بالتمام . ويجتهدون بحفظ تدبيره لهم في ايام الرياضة بقدر قوتهم . ومع ذلك لا تعطى لهم استقامة النية على خدمتي ولا ترشدهم الى ذلك قرآة الكتب الروحية بالتمام . والسبب هو سالف تمكنهم بالعوايد الردية والملكات الضدية . وقد كان يلزمهم ان يستعملوا

الانفراد والتأمل باحوالهم في كل سنة مرتين وثلاثة لعلهم يقنعوا ذمتهم ويغصبوا ميلهم الطبيعي الى الرضوان بخدمتي اذا كان المريض المرض المستطيل يلزمه مداومة الطب ليحصل على العافية . ولأن هؤلاء يكررون عمل الطب اي لا يكررون عمل الانفراد فلا يعطون نعمة استقامة النية نحو خدمتي . وحقيقتهم هي انهم يشتهون خدمتي شهوة لا يريدونها حقيقة . الرابع قد يوجد من يكشف افكاره لمرشده كما يجب . ولم يكن مستغرقاً في عادة ردية بل ساعي بسيرة جيدة . ومع ذلك يحس بنفسه اثر خوف من تقلقل النية في خدمتي . وهذا الخوف فهو سياسة من حكمتي . لانني لا اريد لمثل هذا يكونوا مطمانين على انفسهم . ليلا يشرف عليهم التوهم بذواتهم [١١٦] انهم ملكوا فضيلة ثبات النية على خدمتي . فيعجبون ويلحقهم ضرر العجب . فلذلك الحقهم انا بهذا الشك فيحصلون متمرمرين مرتابين بانفسهم رامين ذواتهم . ويبتهلون الي في ان امنحهم ثبات العزم في خدمتي . مع انهم ثابتين العزم في خدمتي . فيخرجون من الرياضة خجلين في انفسهم . وبالتواضع مستغرقين . فهؤلاي لم نعمتي باستقامة النية . كانهم اخذوا عربون ميراث جنتي تمام غرضي بخلقتهم وغايتهم .

س : قد يلوح من كلامك يا رب ان كل من ينفرد لعمل الرياضة عالماً كان او ساذجاً وكشف افكاره لمرشده بالتمام وكما يجب واعرض عليه جميعا (جميع ما) اكتسبه لنفسه من قرآة الكتب والالهامات ورفض رايه بالكل وتبع رأي مرشده . ولو كان مرشده اقل علماً منه . فهذا تستضي ذمته بمعرفة ما يلزمه من عبادتك ويرزق نعمة استقامة النية على خدمتك . لكن بعد هذه المواهب التي حظي بها قد تحققت له ميراث جنتك ام لا .؟

ج : هذا على الارجح انه يموت بنعمتي ويحظي بميراث ملكوتي تمام قصدي بخلقته وغايته رزقنا الله ذلك امين .

٨

هناك نوع من التعبير عن الصداقة والحب كوّن في اللغة العربية — كما وفي سائر اللغات — اسلوباً شائقاً من الحنان والحنين . ولقد توصّل البعض بمهارتهم وتضلّعهم من اللغة ان يتحفونا بجميل التعبير وعمق المعنى وسلامة الافكار ما يشوّق القارئ ويفرّج كربته . وها نحن ننشر في ما يلي قطعةً فيها الشيء الكثير من العاطفة وحسن التخلص لولا بعض المراجعـــات والسجع الذي لا نستسيغه اليوم .

جواب كتاب لأحد الأحباب

تحمل سلامي يا نسيم وسر به وعرّج على ذاك الغزال وسربه
وهب بانفاس عليه عليله تخبره عن شرح حال محبه
ونخ في ذرا تلك المنازل والشذا وبالغ عن المشتاق في بثّ كربه
وبلغ رسالات الصبابة والهوى ليشدو بذكراها الحمام بقربه
[١١٧] ترى هل درى عن فيض دمعي ماجرى على خد مفتون الغرام وصبّه
وبين طلوعي لوعة من فراقه اذا اوقدت لا تنطفى دون قربه
وماذا عسى تغني الرسايل عن فتى وقد اشعلت بالشوق نيران قلبه
ولله حب خافق القلب بالنوى يكاد هواه ان يطير بلبه
له منذ يوم البين ما عرف الكرى ولا علق الطيف الشذوذ بهدبه
ولكنه طوى الصبابة والجوى متى يدعه داعي الغرام يلبّه

يا من حوى اللطافة والزرافة بالسلوك . واللفظ الذي كالجوهر المنظوم بالسلوك . روحي وراحي وراحتي . ومساعدي وساعدي وراحتي . الاخ الاكرم المحترم حرسه الله تعالى . وكان عنه كل شرّ حاجب . ويسّر مصالحه في كل وقت وقرّب منالها بأقرب من العين الى الحاجب . ما حنّ مشتاق . وانّ وناق . وهاجت به البلابل . وناح حمام . وفرد يمام . وغردن على الافنان البلابل . وما شدا شاد على جنك وعود مطار . وغني عندليب الروض فوق عود وطار . وما تمايل الساقيّ وادار كاسات العقار . وهو مشمول من الخمار . وغنتْ قينة على صوت الناي وازاحت عنها الازار والخمار . وما قابلها المحبوب بمراسلة الالحان . وألوى بدلاله على نزرد العذار . وحنت لديه الصيانة والتيم وخلع العذار . وما صبى قلب المشوق الى لقاء احبابه وهوى الى عمق الهوى . وجذبته الاشواق الى التلاق كجذب مغناطيس الهوى وما حدى حادي النياق في كل ربع ونادى بنغمات الاشتياق من مستعار وحزام وسنبلي ونادى . الا وثقت بان اهديكم سلاماً وافياً يعلو سناه ضو وقمر . قد [١١٨] اكتسب كل عرف عاطر واغتصبه وقمر . الطف من نسيم الاسحار . يصيد حبات القلوب كما تصيد للطيور الأسحار . ويعرب عن ود وثيق رقيق يسبي العقول بحلال الاسمار . نشره ارج منه الورد والجلنار والاس حار . اعذب من رنة سنطير او كمان . او اوتار . اذ جاس جيش الهم لحرب الشجي اوتار . وتحيات يعتاض بها المتيم عن نغمة القانون . ويتطيب بذكرها بما يغنى عن القانون . صادرة من اخلاص رد اكيد معنون . من محبّ صادق يصبح ويبيت من جرح النوى معنون . وتسليات اكتسب البرق سنا لمعانها وقدح . تغنى الندامى

عن شرب الحميا بين كاس وقدح. حدث معناها عن حال المحب وعن شوقه شرح. وازال الكروب عن القلوب وللصدور شرح . يتحف ويهدى لمن تبهرج وتزين به كل صقع مع ارض . وصرت به وطاناً وبغير عشرته لمن ارضى .

شعر :

يا سايلي عنه لما جيت امدحه هذا هو الرجل العاري من العار
عاشرته فرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والارض في دار

اعنى به من تشرف وتحلّى بمنيف اسمه تاج الكتاب والعنوان . كريم الطباع . ذو الاتضاع . خال من التكبر والعنوان . لا زال قدره سامياً . وفضله نامياً في كل واد وحي. بعون الحي القيوم الذي امره نافذ في كل ميت وحي. هذا وان مخلصكم في لاعج شوق وتوق سما . وازعجه البعاد حتى كاد لا يدري احد بارض ام سما.

شعر :

لي مدمع وصبيبه في حب من وصبي به
وجوى غدا ولهيبه في حب من ولهي به

[١١٩] ولم يزل يلهج بذكركم قلباً ولساناً ان سكت اوفاه . طالباً جمع الشمل من ربّه ويعزه تعالى ان يمنحه من هذا العطاء اوفاه . ثم ان تفضلتم بالسؤال عنه في اي حال . حمداً لله تعالى طيّب القلب وعن محبتكم ما حال . لا يشغله عندكم لا بنون ولا مال . وهو مستديم في رق رعي الود والعهد لكم لا نكث ولا مال . وقد شق جسمه اذ فراقكم الى عمق النحول اهواه . لم يذق طعم الرقاد منادياً في ليله الاواه . وقد آل به الهيام حتى صيّره برق العود . وهو لم يزل معطّر الاوقات بطيب ذكركم الفايق نشر العود . راجياً من كرمه تعالى التلاق والوصل. وانعقاد سلك التهاني بعد قطعه والوصل . وفي ايمن ساعة سعيدة حسناء . ابهج من ملاحة حسناء . وردت رسالتكم ذات الجمال البديع . المجتنى فوائد نثرها ونظمها من رياض فن البديع . اعلان من الجمان واسما . فايقة على ليلى واسما . فصبون اليها من غير مانع ولا جناح. وقلبي يخفق كطاير ذو جناح. وتناولتها بالكف والراحة . ونلت بذلك السكون والراحة . واستقبلتها بالعنبر والند والمسك الختام . ولثمتها الفاً بعد فضّ الختام . وانشدت قول ابن همام في مدحها يا همام:

شعر :

لقد اقبلت تزهو على العجم والعرب فقبلتها من قبل ان ترفع الحجب
وحلّت فحلت من يمشى لبعدها وحيّت فاحيت ميتاً كان في الترب

تجلّت فأجلت كرب قلبي لفقده ومذ واصلته اوصلته الى الطرب
تبدت ابادت عن نوادي كآبة وعن مهجتي حزناً وعن قلبي الكرب
وقلب المعنّى كلمت حين كلست وماست امانت عاشقيها من الوصب
[وعن حبّها الماروت روّت الحشا واطفت برؤياها غليلاً حكى اللهب
نخولي حكت لطفاً ولكن بحسنها جمال الذي منه اكتسته بلا ريب
فصيح بليغ مغلق وافر النقا محاسنه زهر والفاظه خطب
لطيف ظريف جوزي ولا عجب اديب اريب ماجد فاخر النسب
وقد فاح نشر المسك من نشر طيبا ومذ سفرت فاقت على السبعة الشهب

فعند ذلك تقوى مني القلب والجنان . وحمدت خالق الارض والجنان . اذ مرسلها بصحة وعافية . ونعمة من الله غير عافية . وكانت عليّ من اشرف قادمين وموارد . ولا لظماءي اعذب مشارب وموارد . ورتع الطرف في معاني حسنها والمناظر . وتنزه في حسن روضها الاريض والناظر . فوجدتها لكل انسان عيناً . ولكل ظمآن منهلاً وعيناً . فلله در منشيها على هذا الوشي الجليل . ولا زال ملحوظاً ومحفوظاً بعناية من رسم رسمه الالهي في الجليل . اذ انها مسكرة ولا خمر الطلا . ومفتنة ولا جيد الطلا . وقاطعة لغلاظة الهمّ ولا حد الظبا وتحاكي بالتفات المعاني ولا التفات الظبا . كل قلب اليها صبا . ويخال انها نسيم الصبا . تشابه الروض الباسم المكلل بالظل ونداه . والشاري الاغن اذ اخلع بصوته ونداه . واذهبت بمطالعتها مني حساً ومعقول . وصيرت لساني ابكماً ومعقول . فانشدت في منشيها اقول شعراً :

ايا من قد حوى لحظاً ولفظاً بحسنها محى ضُرّ المحاضر
عجبت لبرد لفظك كيف اهدى الى قلبي هو اجر الهواجر
اعيذك من سهاد في جفوني ومن دمع محا جرم المحاجر

[١٢١] نسيات البان في اردانها تمسكت . وعذبات الرند من معطارها تمسكت . اذهلت كل زاير وخاطر . وكم شرحت لمعنًا صدرًا وخاطر . فأهملت من سروري مني الغروب . ونفت الكروب . وجعلتهم عني غروب . وركّنت مني روعي وبالي . واذهبت عني وبالي . وصيّرته متلاشياً وبالي . فعجبت من الزمان كيف سمح وعفا . وقيض ربع الهم عني وعفا . وذاك اذ اعربت عن صحة سلامة من ببعده عيل مني الصبر . وتجرعت من فراقه كاساً امرّ من الصبر . وجنحت الى لقياه البهيج مني جوانح . ولم تزل الطاف معانيه محصورة في الذهن . مطبوعة في العقل وبالفكر والجوانح . وذكره لم يزل في اللسان وريد . وهو عندي اعز من حبل الوريد . ولم يزل دمعي من بعده مسلسل . كيف لا والود فما بيننا قديم ومسلسل متذكرًا ومتأسفاً على زمن سلف . ومشتهرًا بين الاهل والسلف .

شعر :

صب يصب الدمع من جفنه	صبابة من بعد احبابه
من بعدهم يشكو ومن بعدهم	رثى له الشامت مما به

ولم ازل والغارب من جفوني سايل . والى رب المشارق والمغارب سايل . ان يجمع شملي بمن غدا من الزمان انسان العين. وبين الخلان فايقاً بهجة العين . حرسه الله وجعل السعادة جارية بين يديه كالعين. ولا زال في كل الامور طايلاً منه الساعد والزند . ونجم سعده قادح كقدح الزند . ونعم الباري تعالى منصبة عليه رواحل وقوافل . وحادثات الدهر عنه دواحل وابوابها قوافل . والمبثول من عوايدك الجميلة ايها الصديق الحميم والاعز [١٢٢] رفيق. ان تتحف المحب من فوايدك الجزيلة باعلام السلام ولا تجرعه كاس الحميم وتكن به رفيق . وتعامله بعظيم الاحلام . لانك هديته في اليقظة وفي الاحلام . ولا تدعه مستطلعاً لذلك لان بعدكم قد جرح منه الجوارح. ومزقها تمزيق الفريسة من الطيور الجوارح. يتردد في خلواته بذكركم اذا ما الليل جنّ . حتى خيل من الاقارب انه جن .

شعر :

تذكرت عيشاً مرّ حلوًا بكم فهل	لاياماً تلك الذواهب واهبُ
وما انصرفت امال نفسي لغيركم	وما انا عن هذه الرغايب غايبُ
سأصبر كرهاً في النوى غير طايع	لعل زماني بالحبايب آيبُ

او كما قال : شعر :

امسي واصبح من تذاكركم وصباً	يرثي لي المشفقان الاهل والولدُ
قد خدد الدمع خدي من تذكركم	واعتادني المضنيان الوجد والكمدُ
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم	وخانني المسعدان الصبر والجلدُ
لا غرو للدمع ان تجري غواربه	تحته المظلمان القلب والكبدُ
لم يبقَ غير خفي الروح في جسدي	فذلك الباقيان الروح والجسدُ

والمرجو تبليغ الخ ايها الصديق الصفي. والاخ الوفي . اما قولكم في الرسالة الاولى بانني قد مدحتكم بمدح اكبر الاكابر . وانتم حاشاكم من اصغر الاصاغر فانتم عندي اعزّ من كابر عن كابر . وهذا اقوله شفاهاً ولسان . والله عالم بصدق الخافي والبيان . بان جميع ما حررته لكم من المدح ليس فقط هو القول الصحيح. بل انه تزيّن بكم . لا انتم تزيّنتم به كغيركم . وقد لاقى بكم في هذا (١٢٣) المعنى والترتيب ؛ قول المتنبي ابي الطيّب :

شعر :

وعظم قدرك في الاوفاق اوهمني	اني بقلت ما اثنيت اهجوك

او كما قال شعر :

قادت اليك زمام الدهر اربعةٌ وهي الهدى والندى والعلم والقلم
وهذبت منك خلق الدهر اربعة الاصل والطبع والاخلاق والشيم
وصاحبت منك قول الصدق اربعة العهد والوعد والميثاق والذمم

وطلبكم بها انه اذا كاتبتكم لاعدت اكاتبكم بمدح هكذا وتطويل . فهو الذي اوهمني انكم صبوتم الاختصار في الاقاويل . ورابني انه قد ازعجكم ذلك حيث انكم لستم من الذي هو عار من هذا الفن . بل من الذي رقاه وجاز عنه وعليه ما عن . ويقتضي من لياقتكم رد الجواب واسهاب الخطاب . ونصب الافكار في هذه الاوقات ليس بصواب . فهنا توهمت ذلك وحررت للجواب . انه ما القصد في تحريراتي هكذا الا فقط لتسليتكم . وانا راضي بسطرين تنبيني عن صحة سلامتكم . واني اختصر ليلا يحصل لكم الانزعاج . واسليكم بمكاتبات الغير لتكون لغم الزعل والوحدة علاج وانفراج . فنسيتم في مشرفتكم الثانية ذلك الى السلو والوسيلة للاختصار . عن تحريرات المودة . بقولكم الجديد له لذة . فحاشاكم ان تكونوا مصيّرين على هذا العزم بما نسبتموني اليه من السلوان . والواء العناء . وحاشاي ان اكون ذلك الانسان . بل ذلك الخوان . الذي ينقلب كل دقيقة من الاخوان الوان . وعقلكم وقلبكم الشاهـدان العدلان . انني لست ممّن يناقش . ولا ابي براقش . فاسمع ايها الحبيب ما قاله [١٢٤] عن شرح حالي في هذا المعنى الشاعر اللبيب والناظم الاديب :

شعر :

قال الحبيب اشغلت قلبك بالسوى فأجبت يوماً عنك قلبي ما اشتغل
قال الفؤاد لقد سلا قلت انسلا . قال احتمي بالصبر قلت فما احتمل
قال انتهى عنه ومل يا مدعي فأجبت يوماً ما لفقدي منك حل
ان الحيوة لانت هي لا انتهى عنها فقل لي يا حبيبي ما العمل

فهذا شرح حالي على التمام. وسلمك الله والسلام . غير اني من بعادكم اتسلا بهذا :

شعر :

انا في حالي نقيض معكم وهو في شرح الهوى ما لا يسوغ
بلى الصبر وأضحى هرماً والمنا في وصلكم دون البلوغ

شعر :

هذا ودُم كالنسر مرتفعاً وعال بعمرٍ لا يزال ابداً جديدا

٩

فنّ الرسالة يتطلب وضوحاً في التقاسيم ومنطقاً في التسلسل وحنكة في الاقحام وفذلكة في التعبير للاقناع وسيطرةً على قمّة الاسلوب لدحض مزاعم المرسل اليه او للتقرب اليه او لاظهار العواطف السامية . ولقد ننشر هذه الرسائل التالية وفيها من قوة الحجة تارة ومن صفاء التعبير مرة اخرى ومن النعومة طوراً من القساوة اخرى ما نقدّره في مؤلفيها ونعرفه عنهم .

رسالة حضرت لي من جناب الشيخ قاسم بن كليب نكد وانا يومئذ في حلب

ما عسعس ليل الوجد والغرام . وتنفس صبح القرب بالابتسام . وبكت سحب الشوق بانسجام . وضحك روض الانس عن زهر الاكمام . وصدحت بلابل الشوق في خمايل القلب . واترعت غدران المحاجر الى لقا المحبوب . الاّ وهيّجت وجداً برّح بالفؤاد . واروى به نار الزناد . الى حضرة الخدن الاوحد . والخل الامجد . بؤبؤ عين الكمال . ورأس هام الاجلال . قرة الناظر . الحاضر بالخاطر . من هو لظلام الهجران نبراس . وسويد الفواد له كناس . المحب الصادق المعلم الياس . (١٢٥) دام مكلوءً من البأس . ولا زالت شموس سعده بدارة الحمل . وبدر مجده بأوج السعود مكتمل . وروض أنسه ناعماً بالازهار . وصوادح سروره تزرى بنغمة الاوتار . ولا برحت حركات فعله قايدته الى الاقبال . ومساعيه تدنيه من بلوغ الآمال . وتعوج به الى احسن مآل . وتقر به الى الاطلال امين . غب شوق تضاعف حتى كاد كالطود العظيم . وفرط توق احرق الصميم . قد غادر القلب هايماً . والطرف الى برق اللقا شايماً . الى مشاهدة تلك الذات . دامت مطمآنة (مطمئنة) من السؤات . نبدى انه منذ نأيتم عن العين . وبعدت الشقة والاين . قد تقطب وجه الزمان وعبس . وانمحى رسم السرور وانطمس . الى ان بزغت شمس الهداية بتقدير العزيز العليم . وتلألأت كواكب العناية من العلي الكريم . فألّف بين القلوب وزال منها البغضاء . واشفاها من داء التنافر بعد ان كانت مرضاء . الاّ قليلاً من على قلبه ادران . ورمى بسهام الخذلان . فشمروا للحرب عن ساق . وتجاوروا في كشف الغمة في حلبة السباق . فثارت الحرب العوان . وكثّر القتال والطعان . حتى كادت الارواح تبلغ (ممحو في النص) . وأدنت بالفراق . ودامت هذه الوقايع بانتصار وخذلان . الى العشر الاول من شعبان . فهبت نسمات التوفيق . من لطف الرحيم الشفيق . وجعل الدايرة على الظالمين . وانصرفوا على اعقابهم ناكصين . وربّما حلّوا بالدهناء . القا (القى) الله تعالى بين اعلامهم العداوة والشحناء . وانقلب ما كان من تغيّر الخاطر من

ولي الامر على هذا الجمهور . على من نصبه علماً لتلك الامور . فأسدينا لله حمداً وشكراً اعلى منال [١٢٦]المطلوب. وحصول المرغوب. فمن ثم برزت كواعب الافراح من خدور التهاني . وجليت عرايس الانشراح ببلوغ الاماني . وشدت ورق السرور على الافنان . واعلنت بترجيعها الامان الامان . وآذنت للنآي بالاياب ليكمل الحبور وتقر به عيون الاصحاب . فغاية المامول ان تنفوا ركاب السرا . وتقطعوا بارقال (هكذا) العيس البرا . ولا يقدح بالفكر الثاقب ان بتى كما تظنون بالسابق متاعب . نسأله تعالى ان يقرب قدومكم الى الاوطان . بكامل الصحة والسرور والاطمئنان . لينجلي ليل الهجران .انــه قدير وكريم منان . ودمتم بأمان والسلام .

في ٣٠ ش سنة ١٢٠٦

محب مخلص

قاسم

نكد

م

رسالة عبدالله زاخر للبطركير اثناسيوس انار الله عقله امين

وبعد فقد بلغني الآن ما فعلمتوه ايضاً ضدي بل ضد نفسكم من تحريمكم الكتب التي الزمتموني بتأليفها لاقتلاع الزوان الذي ابذرتموه في بيعة الله . فهذا الامر الذي هو بعجيب لصدوره عنكم . وقد كنت متوقعه منكم . غير اني اتعجب كيف انكم رأيتم عدم مناقضة هذين القولين . وهما قولكم بانكم تقبلون التعليم الذي تضمنته هذه الكتب . ثم قولكم بعد ذلك انها محرومة لا يجوز قراءتها. فليت شعري كيف يمكن اتفاق هذين الامرين . على انه ان كانت هذه الكتب محرومة . ومحروم من يقرأها . فيكون التعليم الذي تضمنته محروماً فاسداً . حيث ان هذه الكتب ليس هي شيئاً آخر سوى ما تضمنته من التعليم ولا يمكن ان يفهم بها سوى التعليم المحوى فيها . [١٢٧] والحال قد قلتم انكم تقبلون هذا التعليم فكيف اذاً ناقضتم اقراركم هذا الذي لا حقيقة له بحرمكم لها . ورضيتم لنفسكم هذا التلوّن المضحك الذي توهمتم به ارضاء الكاثوليكيين والمشاقين . غير انكم تعترضون اولاً بانكم لا تقبلون الشتايم الموجودة فيها كقولنا عن مجمعكم الذي الف تلك التعاليم الفاسدة انه مجمع لصوصي فاسد مضاهي مجامع اليهود التي عقدتها رؤساؤهم ضد رسل المسيح وغير ذلك . اما انا فأقول حقاً اني لقصر بذلك .

ولن اقم بواجب هذا المجمع كما ينبغي لشأنه . ولذلك اتعجب من عدم رضاكم بهذا الامر ولا اعلم ماذا كنتم تريدون ان تدعوا مجمعكم هذا الذي دعوتموه انتم مقدساً هل انه ما كان يجب أن يدعى لصوصياً اقتداء بالكنيسة التي دعيت بهذا الاسم . ذاك المجمع الذي عقده ديسقورس في افسس . والحال اذاك لم يصدر منه افعال اثيمة ظالمـة بأكثر مما صدر عن هذا . ولم يجتمع خلاف الترتيب الكنايسي بأبلغ ما اتصل به هذا من عدم الترتيب . واما كان يجب يدعى فاسدًا مدنساً .

والحال انك انت احد اعضاء هذا المجمع لا تستطيع ان تنكر فساد هذه التعاليم الذي (التي) دونتموها فيه لفساد المؤمنين وضلالهم بل قد تعترف بذلك اضطرارًا امام الذين لا يمكنك الانكار امامهم . ثم انه أما كان يجب ان يشبه بمجامع رؤساء كهنة اليهود الذين كانوا يحاربون الرسل ويمنعوهم ان ينذروا باسم المسيح حفظاً لرياستهم . والحال انتم فعلتم كذلك اذ اجتهدتم ان تمنعوا الناس من الاعتراف برياسة نايب المسيح مراعاةً لرياستكم فهاذا تجاوزنا الحدود الواجبة. وما الذي قلناه خلاف [١٢٨] الحق وبنوع لا يليق . فهل لاننا اطلقنا هـذه الصفاة (الصفات) الحقيرة على اناس اساقفة رؤساء كهنة . الا ان الكتب المقدسة تدعوا مثل هؤلاء الاساقفة المنشقين عن بيعة الله لصوصاً وسراقاً وذياباً خاطفة . وعميان وقادة عميان . وكلاباً كلبة . ومعلمين كذبة ولعاباً مستهزيين بالغرور . وعيوناً وغيوماً لا ماء فيها . ومسيحيين كذابين . وغير ذلك من الالقاب المحتقرة . فنكون نحن انما دعينا لصوصاً هؤلاي الذين تدعوهم الكتب المقدسة بجملة هذه الالقاب لخروجهم عن بيعة الله ومنافقتهم فما ينبغي للايمان والخلاص. ولعمري انه ليس هو بغير لايق ان يجاب السفيه نحو سفاهته ليلا يظهر عند نفسه حكيماً كما قال الحكيم . ومن العدل ان يهاب ويحقر من يهين بيعة الله ويحتقرها . والحال انكم قد تجنيتم بسفاهة لا تحتمل على بيعة الله المنزهة عن العيب والغدر . واحتقرتموها بالفاظ شنعة كثيرة . فلذلك كان من العدل ان تجلبوا على هذا النحو

ولا حق لكم بأن تستصعبوا ما يحتقرون به بوجه الحق اذ كنتم تقدمتم فاحتقرتم بيعة الله بالباطل . ولكن انا اعلم بل قد بلغني ما اعترضتم به ثانياً بقولكم اين وجدتم يا مسيحيين ان رجلاً عالماً يصنف كتباً وصلوات يبطل بها صلوات القديس باسيليوس وفم الذهب والدمشقي واظنك تشير بهذه الصلوات الى الصلوات التي ألفتها بغير قصد ألامُ به امام الله . وهي صلوات القربان المقدس . ولذلك ينبغي لي ان أجيبك عن هذه اولا واقول هل يجوز واتم رؤسا كهنة ان تستبيحوا الكذب وتفروا [١٢٩] على الناس بالباطل امام المذابح المقدسة حيث تقدّم ذبيحة

الاستغفار عن جهالات الشعب. قل لي من اين عرفتم انني انا ألفت هذه الصلوات لتبطيل صلوات الاباء القديسين . هل لانني صنفت هذه الصلوات بعد وجود صلواتهم المتقدمة . ألاّ ان فم الذهب صنف بعد باسيليوس صلواته . مع ان صلوات القديس باسيليوس كانت كافية وقد كانت بالوجود . فهل انه فعل ذلك بقصد تبطيل صلوات باسيليوس . ثم بعده بسنين كثيرة صنف الدمشقي ايضاً افاشينه التي تتناول القربان المقدس . فهل انه فعل ذلك لتبطيل صلوات فم الذهب وباسيليوس . ثم بعده بسنين كثيرة صنف ايضاً اغابيوس مؤلف خلاص الخطأة افشينين مستطيلين لتناول الاسرار المقدسة قبل وبعد . فهل انه ابطل بذلك صلوات الاباء المتقدمين . ثم ان سمعان الرجل المنافق المشاقق اذ ألف الصلوات التي وضعتموها له من صلوات الاباء في المطالبسي تلك التي لا تجوز قراءتها اصلاً . هل كان قصده بذلك نزع صلوات الآباء كلاً . انه لا يمكن لـذي نور طبيعي ان ينتج هذه النتيجة. فمن اين استنتجتم انتم انني فعلت ذلك لابطل صلوات الاباء القديسين . وافتريتم عليّ بهذا الامر امام المذابح المقدسة بحضرة الله الذي انت عتيد ان ترد له جواباً عن كل كلمة بطالة . حيث كان يجب قلتما يكون ان تحفظوا فيه الصدق . وتباينوا الكذب والافتراء . فانا حقاً ألفت ثلاثة افاشين توسلاً الى الثالوث الاقدس قبل تناول القربان وافشين شكر لسيدنا يسوع المسيح بعد ذلك . الاّ انني [١٣٠] فعلت ذلك بقصد بسيط خال من كل غرض يوجب عليّ لوماً امام الله والناس . ولم افعل ذلك للناس . ولا أردت ان تتمسك بها الناس . حتى ولا عرفت هذه الصلوات سوى من بعض اشخاص خصوصيين قليلين جداً . وهذا لا لوم عليّ به اصلاً . وكان هذا مني منذ عشر سنين او اقل يسيراً . وقد رددت لك عنه هذا الجواب منذ سنتين . فباطلاً اذاً توردونه الآن محتجين به اذ لم تجدوا لكم ذنباً عليّ يحرز الاحتجاج .

ولكنكم لا تزالون تقولون انني رجل عالمي ولا سلطان لي بهذا . لا سيما بتأليف هذه الكتب التي نقضت بها تلك التعاليم الاراتيكية المضادة استقامة الايمان . على انه لم يسمع قط ان رجلاً عالمياً تعاطى مثل هذه الوظيفة . اما انا فأجيبكم عن هذه القضية واقول حقاً ان الذين اوردتم على سماعهم هذه القضية لا يعلمون ذلك . اي لا يعلمون ان كان رجل عالمي تصرف قط في هذه الوظيفة . ولكن أما كان يجب على حضرتكم ان تعرفوا ذلك . قل لي اولاً ماذا يكون يوستينوس الشهيد الذي ازهر في الدهر الثاني بعد المسيح اما كان عالمياً . والحال انه كتب والّف كتباً كثيرة من جملتها ما اجاب به الوثنيين ضد اعتراضاتهم على المسيحيين.

وكتابه الذي ردّ به على طريفون اليهودي وغير ذلك من كتبه حتى انه كتب قانون ايمان المسيحيين وجميع كتبه موجودة الى الآن . ثانياً ماذا يكون ترتوليانوس الذي كتب كتباً كثيرة افاد فيها بيعة الله قبل ان يُسام قسيساً وينشق عن البيعة ثالثاً قل لي ماذا كان اوريجانوس من [١٣١] سنة مايتين واربعة بعد تجسد المسيح الى سنة ٢٣٠ التي فيها ارتسم قساً في قيسارية فلسطين . فماذا كان في مدة هذه الستة وعشرين سنة التي كان يدرس في مدرسة مدينة الاسكندرية ويفسر الكتب المقدسة . ويؤلف كتباً كثيرة . أليس كان عالماً لا غير . رابعاً ماذا كان ديديموس الضرير الذي كان يتعجب القديس انطونيوس من سمو علمه . وقد كتب اكثر من ثلاث آلاف وخمساية مقالة . اما كان عالماً . خامساً ماذا كان القديس انطونيوس الكبير نفسه الذي بحسب شهادة القديس اوغسطينوس لم يكن يعرف القراءة ومع ذلك فكان يجادل الاريوسية ويحاربهم في اقصى غاية. سادساً ماذا كان مكسيموس المعترف. فهل انه كان اسقفاً او كاهناً حتى انه تجاسر على مقاومة المعتقدين بالمشيئة الواحدة وكتب في ذلك رسائل ومقالات . ثم جادل بيروس بطرك القسطنطينية مجادلة مشتهرة في هذا الامر . سابعاً ما كان استفانوس الجديد الذي ناضل عن السجود للايقونات المقدسة محارباً ومبكتاً الذين كانوا ينكرون السجود لها . فان قلتم نعم ان هؤلاء الثلاثة لم يكونوا كهنة الا انهم كانوا رهباناً . فأجيب بسماحة قد الزمتموني بها وانا بنعمة الله وفضله . وان لم اكن راهباً فلست بعالمي على الاطلاق بل متميز عن العالميين بحسب تصرف الخارج . ولي شهادة راهب امام الناس . وان كنت في الباطن اعظم الخطاة امام الله . ولكن ليلا يقنعكم احتجاجكم برهبانية هؤلاء وغيرهم من الذين لم يكونوا كهنة وقد ألفوا كتباً كثيرة . فلنورد مع الذين اوردناهم سابقاً [١٣٢] ولم يكونوا كهنة ولا رهباناً غيرهم من المتأخرين عنهم ونقول : قل لي ثامناً ماذا كان كاسيودوروس الذي فسر سفر المزامير وسفر نشيد الانشاد وغيرهما من الاسفار المقدسة مع مجلدين في التعاليم الالهية . امـا كان عالماً فقط لا كاهناً ولا راهباً . ثم فلاترك كثيرين من الشرق والغرب ليس من الغير مشتهرين بل من المشتهرين في بيعة الله تعالى . واقتصر تاسعاً على القديس يوحنا الدمشقي. فقل لي بحياتك ماذا كان يوحنا . اما كان عالماً لا غير . بل متوغلاً في أشد الامور العالمية . لانه كان حينئذ كاتب ديوان ملك السراكسة في الشام . فكيف اذا تقولون للشعب اين وجدتم رجلاً عالمياً يؤلف كتباً فان كان جاز لهذا القديس ان يعترض اوليك الذين كانوا يحاربون صور القديسين . ويولف ضدهم اقاويل كثيرة . ناقضاً بهم اقوالهم الخادعة وموجباً السجود لهذه الصور المقدسة مع انه

كان عالمياً لا غير . فلماذا لا يجوز الآن لغيره من العالميين ان ينقضوا اقوال الذين يحاربون لا صور القديسين بل صورة قنوم الله الجوهرية عينها بنكرانهم انبثاق الروح القدس منها . وان كان هذا الامر جايزًا حينما كانت كنيسة الله مزدهرة بالمعلمين الاكليريكيين . فلماذا لا يجوز الآن حينما هي في غاية الافتقار اليهم . حيثما لا يوجد من هؤلاء واحد يقدر يفتح فمه بكلمة ضد ما يزرع في بيعة الله من الزؤان الاراتيكي . فقد بطل اذا قولكم ان هذا ما صار ولا سمع به قط . وتحقق ان معلمين كثيرين عالميين ازهروا في جميع الدهور بتعاليمهم وتآليفهم وتصرفهم [١٣٣] بهذه النعمة الموهوبة لهم من الله . ولكن ربما تتعللون اولاً بان هذا كان يرضي الاساقفة . ثانياً بانه الان توجد قوانين تنهي عن ذلك . فأجيبكم عن القضية الاولى واقول سلّمنا انه كان يرضي الاساقفة ولكن اي اساقفة . هل اساقفة الاراتقة والمنشقين من بيعة الله الذين لا يجب ان يعتبر عدم رضاهم اصلاً . ولعمري انني لو تنازلت معكم الى هذا الامر لما امكنكم الان ان تنكروا رضاكم السابق بتصرفي بهذا الامر الذي تنكروه عليّ الآن . وذلك ان لي نحو عشر سنين ادرّس ظاهرًا حتى شمامستك بالتماسك ذلك مني لا مرّة بل مرات. وقد فوضتني مرات بقراءة كتب الاراتقة ونقضها . وقد ألّفت لكم كتاباً صغيرًا فيما يتعلّق بأجزاء ذبيحة القداس ضد معتقدات مطران صيدا . ما عدا ثلاث اربع رسالات بهذا الصدد للمذكور. وجميعها موجودة الى الآن واسمكم عليها . مع انه لا كلمة لكم فيها . وايضاً ألفت بطلبكم وحثكم رسالة ضد اعتقادات الارمن وانتم قبلتموها مني ودفعتموها لهم موضحين لهم زيغانهم عن الحق . ومخالفتهم لكتبهم واقوال ابايهم القديسين وغير ذلك مما وقفتم عليه مما كتبه للرب . حتى ان كتاب الترياق المشفي نفسه الذي دحضت به اقوال ذلك المنافق الفيلادلفي. لم يخف عليكم امره اذ كنت كتبته وقد طلبتم مني ان اجيب لكم منه كراريس لتقفوا عليها . واتيتكم بكراريس من اعظم ما يوجد فيه . وكان ذلك قبل خروجكم من حلب باربعة ايام حينما قرأتم ذينك الكراريس بلفظة بلفظة . وانا حاضر لديكم . ثم قلتم لي بارك [١٣٤] الله حقاً انه ردّ سديد . ودفعتم الكراريس ليدي من غير ممانعة ولا لوم اصلاً . ويشهد بذلك المطران جراسيموس الذي كان حاضرًا هذا الامر . فمن هذه الدلايل جميعها يتوكد تصرفي ورضاك الشرعي بهذا الامر الذي ان كنت تريد الآن ان تمنعه فباطلاً تفعل ذلك . لانه لم يبقَ لك هذا السلطان بما اظهرتموه عنكم من الانفصال من بيعة الله . وايضاً لانـه لا سلطان لكم ان تزرعوا الفساد الاراتيكي وتأمروا بعدم استعمال الوسايط المفيدة بنزعه . وتضرموا النار في بيعة الله . وتوصوا ان لا يطفيها احد ولا يمد اليها يداً .

ثانياً عن القضية الثانية واقول نعم انه يوجد قانون من القوانين المنسوبة باطلاً للمجمع السادس يأمر بانه لا يجب للعلماني ان يجادل او يعلم علانية . بل ان يخضع للامر المسلَّم من الرب . ويفتح اذنيــه للذين اقتبلوا نعمة التعليم متعلماً منهم الالهيات . الاَّ ان هذا القانون وغيره ايضاً ومما يوجد من الوسايط الكنائيسية بهذا المعنى انما ينهي عن التعليم الاحتفالي المشتهر على روس الملا . كالكرز في المنابر والمجادلات العامة . لا عن التعليم الخصوصي المستتر . ولا عن تأليف الكتب ايضاً وذلك بتحقق اولاً من ان القديس يوحنا الدمشقي لم يمتنع بهذا القانون المتقدم عليه ان يناقض بما كتبه من مقالاته ضد محاربي الايقونات المقدسة وان كان عالمياً . ثانياً يتوكد كذلك من تفسير جميع علماء الذمة الذين بتفسيرهم مثل هذا النهي انما يخصونه بالتعليم الاحتفالي كالكرز على المنابر ولا ينسبوه لغير ذلك . ومع [١٣٥] ذلك يفردون من الوقوع تحت هذا النهي حال الضرورة وحال الامكنة التي يوجد فيها الكاثوليكيون مختلطين مع الاراتقة حيث يبطل هذا بالعادة المضادة . بل يميّزون ايضاً حال الاشخاص بقولهم ان نية الناموس اذا كان المجادل ذا علماً كافياً (كذا) لانتصار الايمان على انه متى دعت الضرورة الى ذلك وكان المجادل العالمي ذا علم كافي لدحض ما يناقض الايمان . فحينئذ ليس انه تجوز له المجادلة الاحتفالية نفسها فقط . بل انه ان لم يجادل ويحمي حجة الايمان يخطئ خطاء ثقيلاً ضد الايمان لانه كما قال القديس اغوسطينوس كل واحد هو جندي في حماية حجة الله . فاذ تدعو الضرورة الى هذه الحماية.فحينئذ يلتزم العالمي المتفقه بمعرفة الايمان باثبات الايمان سواء لم يحضر اكليريكيون او حضروا ولم يكونوا كافيين لهذا الامر . فلا يضاد اذا هذا القانون ولا غيره من الوصايا هذا التعليم الخصوصي والتاليف المكتتب لحماية الايمان ودحض الفساد الاراتيكي. وباطلاً تستندون عليه بذلك فانا لم اكرز ولم اجادل في المنابر . ولكنني اذ رأيتكم تنشرون الفساد الاراتيكي المنافي حقيقة الايمان . وليس من يبادر لدحضه واستيصاله رأيت اني ملتزم لذلك . وذلك حسب قول الذهبي فه الذي يقول في ميمره الخامس والاربعون (كذا) من تفسيره الناقص لماري متى . انه كما ان الكاهن واجب عليه بان يبشر بحرية الحق الذي سمعه من الله . هكذا العالمي واجب عليه ان يحمي بالشجاعة الحق الذي سمعه من [١٣٦] الله . هكذا العالمي واجب عليه ان يحمي بالشجاعة الحق الذي سمعه من الكاهن والمثبت من الكتب المقدسة . وان لم يفعل ذلك يكن مسلماً الحق . لأننا بالقلب نؤمن للبر . وبالفم نعترف للخلاص . قل لي بحياتك هل يلام الاجير الذي ليس براعٍ اذا حارب الذياب وصدها عن الخراف في حال

هرب الراعي. وعدم اشفاقه على الخراف. وهل للراعي حق على كل من الخراف بان لا تعج على الذياب وتشهرها حينما تدخل في الصيرة . وهل لا يجب على كلٍ من الجنود ان يمانع ويدافع عن حق ملكه اذا سلم القايد للاعداء واتفق معهم ضده . فان كنت انت القايد قد سلّمت لاعداء ملكنا السماوي. واتفقت معهم ضد حقايق ايمانه التي يملك في قلوب المسيحيين . فاي حق لك عليّ انا الاجير والجندي اذا حاربت الذياب عن الرعية . ومانعت ودافعت عن حق سيدنا يسوع المسيح حينما لا يوجد من يفعل ذلك من الاكليريكيين. قل لي هل كنت تريد ان لا يحمى احد حق المسيح الذي سلمته انت للاعداء والا تعجّ عليك الخراف. اذا اتفقت مع الذياب وبفسادها . اما هو واجب ان يطاع الله اكثر من الناس . وان تفضل كراماته تعالى على كرامة الرؤساء واحتقرين كرامته وهل يجب ان تصمت الخليقة عن الاعتراف بما به مجد خالقها اذا اشمأزت الرؤساء من ذلك . ولم يفعلوا ما يجب عليهم . والحال ان سيدنا يسوع المسيح لم يلم اوليك الاطفال المعترفين بجسده . ولم يأمرهم ان يصمتوا حسب رغبة الرؤساء الذي يختص بهم هذا الامر . ولم يريدوا ان يفعلوه . لكنه حقق لهم ان هذا واجب ان [١٣٧] يتم وضروري بهذا المقدار حتى انه لو حققت هولاي ايضاً لنطقت الحجارة . فقد كان اذاً واجباً ان تعلن حقايق الايمان القايم به مجد الله . وتدحض الاقوال المنافقة لها . وقد كان هذا ضرورياً بهذا المقدار حتى انه لو صمتت العوام الناطقين ايضاً كما صمتت الاكليريكيون لكان يجب ان تنطق الجوامد العادمة النطق . وقد اتضح الآن بطلان لومكم وافتراكم عليّ بانه لا حق لي بما الزمتموني به اضطرارًا . على انني لم ارد قط ان اتخذ لنفسي هذه الوظيفة ولا افتكرت بذلك غير اني اذ رأيتك تزرع الفساد الاراتيكي فيما بين المؤمنين وتحارب ايمان بيعة الله . بواسطة الكتب التي استخرجتها . ولم يوجد من يناقض مفعولك هذا التزمت انا بترع هذا الفساد . وبنقض هذه الكتب. قل لي هل كنت انا اعاني تأليف الترياق المشفي . لو لم تبذر انت ذلك السمّ الفيلادلفي. وهل كنت اجتهد بتأليف التفنيد لولا ما اظهرتموه من الفساد بذلك المجمع العنيد . فانت تقول لي الآن ما بالك وانت عالمي تتعرض لمثل هذه الامور . وانا اجيبك بما اجاب به الراهب الناسك الذي صدفه ٓالنّس قيصر الاريوسي. مـــاضياً ليشدد الكاثوليكيين الذي كان هو يضطهدهم. فاعترضه قايلاً . ما بالك تركت الانفراد ولا تلازم قلايتك حسب عادة السواح المتوحدين . فاجابه ذلك الناسك القديس قايلاً . انني قد فعلت ذلك سابقاً . ولم اخرج من قلايتي اصلاً . واماّ الآن فاذ تعلقت النار في بيت الله ابينا وانت

يا سيد الهبتها . فالتزمت انا ان اخرج[١٣٨] لاطفيها . فهكذا انا اجيبكم قايلاً بانني سابقاً اعرّض نفسي لهذه التصانيف . ولكن اذ رأيتك نشرت الفساد الاراتيكي فيما بين المؤمنين . وليس من يمنع ذلك . فعمدت لاستيصاله . فلا تزرعن اذاً مثل هـــذا الفساد . ولا تلزمني باستيصاله . ثم تضجّ عليّ بذلك. واما ان كنت تزرعه بهذه الكتب الفاسدة المفسدة التي تستخرجها وتنشرها ما بين المؤمنين. فلا ترجين مني انني اصمت عنك . وان كنت اقل رتبة من عالمي. ولكن قل لي بحياتك كيف لم تأخذك هذه الغيرة نحو كتب شر من الرجـــل الكلوينـي الكافر. ولماذا لم تفتكر في ان تحرم كتبه التي ينشرها الآن ويزرعها بين المؤمنين داحضاً اسرار كنيستك . ومجذفاً بها على جسد مسيحك وذبيحة الالهية . ومحتقراً كرامة والدته وقديسيه ومعلماً ان السجود لتماثيلها عبادة اصنام . كما يوجد هذا جميعه واكثر منه جداً من التجديف الشنيع بالكتاب الذي الفه قبل خروجك من حلب. واهداك منه نسخة وقبلتها انت منه بمحبة مغضبة للرب. وهو الان بنشره ما بين المؤمنين بواسطة كاتبه وتلميذه رسمته انت شماساً انجيلياً خلافاً لكل رسم رسولي مقدس وترتيب كنايسي . لماذا تحرم على المؤمنين قراءة تعاليم الاباء القديسين وشهاداتهم المؤلفة منها الكتب التي كتبتها انا باستقامة الايمان . ولا تحرم عليهم قراءة الكتب والتعاليم الكلوينية واللوترانية المنافية الايمان . ولا تمنع شماسك عن نسخها . اهذا هو عدل الله . اهذه هي استقامة حكمه التي كان يجب عليك ان تحكم حسبها . اهكذا يجب ان يستعمل السلطان[١٣٩] الكهنوتي اعني خلاف غايته للهدم لا للبناء . فتقبل التعاليم الكلوينية وتوادد اصحابها . ولا تعترض انتشارها اصلاً . وتحارب التعاليم الارثوذكسية . وتمنع انتشارها . اواه تُرى باية دالة وباي وجه عتيدون ان نظهر امام ذلك الديان العادل الذي هيأ منبره بالعدل والاستقامة والصدق والحق قوام كرسيه . ذاك الذي يبدّد عظام الذين يختارون رضى الناس على رضاه . ذاك الذي سيستخزي بمن يستخزي بمن يعترف بتعليمه في هذا الجيل الفاسق الخاطئ . ذاك الذي قضى على زارعي الشكوك بالويل الابدي . واوضح انه كان خيراً لهم . اذ يعلق في اعناقهم حجر الرحى ويزجوا في البحر من ان يشككوا احد اخوته الصغار . ذاك الذي سيطلب من الرعاة دم الذين هلكوا من خرافه اما لعدم انذارهم اياهم بالحق . واما لتفضيلهم جاههم وكرامتهم على خلاص نفوسهم . وترى ماذا عتيدون ان نرد له جواباً عن ذلك . وعساه يقنع منا بهذه الحجج العالمية الباطلة الفاسدة المضادة حتى ناموسه. الآمر بوضع السراج على المناره . وبالشهادة بحقه لكل احد . وبان لا نفضل خوف هذا العالم على خوفه . ولعله يرضى منا بهذه الطريقة الجديدة التي اخترعناها

خلاف الطريقة التي انهجها لنا . وهي ان نتفق مع اعدائه المضادين بنكران كلما يسبب لنا خزياً واحتقاراً لديهم من حقايق ايمانه. لا ان نعترف بذلك امام القواد والملوك والمضطهدين . وكافة الاراتقة المضادين . فحقاً انه ولا وجه لنا اعتذار اصلاً . ولو كان لنا اعتذار بمثل هذه الامور للزم من ذلك كذب الناموس الالهي [١٤٠] حاشا وكلا . أتكلم بهذا نحوكم واعلم انكم تستشيطون من كلامي غضباً وتشتمون وتلعنون . غير اني احسب مثل هذه اللعنات بركات وسبب مجد عظيم . لانه ليس بملعون من يضاد الفساد الاراتيكي ويقدم معرفة الحق لكثيرين حينما تدعوا (كذا) الضرورة الى ذلك . بل ملعون من يضل الاعمى عن الطريق بنشر التعليم المخالف حسب قوله العزيز . ولا يجب ان يشجب من يقاوم انتشار هذه الكتب المضلة . كانه مخالف القوانين . بل يشجب بالقانون الرسولي الذي يقضي بالعزل من الدرجات الكنايسية من اشهر بالزور في كنيسة الله كتب المنافقين كانها كتب مقدسة . لفساد الشعب والاكليروس . فلذلك انا في غاية الطمأنينة والسرور مما تتفوهون به نحوي من هذه اللعنات والشتايم المضادة عدل الرب . ولقد احصل بواسطتها على دالة عظمى . وتعزية وافرة لقوله تعالى . طوباكم اذا اضطهدوكم وعيّروكم وقالوا عنكم كل كلمة سوء من اجلي . فافرحوا بذلك فان اجركم عظيم في السماء . ولا ريب انكم تفترون عليّ وتثلبوني لا لاني سلبت مالكم . ولا لاني خالفت الناموس الالهي او الكنائسي بكبيرة . ولا لفعلي غير ذلك من الاسواء اذ انه بنعمة الله لا تستطيعون ان توردوا عليّ ذنباً شرعياً هكذا استوجب من اجله اللوم بل انما تثلبوني لانني كاثوليكي حقاً مقاوم ما تزرعونه من الفساد الاراتيكي. وبالنتيجة انما تثلبوني وتشتموني من اجل المسيح . ولذلك انا افرح وأُسرّ هذا اكتبه لكم الآن بحشمة ولطافة لما ظهر منكم ضد ما كتبته بسبيلكم . الاّ اني سوف ابدل [١٤١] صوتي هذا نحوكم ولا اكتفى بهذا ان لم تكتفوا بهذه الافعال المخالفة كل حق وعدل . وحينئذ اما ان اندم او تندموا انتم . ويا ليتكم حقاً تندمون الآن امام الله على جميع هذه الامور المنحرفة الظالمة الصادرة عنكم . اني ارغب ذلك لكم من سيدنا يسوع المسيح امين .

حررت في ٧ آب سنة ١٧٢٤ — تمت

(يتبع)

الآثار المطويّة (تابع)

بقلم
الاب انطونيوس شبلي اللبناني

مناشير بطريركيّة واسقفيّة

موجهة الى ابناء الطائفة المارونية

عثرنا بين اوراقنا على مخطوطة ذات اربع صفحات كبيرة دُوّن فيها بخطّ عربي خلاصة بعض مناشير بطريركية للبطاركة يوسف حبيش ويوسف الخازن وبولس مسعد ويوحنا الحاج ومنها لبعض الاساقفة . ووقفنا في غير هذا المحلّ على مناشير كاملة غير مختصرة رأينا ان ننشرها بحرفيتها نظرًا لقدميتها وندرتها مبتدئين بمناشير البطريرك يوسف حبيش . ويعلم الجميع ان هذا البطريرك قد ناهض البيبليشيين (البروتستنت) حال وصولهم الى بيروت وتصدّى لمقاومتهم وتحريم تعليمهم وحذّر ابناء طائفته من المعاطاة معهم وقراءة كتبهم صونًا لوديعة الايمان الكاثوليكي في نفوسهم ولم يدّخر وسعاً في هذا السبيل فاتحاً عين المراقبة على كل من يختلط بهم ويعاشرهم ساهرًا على نفوس ابنائه حذرًا من ان يسري اليها العطب وتنتابها الكُرَب ؛ وهو الراعي الصالح الذي يقود رعيّته الى المروج الخصبة النضرة ويُجنّبها ما يعود عليها بالويل والثبور وعظائم الامور . ولما استقرت قَدَمُ هؤلاء البيبليشيين في بيروت واستحضروا لهم مطبعة وكان لا بدّ لهم من رجل ذكيّ متنوّر يصحح لهم مطبوعاتها فاهتدوا الى اسعد الشدياق — شقيق فارس الشدياق صاحب جريدة الجوائب في الاستانة — اختبروهُ فوجدوا به الضالّة المنشودة ، واخيرًا استمالوهُ اليهم فاعتنق مذهبهم ورسموهُ قسّيساً فأخذ يجول في الجبل مبشّرًا بمذهبهم حاثاً الناس على الاخذ به . فعزّ على البطريرك الحبيشي ان يصطادوا بشبكتهم شاباً مارونياً متثقّفاً من تلامذة مدرسة عين ورقة الاكليريكية ولم يكتفِ بالدخول في حظيرتهم بل اخذ على نفسه التبشير بمذهبهم فكان يجول في القرى والمدن لهذه الغاية فاستدعاهُ البطريرك اليه ولاطفهُ ونصحهُ بالارعواء عن غيّه وعن التبشير في الجبل فلم يقتنع ، فعيّنهُ كاتماً لاسراره وأجرى عليه معاشاً فمكث عنده مدّةً ثمّ عاد الى وظيفته . فنصح لهُ المطارنة والخوارنة فكانوا كمن يضربون على حديد بارد وكان جوابهُ لهم : « ان هذا الدين هو الدين

الحقيقي » . واخيراً بعد ان بذل البطريرك كل الوسائط لارعوائه تارةً باللطف وطوراً بالتهديد ولم يرعو لتصلّب قلبه ؛ وخوفاً من ان تسري عدواه فيما بين الموارنة العائشين بالسلامة والطمأنة . لانه زلق اللسان وذو حجة فينقادون الى ضلاله ويقعون في وباله : استدعاهُ البطريرك اليه وحبسهُ في احد اقبية دير قنّوبين بعد ان قطع الامل من ارتداعه ؛ وبعد مدّة فرَّ من هذا السجن وعاد الى التبشير بالمذهب البروتستاني فكتب البطريرك الى اهله ليعيدوهُ الى حبس دير قنّوبين والاّ جرَّهم كلهم اليه . فأخذت امّهُ تتوسل اليه بدموعها ليقلع عن تهوّره ويخضع للبطريرك تاركاً هذا المذهب ولا يُلبس أسرتهُ هذا العار فرفض وأبى ولئلا يتضرَّر أهلهُ ذهب من تلقاء نفسه الى حبسه ومات فيه . وكتب اهلهُ الى البطريرك يتبرأون منه ومن فعله ويعلنون تمسّكهم بدينهم وانقيادهم لاوامر غبطته[١] .

وممن تصدّى لمقاومة البيليشيين المذكورين الطيّب الاثر السيد بطرس ابي كرم مطران بيروت الماروني فانشأ رسالة رعائية ردَّ بها على كتابة يونس كين الاميركاني المذاعة حديثاً ، من خدّمة البروتستانية في سورية : مفنّداً مضمون رسالته التي انفذها « الى احبائه حين سَفَرِه من بيروت » بأدلة ساطعة وبراهين قاطعة : في كتاب يقع في ١٢٨ صفحة[٢] .

واليك نصّ مختصر هذه المناشير مصدَّرةً بهذا العنوان :

---

(١) قد وضع ترجمة له وطبعها المعلم بطرس البستاني صاحب محيط المحيط تحت عنوان «قصة اسعد الشدياق» بيدنا نسخة منها مبتورة في آخرها وهي ١٢٨ صفحة وقد اتلفت الارضة جانباً من اوائلها واطلق عليه اسم شهيد .

(٢) طبع الطبعة الاولى في رومة العظمى سنة ١٨٣٠ ؛ والطبعة الثانية في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٧١ في ١٢٨ صفحة .

ولخائيل مشاقة كتاب يسمى « اجوبة الانجيليين على اباطيل التقليديين » رداً على احد خدام الكنيسة البطرية الاورشليمية وعضو من اعضا الاكليروس الخصوصي لغبطة السيد مكسيموس بطريرك انطاكية ... » طبع في بيروت سنة ١٨٥٢ في ١١٨ صفحة .

وهناك كتاب آخر عنوانه : « بحث في قول الابروتستانت .التوراة وحدها دون كل سواها» . بمطبعة المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٧٧ في ١١٠ صفحات كبيرة .

والف احد الادباء كتاباً سماه «الرد القويم على هذر ميخائيل مشاقة الئيم» تأليف احد الموارنة اللبنانيين . طُبع عند الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٦٩ في ١١٢ صفحة . ان هذه الكتب الخمسة هي في مكتبتنا في دير سيدة المعونات — جبيل .

رأينا على ورقة في فسحة منها بيضاء من كتاب « الشحيم » في كنيسة مارجرجس المتين ، تاريخ وفاة المطران بطرس ابي كرم بخط الخوري انطون النجار كاهنها وهذا نصه :

« قد درج بالوفاة الى رحمة الله قدس سيدنا المرحوم مطران بطرس كرم في خمس عشر يوم قد مضة (مضت) من كانون الثاني سنة الف وثمانماية واربعا (واربعة) واربعين سنة ١٨٤٤ رزقنا الله شفاعته امين بشفاعة سيدة العالمين . » محرره : الخوري انطون

بعض مناشير من بطاركة طائفتنا المارونية

١

منشور للبطريرك يوسف حبيش

ضد البيبليشيين اي اصحاب الكتاب مؤرخ في ١ ت ١ سنة ١٨٢٣

خلاصته : بعد ان يشرح غبطته عن غشّهم يأمر مثقّلاً على الجميع بان لا احد يقتني كتبهم او يبيعها او يشتريها او يهبها او يطالع بها او يقرأها ولو باية علّة كانت أو سبب كان . يعني بذلك الكتاب المقدس في العهدين . وتلك الكتب الموجود فيها شيء يضاد الايمان والآداب الحميدة وكتب صلواتهم ومواعظهم وكتب اخوياتهم . واينما انوجدت هذه الكتب فلتُحرق او تُرسل الى الكرسي البطريركي . ثمّ ولا نسمح لاحد بان يشارك هؤلاء الانفار البيبليشيين بالامور الروحية وباقي متعلقات الديانة نظير سماع وعظهم والمفاوضة معهم في امور دينية الخ...

ثمّ لا نسمح لاحد ان يتعلّم في مدارسهم او يطالع مؤلفاتهم ، ومن يخالف ذلك بجسارة او يمنع نفوذ هذا المنشور فان كان اكليريكياً فليكن ممنوعاً بذات الفعل عن التصرّف بدرجته الكهنوتية . وان كان علمانياً فيسقط حالا بالحرم المحفوظ حلّه للسلطان البطريركي .

٢

منشور للبطريرك يوسف حبيش ايضاً

ضد هؤلاء البيبليشيين مؤرخ في الرابع من كانون الثاني سنة ١٨٢٦ :

بعد ان يشرح غبطته عن اجتهاد المذكورين وبثّ سمّهم ويذكر الجميع بمنشوره السابق يرسم بثقل على الجميع بان يتجنبوا هؤلاء الاشخاص البيبليشيين التجنّب التام بكافة التصرفات والمعاطاة الدينية والعالمية . اي لا يصير معهم لا بيع ولا شراء ولا يقرضوهم ولا يستقرضوا منهم ولا يقبلوا هباتهم ولا يتعلّموا بمدارسهم ولا يعلّموا بها اي علم كان . ولا احد يقيم عندهم اجيراً ام خادماً باية وظيفة كانت او لاية علّة كانت . ولا يواظبوا التردد عندهم والمخالف فان كان اكليريكياً يسقط حالاً بالرباط وان كان علمانياً فيسقط حالاً في الحرم الكبير المحفوظ حلّه للسلطان البطريركي .

٣

منشور للبطريرك يوسف حبيش

لسكان الاديار الآتي ذكرها وعددها ١٢ ديراً
مؤرخ في ٢٥ ايلول سنة ١٨٢٦

وهذه اسماء الاديار : دير سيّدة الحقلة . دير مار شليطا مقبس . دير مار عبدا هرهريا . دير مار جرجس علما . دير سيّدة بقلوش . دير مار يوحنا البقيعة . دير مار يوسف الحرف. دير مار الياس بلّونه . دير مار موسى بلّونه . دير مار جرجس بحرصاف الجديد . دير مار انطونيوس الكُنَيِّسه . دير سيّدة شويّا .

بعد ان يحثّ غبطته ابناء الاديار المذكورة على حفظ براءة البابا بيوس السابع خاصةً في امتناع الرجال عن الدخول داخل اديار الراهبات والعابدات يعلنُ انه اذا تجاسر احد من الرهبان او الاكليريكيين او العلمانيين غريباً كان او قريباً وداست رجله داخل دير الراهبات او العابدات فيسقط حالا بذات الفعل في الحرم الكبير المحفوظ حلّهُ للسلطان البطريركي. ولكن هذا الحفظ يفهم فقط على الداخلين الى كلّ دير من الاديار المدوّنة اعلاه . ثمّ بعد ذلك يستثني الحوادث المسموح بها بالدخول من المجمع اللبناني ومجمع اللويزة . ثمّ يوضح انه حينما يقع الشك بكفاءة الحادث لجواز الدخول فالرأي لمرشد الدير الاعتيادي لا لغيره .

٤

منشور للبطريرك يوسف حبيش ايضاً

وجهه الى كهنة طائفته المارونية وقد بناه على بعض قضايا اخذها عن المجمع اللبناني ، وذيله بمرسوم أنفذه اليهم يحثهم به على العمل بتعليم هذا المنشور . وقد طبعه بمطبعة دير مار انطونيوس قزحيا بالحرف السرياني–الكرشوني الملفوظ بالعربي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٨٣١ مسيحية وعن طبعة دير قزحيا ننقل هذا المنشور

علم بعض قضايا مأخوذة من المجمع اللبناني

قضية أولى

يقول المجمع المذكور عمّا يخصّ الزام خوارنة الرعايا بالتعليم المسيحي لرعاياهم. قسم ١ رأس ٢ عدد ٢ :

هكذا اقلّه يكون التعليم ايام الآحاد والاعياد الواجبة بطالتها . الى قوله : والكاهن الذي يهمل فعل ما ذكرناه يقاصصه مطرانه مقاصصةً كنائسية او غيرها كما يراه مناسباً فان بقيَ الكاهن بعد تأديب المطران له على ما هو فيه من الاهمال مدّة ثلاثة اشهر فليربطه مطرانه ويعيد عليه التأديب بما هو اصعب .

قضية ثانية

يقول ثانياً قسم ٢ رأس ١٢ عدد ١٨ : ولاجل حفظ جميع المؤمنين وصيّة البيعة وهي ان يتناولوا في عيد الفصح القربان الاقدس . يجب على كل خوري رعيّة ان يحرّر في كتابه اسماء كل ابناء رعيته والذي يراه منهم لا يتناول الى ان فات الاحد الجديد يرفع أمره الى اسقفه لكي يؤدبه .

قضية ثالثة

يقول ثالثاً قسم ٢ رأس ١٣ عدد ٤ : هذه التقدمة — اي تقدمة القداس الالهي—هي الاقدس ويجب ان تُخدَم بالنوع الاقدس وتتقدم وتتناول باستحقاق واحترام وخشوع . وقوله ايضاً بالقسم والرأس المذكورين عدد ٧ : يجب على الكهنة ان يكونوا خبيرين بالطقوس والرتب الكنائسية . الى قوله : لا يسمح الرأس لاحد من الكهنة بالقداس الاّ بعد تحقيقه بانه عرف رتبة القداس .

قضية رابعة

يقول رابعاً قسم ٢ رأس ١ عدد ٥ : ثمّ نأمر الخوارنة امرًا لازماً جازماً بان يحفظوا الاثواب الكهنوتية والآلات القدسية ومداولة توزيعها بكل نظافة ولطافة واحتراص . وقوله ايضاً قسم ٣ رأس ٣ عدد ٥ : يجب على الخوري ان يلاحظ نظافة الكنيسة والمذابح وحوائج القداس واثاثات الكنيسة ويحفظها باحترام ولا يدع الغبرة والعثّ والسوس في الحوائج والكتب ولا يتركها موسخةً ومحتقرةً . وبالازيد فليكن هذا الاحتفاظ نحو القربان الاقدس بافضل نوع واكثر احترام. وبعده حفظ زيت العماد والميرون والمسحة وجرن العماد .

قضية خامسة

يقول خامساً قسم ٢ رأس ١٣ عدد ١٣ : يجب على الكاهن الذي عليه وفاء قداديس متعددة ان لا يزيد على اثقاله اثقالاً ويقبل حسنات جديدة قبل وفاء القديمة الاّ ان كان المحسن يمهله بالوفاء .

قضية سادسة

يقول سادساً قسم ٣ رأس ٣ عدد ٥ : فلتكن ايضاً عند كلّ خوري او قسيس (خادم رعية) خمسة كتب مشدودة لازمة لتدبير رعيته الزاماً كلياً . الكتاب الاول يحرّر فيه اسماء المعمودين وفي الثاني اسماء المثبّتين بالميرون وفي الثالث اسماء المخطوبين وفي الرابع اسماء المتزوجين وفي الخامس اسماء الاموات الذين يموتون في رعيته .

قضية سابعة

يقول سابعاً قسم ٢ رأس ١ عدد ٢ : لا يتوشّح احد من الاكليريكيين بثوب غير لائق بدرجته سواء كان في بلده او في غير بلده بل يلبس الثياب المعتادة لاصحاب درجته وتكون محتشمة لا فاخرة ولا رثّة بل يقرنها ما بين عدم الافتخار والحشمة والنظافة بشكل ساذج موافق لدرجتهم مميّز عن اثواب العلمانيين الفاخرة الظريفة حتى يُرى من لون صباغها وتفصيلها الحشمة ونقاء الديانة المسيحية . وبالجملة فليرذلوا كل دالّة وزينة عالمية .

قال مجمع قرطاجنّة ٤ قانون ٤٥ : فليظهر الاكليريكي درجتهُ هذه من شكل كسوته وسيرته بنوع لا يلحقه الحسد او المذمّة من ثيابه حتى ولا من حذائه . وآباء مجمع الاغاثاني قانون ٢٠ (٢٠) قالوا : لا يجوز للاكليريكيين ان يقتنوا او يستعملوا ثياباً أو احذية غير موافقة لحال دعوتهم الكهنوتية اذ من المحقق ان الثوب لا يجعل الشخص اكليريكياً او راهباً بل الواجب عليهم ان يتوشحوا باثواب لائقة لدرجتهم ولونها يكون مسوداً او معتماً او خمرياً او بنفسجياً من كتان او قطن او صوف لا من حرير الآ ان كان عن اذن الاسقف ليظهروا بحشمة ظاهر ثوبهم نظافة سيرتهم الباطنة .

قضية ثامنة

يقول ثامناً قسم ٣ رأس ١ عدد ٨ : لا يجوز لاهل الكنيسة اقتناء الاسلحة في بيوتهم . وهذا العمل تحت العقوبات حسب خاطر الاسقف . ثمّ لا نسمح لهم ايضاً ان يحملوا قوساً او نشّاباً او ترساً ولا حربات ولا مزاريق ولا بندقية وما شاكل ذلك الآ عن سبب داع في سفرهم عن اذن الاسقف وان امكن خفياً . الى قوله ... يجب عليهم ان يتجنّبوا كلّ صنف من الصيد والقنص لانه يختصّ بهم صيد اشرف وهو صيد الانفس وربحها لله تعالى الخ...

قضية تاسعة

يقول تاسعاً قسم ٣ رأس ١ عدد ١٠ : ثمَّ ولا يجوز لاهل الدرجات ان يتعاطوا صنعة الطبّ والجراحة الاّ بعد الاذن من اسقفهم .

قضية عاشرة

يقول عاشرًا في القسم ٣ رأس ١ عدد ٥ عن الكهنة : ولا يتمشوا في أسواق المدينة حيث البيع والشراء وزحمة الشعب الاّ عن ضرورة او تكميل وظيفتهم او لاجل اشتراء شيء لازم من السوق . ولا يواظبوا التردد على الدكاكين ولا يستمرّوا في الحوانيت ليحكوا ويمزحوا مع الناس المجتمعين هناك لانه لا يليق باهل الكهنوت الحضور في مواضع المجون والمزح والنميمة والشكوك .

٥

فهذه القضايا العشر المرقومة اعلاه قد اردفناها بالشرح الآتي ايراده .

نقول اولا

عما هو مرسوم بالقضية الاولى لجهة الزام الكهنة المتقلدين رعاية الانفس بالتعليم المسيحي ايام الآحاد والاعياد الواجبة بطالتها

انهُ من الواضح ان كاهن الرعية اذا تهامل بتعليم ابناء رعيته التعليم المسيحي يخطئ ويستحق القصاص من مطرانه ولا يُعفى من هذا الالزام ولو بأية حجة كانت . بل اذا لم يمكنه تكميل ذلك بذاته لعائق ما ضروري فحينئذ يلتزم ان يقدّم شخصاً مناسباً ينوب عنه بهذا التعليم . وان زعم بان ابناء رعيته لا يسمعون له ولا يحضرون وقت التعليم فيلتزم ان ينبههم ويشدّد عليهم بالحثّ والحتومات ليحضروا . وان لم يحضروا بالوقت المعيّن للتعليم فأقلّه يتلو في وقت القداس بعد قراءة الانجيل المقدس مختصر كتاب التعليم المسيحي المطبوع في دير قزحيا او كتاب غيره يساويه . والذي يجهل قواعد الايمان الضرورية معرفتها والوصايا اللازم تكميلها مثل معرفة توحيد الله وتثليثه وتجسّد ربنا يسوع المسيح وآلامه وموته ووصايا الله العشر ووصايا الكنيسة وفعل الايمان والرجاء والمحبة والصلاة الربيّة وسلام السيّدة مريم العذراء وقانون الايمان فلا يكللهُ كاهنهُ بسرّ الزيجة ولا يسمح له بان يصير اشبيناً الاّ من بعد ان يتعلّم ذلك . والشخص الذي لا يمتثل لامرنا هذا فيُرفع امره الى مطرانه ليؤدبه .

ولاجل منع تهاون من يوجد من الكهنة غير معتنٍ بذلك فقد حكمنا بان اي كاهنٍ من جميع الكهنة المتقلّدين خدمة الرعايا ولو كان راهباً قانونياً او

غير قانوني ترك منذ الآن فصاعداً التعليم المسيحي كما تقدّم شرحه مدّة ثلاثة آحاد متصلة وما عيّن وكيلاً ينوب عنه بذلك فما عدا القصاص الذي يستحق ان يُجرى عليه منا او من مطرانه فيلتزم بذات الفعل ان يقدّس بذاته او بواسطة غيره ثلاثة قداديس عن انفس المنقطعين ولا يمكن اعفاؤه من تقدمتها كوننا حكمنا بوضعها عليه علاجاً ضرورياً عدا عن تهاونه . وان تجاسر بان يتأخر عن تقديمها فيلتزم ذمّةً الكاهن الذي يسمع اعترافه بان يمنع عنه الحلّ السري حتى يستوثق منه انه يقدّسها . ثم وان كهنة الرعية القائم عليهم رئيس فهذا الالزام يُطلب من الرئيس المذكور . واذا تهامل فعليه يقع الزام وفاء الثلاثة القداديس المفروضة . وانما في شهر نيسان وايار وحزيران بسبب وقوع اشغال القزّ في هذه الاشهر الثلاثة فلا يلتزم الكاهن المتأخر عن التعليم بوفاء هذه القداديس الاّ اذا تأخّر خمسة ايام احاد متصلة وفي بقية الاشهر يلتزم ولو تأخّر ثلاثة آحاد متصلة فقط .

نقول ثانياً : عما يخص القضية الثانية

ان كافة كهنة الرعايا يلتزمون بان يحرروا في دفتر خصوصي اسماء كافة ابناء رعيتهم بحسب رسم المجمع المذكور والذي يرونه مضى عليه الاحد الجديد ولم يتناول القربان الاقدس المناولة الفصحية فيلتزموا ان يرفعوا أمره الى مطرانه بحسب فحوى هذه الرسوم . والآن نحن نجدد الحتم بذلك على كهنة الرعايا وكل كاهن يتهاون بتحرير اسماء ابناء رعيّته او بالاعراض الى مطرانه عـــن الاشخاص الغير المتناولين في ايام الفصح فيستحق المقاصّة . ومن المعلوم ان هذه الايام الفصحية هي خمسة عشر يوماً يبتدئ اولها من احد الشعانين وتنتهي يوم الاحد الجديد .

نقول ثالثاً : عما هو مرسوم ضمن القضية الثالثة

ان الكهنة عموماً سواء كانوا من الاكليروس العلماني او القانوني فليرتّبوا قداسهم على موجب رسم وارشاد المنارة الموضوعة باول كتاب القداس . ولتكن حركات الكاهن المقدس مطابقة لها بكافة اجزاء القداس . وذلك بحسن الاحترام والاعتبار والعبادة والوقار واللفظ المفهوم لا باللهجة المفرطة وادغام الالفاظ وعدم الاحترام كما يفعل بعض كهنة جهلة الذين من ازدياد فجتهم وعدم عبادتهم ينهون قداسهم بأقل من ثلث ساعة . بل حسبما بلغنا يوجد منهم من ينهي قداسه بربع ساعة ولا يستقيمون في الكنيسة الاّ خمس دقائق بعد انتهاء القداس لاجل وفاء الشكران . فلذلك ننهي الكهنة عموماً ان ينبذوا عنهم مثل هذه العادة والكسل

المذمومين ونحتم بحتم كلي تحت ثقل الخطأ بان زمان القداس من ابتدائه الى انتهائه لا يكن اقلّ من نصف ساعة. أمّا المدّة التي يصرفها الكاهن بعد القداس لاجل الشكران فلتكن نحو ربع ساعة. وعند وجود سبب داعٍ للسرعة فلتكن اقلّه عشر دقائق.

ومن المعلوم ان هذا الشكران يتمّ بالصلوات او التأملات او غير ذلك من الافعال الصالحة. والكهنة الذين لا يوجد معهم ساعات فيكفيهم ان يعتبروا كميّة زمان القداس والشكران المحدّدة اعلاه بمقتضى فطنتهم.

نقول رابعاً : عما هو مرسوم ضمن القضية الرابعة

ان الكهنة عموماً يلتزمون من قبَل الوصية الالهية والكنائسية بان يحترصوا احتراصاً تاماً لتكون الاثواب الكهنوتية والآلات القدسيّة وكسوة المذابح نظيفةً لائقةً لا ان تكون مقطّعة رثّة ولا موسخة بل يبذلوا الاجتهاد في نظافتها ولياقتها خاصةً السفنجات والصمدات وبدلة القداس الالهي. وان ادّعى احد من الكهنة ان هذا صادر من قبَل فقر تلك الكنائس التي لا توجد بها هذه الاواني كالواجب فهذا ادّعاء باطل لا يمكن قبوله لكون اذا لم توجد بمثل هذه الكنائس الفقيرة اواني مناسبة للتقديس فيلتزم الكاهن ذاته بتدبيرها.

ومن ثمّ من الآن فصاعداً اي كاهن كان قدّس في بدلة عتيقة رثّة او مخزّقة تخزيقاً معتبراً او وسخة جداً لا سيما اذا كانت الصمدات هذه حالها او ان الكأس والصينية كانا من نحاس وقد تلاشى طليهم الذهبي فيستحق اشدّ القصاص الكنائسي ولا يُقبَل له عذر كلياً. ومن يراه هكذا فيلتزم ان يخبر عنه مطرانه اذا كان المطران غير عارف به.

نقول خامساً : عما هو مرسوم بالقضية الخامسة

ان من الآن فصاعداً لا احد من الكهنة يقبل حسنة قداسات اكثر من حسنة ستين قداساً وما يفيض عن الستين قداساً فيلتزم الكاهن بتوزيعه على نيّة المحسن. ولا نسمح له ان يبقيه معه الاّ اذا أذنه صاحب الحسنة حسب فحوى رسم المجمع اللبناني المارّ ذكره.

نقول سادساً : عما يخص القضية السادسة

ان هؤلاء الخمسة الكتب المأمور بها من رسم المجمع المذكور تلتزم كهنة الرعايا كافةً باقتنائها. والكاهن الذي لا يقتنيها بعد ثلاثة اشهر تمضي من بعد معرفته بمنشورنا هذا فيستحق الربط عن درجته ولا يُقبَل له عذر بعدم اقتنائها.

نقول سابعاً : عما يخص الرسوم المحتوية في القضية السابعة

ان اثواب الكهنة العلمانيين فلتكن حسب نص المجمع المذكور لا فاخرة ولا رثة . لا فاخرة اي لا تكن من حرير او غير القمشة زاهية مفتخرة . بل فلتكن من قطن او كتان كقول المجمع المذكور . ونحن نوضح بان الكهنة الذين لهم الاستطاعة فلهم ان يلبسوا بنشاً[١] او جبة من جوخ او صوف بلون اسود او كحلي او بني او غير الوان محتشمة . وأفرية بوجه جوخ او صوف او كرموت باللون المرقوم ولكن من دون زعاير[٢] . وصايات كرموت او غير قماش من قطن او كتان او صوف باللون المرقوم ايضاً . واذا لبسوا قنابيز تحت الصايات فلا تكن الا من قطن او كتان سادا لا مقلمة . واذا لزم الامر يلبس سورتي او الاجا فليكن بلون محتشم وعن اذن مطرانهم .

واذا لبسوا أعبية (عباءات) مشالح فلا تكن الا من صوف وبلون اسود من دون تنقيش والقيطان والشرايط ثم قلابات الاكمام اللازمة لهذه الاثواب جميعها فلتكن باللون المرقوم من دون تنقيش . وكذلك الزنار فلا يكن الا بالالوان المذكورة . والكهنة الذين ينقلون الساعات فلا ينقلونها كما تنقلها العوام جاعلين لها بنودة من حرير او مخايش منقش ويعلقون بها قلوبات ويعلقونها خارجاً بأزرار صاياتهم او قنابيزهم او يضعون لها جنازير منتخرة ذهبية او فضية او غير اشياء فاخرة . فهذا لا نسمح به للكهنة بل فلينقلوها عارية من ذلك وان امكن فلتكن داخل اثوابهم . وليكن بندها بلون كحلي او اسود سادا . ولا تكن أحذيتهم وقلاشينهم الجلد بلون احمر قرمزي او اصفر او كلسات بيض وخلافه من اللباس فلا نسمح للكهنة ان يستعملوا ذلك . بل فلتكن هذه جميعها بلون أسود فقط وباقي الاقمشة الحريرية المقلمة المتلونة فلا تكن كأثواب العلمانيين بالصباغ الزاهي المشكل الالوان . لان هذه الالوان الزاهية محرم عليهم لبسها . ولا تكن رثة اي ان كسوة الكهنة الاعتيادية الخارجة فمها كان الكاهن فقيراً او قنوعاً لا تكن مرثة حتى تشمئز الناس من القرب اليهم لا سيما حينما يرومون ان يقبلوا ايديهم ويلتمسوا بركتهم بل اقله تكون هكذا . فالقاووق يكون قرصه من جوخ ولفته الخاصة من خام كحلي وعباءة المشلح من صوف بلون اسود

(١) البنش والبنشى رداء واسع البدن والكمين طويلها والجبة تركية .

(٢) الزعارة من الفرو ما يثنى منه على اطرافه فوق الوجه ج زعائر وهي من معجم محيط المحيط اصطلاح العامة . معجم المحيط .

ومثلها العباءة الزنّارية ولا يلبسوا عباءة مقلّمة بلون اسود وابيض . والصاية تكون من خام كحلي غير مرئيّة . وهكذا بقية اثوابه المنظورة لا تكن مرئيّة مجلبة له الاحتقـــار .

فهذا الشرح المتضمن تحديد كيفية ملابس الكهنة فيلزم جميع كهنة العوام من الآن فصاعداً ان يسلكوا بموجبه . ولا تقدر الكهنة الفقراء ان يعتذروا بانهم من كليّة فقرهم لا يمكنهم ان يلبسوا اثواباً غير مرئيّة لان الكاهن منها كان فقيراً فحسنة قدّاسه تكفي لما ذكرنا . ولاجل هذا السبب قد حكمنا في العام الماضي بنقل حسنة القداس من الزلطه الى الغرش .

نقول ثامناً : عما هو مرسوم في القضية الثامنة

انه ممنوع عن الكهنة اجمعين اقتناء الاسلحة ونقلها وذلك بموجب ما يعلّم المجمع اللبناني . ولهذا فلتبطل العادات التي يستعملها بعض كهنة وهي انهم يقتنون بندق (بنادق) للصيد وينقلونها في البريّة لصيد الطيور والارانب والخنازير والغزلان كما يستعمل ذلك العلمانيون غير معتبرين بانه مختص بهم عمل صيد اشرف وهو صيد الانفس وربحها لله تعالى . فاي كاهن من الآن فصاعداً استعمل الصيد والقنص بالقواس او بالطيور الكواسر والضجّات فيستوجب القصاص الكنائسي .

نقول تاسعاً : عما تحتويه القضية التاسعة

انه من الآن فصاعداً لا احد من الكهنة يباشر صنعة الطبّ والجراحة . والكهنة المتعاطون هذه المهنة باجازة من اساقفتهم او رؤسائهم فليعلموا باننا قد ابطلنا هذه الاجازة ولاشيناها بمنشورنا هذا . والذي يتعاطى هذه المهنة من الآن فصاعداً يستحق الرباط عن درجته .

نقول عاشراً : عما تتضمنه القضية العاشرة

انه قد بلغنا ان بعض الكهنة لا يبالون بالرسم القانوني الذي يصدّهم عن الجولان في اسواق المدينة والتردّد الى الحوانيت والدكاكين حيث زحمة الشعب وعدم اللياقة . بل انهم يحضرون كحضور الانفار العلمانيين . حتى ان بعضهم يحملون قصبات التتن (مواسير التبغ) في الاسواق وفي هذه الاماكن عينها يشربون التتن (التدخين بالغليون) هناك . ويصدر من هذا احتقار لدرجتهم الكهنوتية . فلهذا ننصح وننبّه الكهنة بان يمتنعوا عن التردّد الى هذه الاماكن المذكورة . وان لزم حضورهم بها لاجل قضاء اشغالهم واغراضهم فليحضروا الى هناك ان

امكن بعدما يكون انصرف الشعب ويقضوا اغراضهم وينصرفوا من دون عاقة. ولا يستمرّوا هناك بل فليرجعوا حالا الى بيوتهم ولا يتداخلوا مع احد بالكلام في اشياء وامور لا تعنيهم لئلا يلحقهم من الشعب المذمّة ويجعلوا ذواتهم سبب عثرة للغير في مشّلهم.

وكذلك يجب على كل كاهن ان لا يستعمل مهنة او صنعة ما تكون غير موافقة لحال درجته هذه كاستعمال البيع والشري ورغبة الارباح النجسة وعمل التجارة والبذارة في الاقمشة او غير ذلك. فهذا كلّه لا يعنيهم. بل ان امكن يستعملون الحرايرة والنجارة والكتابة والتصوير وعمّل المسابح (تشريطها) لاجل العبادة لله تعالى. وأمّا ما عدا ذلك فلا يسوغ مباشرته لايّ كاهن كان الاّ بعد اخذ الاذن من الاسقف في الاشياء التي لا يُثلم من المهن المذكورة لما يؤول لمعاشه ومعاش عياله. لانه يختص بهم (بالكهنة) تجارة الانفس وربحها لله تعالى. بل يجب عليهم ان يتجنّبوا كلّ فعل يلحقهم به الاحتقار ويسلكوا بموجب رسوم القضايا المحتوية في كتاب مجمعنا اللبناني فقط.

وحينما يكون الكهنة موجودين في الاسواق فليحذروا من ان يحملوا قصبّات التتن. وكذلك حينما يسافرون من محلّ الى غيره فلا يحملوا قصبّات التتن في الطريق بل فليحمّلوها للعلمانيين الذين يرافقونهم او للشمامسة. ومن اذنب بما شرحناه يستوجب القصاص[1].

---

(١) انه يريد بقصبات التتن: قصبات الغلاوين. والغليون عبارة عن حجر او خشب او معدن مستدير مجوف يحشى بالتبغ، وفي طرفه المثقوب تدخل قصبة او قضيب طويل مستقيم من الورد يسمى «ماسورة» مثقوبة الطرفين ويعرف بالشبق. ان الامير بشير شهاب الكبير كان في كل سنة يرسل الى محبسة دير مار انطونيوس حوب (بلاد البترون) نصف قنطار زيت زيتون ليضاء منه السراج في كنيستها امام القربان الاقدس. وكان الحبساء لقاء هذه الهدية يرسلون اليه ماسورة او ماسورتين من الورد لغليونه.

في اسفل قرية ميفوق – بلاد جبيل – محلة تدعى «مغارة عبيد» وفيها بعض قطع من الارض الجيدة مهدت وفلحت وسودت وأعدها رهبان دير سيدة ميفوق لزراعة التبغ العربي. وقد اشتهرت بجودة تبغها ولذيذ طعمه ورائحته. ويقصدها محبو التبغ الفاخر من جميع الانحاء اللبنانية لمشترى من دخانها. وكان يباع رطل الدخان العربي منها بليرة فرنسية. وكان البطاركة والمطارنة الموارنة المتادون التدخين، يأخذون سنوياً من دخانها مؤنة لغلاوينهم على ما اخبرنا الرهبان القدماء. وكان لغليون البطريرك بولس مسعد شماس خاص من احدى قرى بلاد جبيل يهتّم بتنظيفه وحشوه واشعاله وحمله في اسفار هذا البطريرك.

مرسوم بطريركي

قد اثبت البطريرك يوسف حبيش في آخر منشوره هذا : مرسوماً يحث به الكهنة على العمل بمضمونه وهذا نصه بالحرف الواحد

البركة الرسولية تحلّ متضاعفة على حضرة اولادنا العزاز الكرام الكهنة اجمعين باركهم الرب الاله باتمّ بركاته السموية امين .

اولاً اننا مزيدون الاشواق الى استماع اخبار سلامتكم المُسرّة في كل خير وعافية . والثاني نخبر محبتكم انه بغمّ شديد بلغنا ان البعض منكم لاجل زيادة تغاضيهم عن مطالعة الكتب الذميّة والمجامع المقدسة المسكونية لا سيا المجمع اللبناني قد حصلوا جاهلين معرفة ما هم ملتزمون بفعله من قبَل القوانين والرسوم المقدسة وأضحوا غير متمميها فاقتضى لاجل مداواة هذا التغاضي والاهمال الحاصل عند هوءلاء الكهنة قد حرّرنا بمنشورنا هذا القضايا الموردة اعلاه المأخوذة من رسوم المجمع اللبناني لاجل مراجعتها منكم وأضفنا لها شرحاً وجيزًا لاجل سهولة ايضاح معانيها . ولكي تُحفظ الرسوم المحتوية ضمنها من جميعكم . وقد وضعنا بعض حتومات مثقّلة في بعض تهديدات بالقصاصات الكنائسية القانونية على مَن يتجاسر من الآن فصاعدًا ويخالفها حسبا تشاهدون ذلك مرقوماً اعلاه : ومن ثمّ ننيّهكم بان تسلكوا بموجب هذه الرسوم . واعلموا ان الكاهن الذي من الآن فصاعدًا لا يسلك بموجبها يُقاصص بأشد القصاص ولا عاد يُقبل له اعتذار عن تهاونه هذا . وعندنا محقق حسن تقواكم وطاعتكم لا سيا فيما يأول لنجاحكم وخيركم الروحي وخلاص ذمّتكم مع ابناء رعيتكم . ولكي لا تبرح من بالكم الرسوم المقدسة المحتوية ضمن منشورنا.هذا فنريد ان بكل قرية او مدينة او خورنية يوءخذ عنه نسخة مضبوطة لتبقى محفوظة عند كاهن الرعية لاجل المراجعة . والبركة الرسولية تشمل كافتكم ثانياً وثالثاً .

حُرّر في (١٥) تشرين ب (الثاني) سنة ١٨٣١ م (١٨٣١ مسيحية)

طبع بدير قزحيا

الختم : ا لحقير

يوسف بطرس حبيش

البطريرك الانطاكي

تبليغ هذا المنشور

ان البطريرك يوسف حبيش انفذ هذا المنشور الى كهنة ابرشيته البطريركية والى اساقفة طائفته ليوزعوه على كهنة ابرشياتهم وقد رأينا نسخة منه مكتوبة في سجل العماد في قرية بلاط – بلاد جبيل – ومذيلة باعلام من السيد جرمانوس ثابت مطران جبيل والبترون وهذا نصه :

صح

قد نُقل عن الاصلي حرفاً بحرف وهو حاوٍ عشر قضايا مأخوذة من رسوم مجمعنا اللبناني مع شرحها وايضاحها من قدس السيّد البطريرك الكلي الغبطة . ومن ثمّة نحثّ اولادنا الكهنة المكرّمين بل نحتم عليهم بان يسلكوا بموجب هذه الرسوم المرقومة . واي من تهامل ام تهاون بحفظهنّ يتقاصص بكل صرامة . ثمّ نأمر كل كاهن يبقي عنده نسخة هذا المنشور لاجل الاطلاع على فحواه . صح[١] .

الحقير
جرمانوس ثابت
مطران جبيل والبترون

الختم

تعليق

على هـــذا المنشور للبطريرك يوسف حبيش
المطبوع بمطبعة دير مار انطونيوس قزحيا
سنة ١٨٣١

الازياء اللبنانية في عهده : تفسير بعض كلمات مجهولة في منشوره

بقلم لحد خاطر

وردت بعض كلمات في هذا المنشور فما يختص بملابس الكهنة . ولتقادم عهدها صعب علينا فهمها بالتمام : فكتبنا الى صديقنا الاستاذ لحد خاطر الاختصاصي بالتقاليد اللبنانية نستفسره عنها فأماط عنها اللثام وتلطف واجابنا على سؤالنا . واليك جوابه ننشره له شاكرين . قال :

---

(١) اعلن المطران جرمانس ثابت كما رأيت انه قد نقل هذا المنشور عن الاصلي حرفاً بحرف، فقابلناه على المطبوع في دير قزحيا فرأينا بعض الفرق ، فيظهر ان البطريرك يوسف حبيش بعد ان طبع هذا المنشور بمطبعة دير مار انطونيوس قزحيا أعاد فيه النظر وزاده بعض الشرح .

البنش

جاء في محيط المحيط : البنش او البُنُش رداء واسع البدن والكمّين طويلها والكلمة تركية .

وفي كتابي «أزياء اللبنانيين في التاريخ» الذي نشرته تباعاً في مجلّة «الحكمة» : ان اللبنانيين عندما احتلّ الرومان لبنان اخذوا عنهم البنشات وهي مشالح من الكشمير او الطرما او الحرير او الصوف ، كانوا يطرحونها على اكتافهم ، ويلتحفون بها فوق ملابسهم ، وهي عندهم التوجات مفردها «توج».

وأردف محيط المحيط ان البنش او البُنُش معناه ايضاً الجبّة . وبمثل ذلك فسّره البطريرك في منشوره ، اذ اردف كلمة بنش بكلمة جبّة فقال : «بنشاً او جبّة». والجبّة التي هي على الارجح تلك التي ما زال يلبسها بعض الكهنة والاساقفة حتى اليوم وتُعرف بسعة بدنها وكمّيها وتدلّيهما عند بسط اليدين ، والاساقفة وغيرهم من اصحاب الرتب الكنسية يربطون بعنقها شريطتين ارجوانيتين تعقدان بشكل ظاهر يُستدل بهما عليهم .

وقد اخبرني صديق لبناني عائد من الارجنتين ان الاثرياء من اهل البلاد يلبسون فوق اكسيتهم في الشتاء رداء واسع الكمّين فضفاضاً ، وبدون كمّين احياناً يسمونه «باتشو».

فهذا التشابه في الاسمين «بنش وباتشو» يدل على ان لكليهما اصلاً واحداً يعود الى عهد الرومان ، وانه عنهم انتشر في اوروبة وتركية والشرق واميركة ، وقد وصل الى لبنان امّا عنهم وبواسطتهم يوم احتلّوه ، وامّا بعد ذلك عن مختلف البلدان بواسطة المواصلات والاسفار المتبادلة على توالي الايام ، حتى عهد المنشور . وغابت اخيراً كلمة بنش الاجنبية لتحلّ محلّها كلمة «جبّة» بما وجدت من ايثار لدى اللبنانيين لانها من لغتهم العربية الوطنية المحبّبة الى قلوبهم .

الجبّة

ولحلول الجبّة محلّ البنش وجب ان نقول فيها كلمة : هي في الشرق قديمة الاستعمال . اخذها العرب بعد الاسلام عن الفرس ، واتخذ الامويون البياض من شعارهم فلبسوها بيضاء . وجعل العبّاسيون السواد شعارهم فلبسوها سوداء ، وكانوا يسمّونها «سواداً» ، فاذا قيل : «لبس فلان سواده» كان معناه لبس جبّته .

وتقرب من الجبّة « عباءة المشلح » الشائعة اليوم في اكثر البلدان العربية المجاورة ، والتي يلبسها بعض الخاصة من اللبنانيين في بعض المناسبات ، كما في الشتاء للاستدفاء بها ، وفي التنقلات على ظهور الجياد جرياً على تقليد يعود الى عهد الفروسية في لبنــان .

وأثمن عباءات المشلح ما صُنع من وبر الجمال وفُوّق بالقصب عند العنق ، ويغلّب على الوانها الاسود والداكن او الغامق ، والبيضاء منها تدعى « برنساً » وتُلبس صيفاً للتخفيف من وطيس الحرّ ولوقاية الملابس من الغبار . واياً كان لونها تُصنع واسعة بدون كمّين ، وسابغة حتى القدمين ، ويرتدى بها فوق الملابس.

ولنعد الى الجبّة عند رجال الدين من النصارى فهي سوداء دائماً ومن صوف ناعم ؛ الاّ البطاركة فانهم يلبسونها من لون ارجواني. وقد كان الارجوان قديماً لباساً للملوك وهو من مخترعات اللبنانيين في العهد الفينيقي ، ومن اخص ما كانوا يتجرون به ويجنون منه اعظم المكاسب .

واخبرني احد الشيوخ ان نساء الخاصة من اللبنانيين كنّ في العهد الاميري يلتحفن فوق ملابسهنّ ولا سيما في الاسفار بما يشبه الجبّة اذ يصنعنها من الحرير الثمين المختلف الالوان المزركش او الموشّى وكنّ يسمّين الحريري منها « قفطاناً أو طيلساناً» والجوخي «جوخة » والصوفي «صوفة» ويُظنّ ان الصوفة هذه كانت مدعاة لشيوع المثل اللبناني القائل : « فلان صوفته حمراء » اي عرضة للنقد والتهمات وسوء المظنة ؛ ذلك لان الصوفة الحمراء عرضة لظهور الوسخ عليها مهما كان قليلاً .

الكرْمَسوت

وجاء في محيط المحيط : الكرْمَسوت نسيج من حرير كانت تصنع منه القنابيز ويريد البطريرك هنا ما كانت تُصنع منه الفراء جمع فرو او فروة .

وكانت الفراء تَصنع من جوخ او صوف او حرير كرْمَسوت مبطن بفرو يُؤخذ من جلود بعض الحيوانات ، اخصها الارانب والثعالب والسنانير ؛ بعد ان تُدبغ وتصنّف الواناً ، حتى لا تكون الفروة الواحدة غير موحّدة اللون ؛ الاّ اذا وُضعت الجلود الملونة على اشكال هندسية تستملحها العين .

وكانت الفراء من قبل كما هي اليوم غالية الثمن لا يقوى على اقتنائها الاّ الاغنياء من الخاصة ولا سيما الامراء من الحكّام وكبار المشايخ .

ومما يُحكى عن هؤلاء انهم كانوا يعدّون منها انواعاً ليخلعوه على خواصهم عندما يقومون نحوهم بخدمات ذات شأن ، علامة عطف ورضى وصفو خاطر.

وكان المخلوعة عليهم يباهون بها كما يباهى اليوم بالاوسمة وشارات الشرف والتقدير.
امّا شكل الفروة فني غاية البساطة . هي بمثابة درّاعة ولكنها مبطّنة بالفرو ومن غير ازرار . وتمتدّ طولا الى ما يناوح الركبتين .
ويقول اللبنانيون في احاديثهم حتى اليوم «فلان لبّسني فروة» اذا وجّه اليه تهمة مسّ بها كرامته ، وهو عندهم من باب الاشارة الى الشيء بعكسه .

الزعاير

ومن الكلمات المطلوب تفسيرها «الزعاير» مفردها زعارة . وهي ما يُثنّى من الفروة على وجهها القماشي من الجانبين ما طالا . ويكون عرض الزعارة عادةً بين ٥ و١٠ سنتيمترات. وكلما عُرّضت الزعارة كانت ادلّ على علو مقام صاحبّ الفروة .

القنباز

ولما كنا قد أتينا في كلمتنا عن الكرْمَسوت على ذكر القنباز الذي شاع لبسه زمناً في لبنــان واصبح الآن في طريق التواري ، فقد رأينا ان نقول كلمة فيه ايضاحاً وتعريفاً :
القنباز (بالقاف) والغنباز (بالغين) والكلمة فارسية بالارجح ، ثوب ذو كمّين لبسه الرجال والنساء في لبنـان ، مشقوق من الامـام ، سابغ حتى القدمين ، يُربط وسط بندين بعد طي الطبقة اليمنى على الطبقة اليسرى ، ويُشدّ فوقها زنّار غالباً ما يكون من كشمير او من حرير ابيض مخطط عرْضاً بخطوط سوداء ، مشقوق الكمّين عند الرسغ ، والجانبين من ذيله الى ما يساوي الركبتين .
واكثر ما تكون اقمشة الغنباز من الغباني ومختلف الشقق الحريرية المتقدمة من دمشق وحلب والاستانة ، او من الديما المصنوعة في الذوق وبيت شباب ودير القمر وغيرهما على الانوال اللبنانية .
امّا النساء فكنّ يلبسن قنابيزهنّ من مختلف الا قمشة الملائمة لحالة كلّ منهنّ ، واكثرها مشقوق الكمّين حتى تحت الابط ، والمعطفين من الذيل حتى الزنّار . وله ازرار نحاسية صفراء ، وتحته غلالة من الحرير المسلوب الخشن النسج : ومنهنّ من كنّ يلبسنه مطرّزاً بنقوش اشتهر خيّاطو لبنــان وخيّاطاته في اتقانها .

الصابة

الصابة هي شقّة من الحرير بخطوط او بدون خطوط ، تُصنع منها الالبسة للرجال وفيهم الكهنة . وللنساء وتكون من كرمسوت او غيره .

وفي محيط المحيط : ان الصابة تُطلق على ثوب يُبطّن نصفه الاعلى ، ويُعفى نصفه الاسفل من البطانة .

ويراد بها ايضاً جبّة تطويها المرأة الى نصفها . وترسلها من منطقتها الى قدميها . الى ان قال اي محيط المحيط : « وهو من ملابس نساء لبنان » .

وفي كتابي « ازياء اللبنانيين في التاريخ » ان النساء اللبنانيات كنّ يلبسن ثوباً ينطبق وصفه على الجبّة المذكورة اعلاه ، يسمينه « قندشيّة » (والقندش في مفهوم عامتنا الشيء المعلّق) يبتدئ عند الزنار وينتهي عند القدمين ؛ وله زرّ فضّي كبير في اعلاه يشدّه الى الوسط . فكأني به وهو على هذا النحو اصل لما يسمونه اليوم بالتنّوره التي ضُيّقت وقُصّرت وفاقاً لما تقتضيه شرعة الزي المتبع في العصر الحالي .

السورتّي

السورتّي (كما كُتبت في المنشور) والصرّتي بالصاد وتشديد الراء وفتحها كما يلفظها اللبنانيون وكما كنتُ اسمعها تُلفظ في قريتي وجوارها . وانا في مقتبل العمر ، هي نوع من المنسوجات الحريرية ذات الخطوط .

ويبدو من قرائن المنشور ان الصرّتي كانت تُصنع من مختلف انواع المواد النسجية كالحرير والكتّان والقطن على مثال الديما فتلبس منها كل طبقة من الناس ما يتلاءم مع حالها وامساكاتها المالية واسلوب معيشتها .

ويظهر من المنشور ان الصرّتي كان بعضها يُصنع بخطوط او نقوش وبعضها الآخر « سادا » (من ساذج بمعنى البسيط) غير المخطط ولا «المنقوش» . وقد اوصى البطريرك الكهنة بان يلبسوا هذا النوع الساذج من الصرّتي تمشياً مع حالتهم الكهنوتية التي تدعوهم الى الظهور بالملبس البعيد عن التأنق والزخرف فينظر اليهم الناس بعين الحرمة والاكبار .

ومن ذكريات طفولتي ان المرحومة امي كانت تلبس فسطاناً من الصرّتي قرمزي اللون فيه خطوط رفيعة مع تموجات لمّاعة ؛ وقد سمعتُها مراراً تقول انه كان لا يزال عندها من بعض هدايا عرسها ، وكانت لا تلبسه الاّ في بعض المناسبات.

الآلاجا

والآلاجا نوع من الانسجة أحدث عهداً من الصرتي . وهو من اصنافه الثلاثة الحرير والكتّان والقطن : ساذج ومنقّش ، والوانه عديدة ؛ ويقرب في مظهره مما يسمونه اليوم بالتفتا . وعندنا اليوم في البيت صورة مكبّرة للمرحومة امي تلبس فيه فسطاناً من الآلاجا .

ولطالما سمعتُ شبّان قريتي ينشدون في نزهاتهم ومجتمعات انسهم الاغنية التالية من لحن « عَ العزوبيّة » :

لبست الآجا وشلحت الآجـــا
بيّا . خواجه يا عيني وهيّا فرنجيّه !

مخايش منقّش

هاتان الكلمتان هما الاخيرتان من الكلمات المجهولة في المنشور المطلوب تفسيرهـــا .

ان الكلمة الأولى « مخايش » لم تطرق قط سمعي ، ولم اطالعها في كتاب طوال حياتي ، استعنتُ على كشف معاها ببعض الاصدقاء فلم القَ الاّ فشلاً وقد تلقيتُ من بعضهم عدة اجوبة لم اقتنع بصحة واحدة منها .

عدتُ الى تحقيقاتي الخاصة فظهر لي :

اولاً : من الاستدلال اللغوي ان كلمة « مخايش » يجب ان تكون جمع مَخيشة او مخيش من الخيش . والخيش في محيط المحيط نسيج من مشاقة الكتّان خيوطه غلاظ وبينها تخلخل . فمن هذا يُفهم ان كلمة « مخايش » تدلّ على النوع الذي ذكرناه من النسيج ، ولكي نعرف علاقة هذا النسيج بالساعات ونقلها وحملها وجب علينا العود الى القرائن .

ثانياً : من الاستدلال بالقرائن يبدو ان المخايش كانت لنقل الساعة او حملها فما عساها ان تكون هذه الاداة ؟

من ذكرياتي ان الساعات قبل ربطها بالمعصم كانت تُحمل ببنود من حرير او كتّان او بسلاسل من ذهب او فضّة او اي معدن آخر تدعى «كساتيك» مفردها كستك ، تناط بالعنق او بعروة في الثوب ، وتوضع تحت الزنار ، او في جيب خاص ضمن غلاف من قماشه : منه البسيط ومنه المزخرف الغالي الثمن المبالغ في تطريزه بالقصب وتزيينه بشراشر من ذهب او فضّة .

هذا الغلاف للساعة أو الصوان الذي كانت العامة في لبنان تدعوه « بيت»

الساعة » هو على الارجح ما اراده البطريرك بكلمة « مخايش » موصياً الكهنة في منشوره بان تكون هذه المخايش لساعتهم (اي بنودها) ساذجة بسيطة لا زخرف فيها ، متلائمة مع حالتهم الكهنوتية ، وما تتطلب من زهد ومجانبة اي تأنق او بذخ .

هذا بشأن كلمة مخايش — أمّا كلمة « منقّش » فمعناها معروف وهو ذو النقوش — ولكن على ظنّي تنقصها تاء مربوطة في آخرها لتتم المطابقة بينها وبين الاسم العائدة اليه — مخايش منقّشة — وقد يكون المؤلف او الناسخ اهملاها سهواً وجلّ من لا يسهو .

هذا ما وصل اليه جهدي في تفسير هذه الكلمات فعساه يروقكم ...

٥

منشور للبطريرك يوسف حبيش ايضاً

اثناء تسنّم الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر عرش البابوية(١)

البركة الرسولية تحلّ مضاعفةً وتستقرّ مترادفة على انفس واجساد حضرة اولادنـا العزاز بالرب رؤساء الاديرة والمدارس وكهنة الرعايا وساير الكهنة والاكيروس والشعب اجمعين باركهم الاله باتمّ بركته العليّة امين .

اولاً اننا بمزيد الشوق الى استماع اخبار سلامتكم المسرّة ونموكم الدايم بطاعة الله في كل خير وعافية . والثاني انه اذ كنا حاصلين بحال الحزن والغم على فقد قدس سيّدنا البابا بيوس الثامن ذي الذكر السعيد الذي لفقده اضحت الكنيسة باجمعها متسربلة ثياب الحزن والكآبة . واذ نحن مترقبون يوماً فيوماً اقامة حبر جديد خليفة له يسوسها ورافعونَ ايدي الضراعة لله سبحانه لان يمنح بيعته المقدسة راعياً ثانياً يكون مثل قلبه تعالى الاّ وقد بزغت علينا سواطع انوار البشرى السنيّة التي وردت ضمن رسالة نفذت الينا من نيافة الكردينال بيديد شيني رئيس مجمع انتشار الايمـان المقدس المرقومة في اليوم الخامس من شهر شباط هذا العام وبها يُعلن انه في اليوم الثاني من الشهر المرقوم قد انعم الباري تعالى على كنيسته المقدسة باقامة حبر جديد الذي هو قدس سيّدنا البابا غريغوريوس السادسَ عشر الكلي القداسة فعند ذلك قد ابتهج فؤادنا ابتهاجاً

---

(١) رأينا له نسخة في احد دفاتر مكتبتنا في دير سيدة المعونات — جبيل — منقولة عن الاصل .

فايقاً وتهلّل قلبنا فرحاً وهتفنا مع النبيّ داود قائلين: هلّلوا للرب في كل الارض وسبّحوا وهلّلوا ورتّلوا. فقدّمنا الشكر لعزّته تعالى الذي بعنايته الالهية قد انعم على كنيسته المقدسة باقامة قداسته نائباً له ورأساً منظوراً للكنيسة كلها ورقّاه رافعاً اياه على سموّ قمّة هذه الرئاسة بحبريته العظمى المسكونية الذي هو بالحقيقة اهل لها لان سموّ فضائل قداسته المتلالئة المزيّن بها اقنومه السامي نظراً لحكمته الغزيرة وغزارة علمه المجمّل بالاعمال الفاضلة ووفور غيرته المضاهية غيرة ايليا النبيّ وعن اتضاعه الموسويّ ومجموع مناقبه الحميدة لا تُنعت. فلاجل ذلك وجب ان نقول مع المرتل: ان الرب اختار يعقوب بذاته واسرائيل لقناته.

ومن ثمّ حالاً بادرنا باظهار امارات الفرح والسرور متممين في كرسينا الاحتفالات البيعية بتسربل الكنائس بالملابس الاحتفالية وإيقاد المصابيح النيّرة وقرع الاجراس والنواقيس البيعية دلالة على زيادة افراحنا وابتهاجنا واشارة الى احترامنا السامي وخضوعنا الكلي لرأس هذه الكنيسة المقدسة المنظور وللكرسي الرسولي المقدس كمألوف عادتنا وعادة سلفاينا الكلية القدمية. فيقتضي اذاً من جميعكم ان تظهروا امارات السرور والابتهاج اذ تمارسون الاحتفالات البيعية في اديرتكم ومدارسكم وكنايسكم كما صنعنا بكرسينا كل انسان حسب امكانه كمألوف عادتكم الحميدة. وان تكرزوا باسم قداسته في مواقيت الصلوات والقداسات كما هو الواجب مقدمين الشكر لجودته تعالى على هذه المنّة العليّة ومتضرعين الى مراحمه الالهية لان يؤيد قداسته وينجده بذراعه الرفيعة ويرسل له عوناً من قدسه ومن صهيون يعضده وينصر بيعته الكاثوليكية الرومانية المقدسة في الاقطار مدى الاحقاب والادهار ويخمد عنها نار الاضطهاد التي يثيرها عليها اعداء الديانة وعدا تقدمة هذه التضرعات والصلوات العمومية والخصوصية. فيلزم الآن كل رئيس دير او مدرسة او خوري رعية بعد بلوغ منشورنا هذا اليه ان يصنع في كنيسته زياح القربان الاقدس احتفالياً حسبما هو مدوّن بالرتبة المعيّنة لسبّة خميس القربان الاقدس. والذي لا يمكنه ان يمنح هذا الزياح الاحتفالي فليمارس عمل زياح الوردية المقدسة المعتاد ويتقدم جميع ذلك لاجل تأييد قداسته ولاجل ملاشاة البدع والارطقات. والبركة الرسولية تشمل جميعكم ثانياً وثالثاً.

في ٢٠ اذار سنة ١٨٣١

الحقير
يوسف بطرس
البطريرك الانطاكي

(مكان الختم)

٦

منشور للبطريرك يوسف الخازن(١)

بتاريخ الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٣٧ ضد الذين يلتجئون الى السحراء والرقيين

اعلام لكهنة بلادي جبيل والبترون

... انها لمستحقة الذنب تعاسة .. اولئك الذين يتركون الله ينبوع الحياة ويحتفرون لذواتهم آباراً مشقّقة . لعمري ان هؤلاء التعساء هم على الخصوص اولئك الذين لمّا تأتيهم تجربة فعوضاً عن انهم يستعملون للنجاة منها الوسائط الجائزة بل الواجب عملها ويسلّمون ذواتهم بكليّتها في يدي العون الالهي، فيلتجئون الى الوسائط المحرّمة . وهذا أمر جارٍ في نواحيكم من البعض بتواتر وذلك خاصةً لمّا بسماح الباري تعالى تلدغهم حيّة او مهما كان من الحشرات فيتركون كل واسطة ويلتجئون الى الحاوي المخدوع من ابليس المحّال . مع ان ذلك خطأ جسيم مهين لعزّته تعالى ومحرّم من بيعة الله تحت السقوط حالاً بالحرم الكبير . وليس هذا فقط بل من يشاركهم كقول الرسول .

وحيث ذلك لا تقدر ان تتغاضى عنه بل ان وظيفتنا الرعائية تلزمنا السهر وصدّ جري مثل هذه الذنوب الفظيعة . ولذلك فباسطرنا هذه نأمركم ان تنهضوا مسرعين الى تحذير اولادنا ابناء خورنيتكم ليبتعدوا عن ارتكاب هذا الشرّ الفظيع في الحوادث المذكورة وتفهموهم اننا قد حدّدنا كل القصاصات المفروضة من بيعة الله على مرتكبي هذه الذنوب وتظهروا لهم جسامة قبحها . ومع ذلك اذا لا سمح الله حدث بان احد ابناء خورنيتكم يرتكب فيما بعد هذا الذنب بالتجائه الى الحاوي او الى السحراء فنقلّدكم ان تشهروه حالاً محروماً ومفروزاً من شركة المسيحيين والمعاطاة والتكلّم معهم طاردين اياه من الكنيسة مع كل من يشاركه او يطابق معه باي نوع كان . ثمّ تعرضوا لنا حالاً عنهم بعد اشهاركم لهم . واذا تغاضيتم عن العرض عنهم تصبحوا ملامين امامنا ومستحقين القصاصات الصارمة . وكل منكم يأخذ نسخة عن هذا الاعلام ليبقى يشرحه لابناء رعيته عند الاقتضاء . والبركة الرسولية تشملكم .

---

(١) هو خليفة البطريرك يوسف حبيش في البطريركية . توفي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ في دير الديمان ودفن في ضريح البطريرك يوحنا الحلو (راجع سلسلة البطاركة الموارنة للقس طوبيا العنيسي الراهب الحلبي اللبناني ، المطبوعة في رومية سنة ١٩٢٧ ، في ١٠٠ صفحة) .

٧

منشور لمجمع انتشار الايمان المقدس للطائفة المارونية
في ١٧ شباط سنة ١٨٥١

بشأن سماع الاعتراف في البيوت

... من بعد ان يبيّن المجمع بان كثيرين من الكهنة يستمعون اعترافات المؤمنين في بيوتهم خلافاً لرسم المجمع اللبناني.فاذ عرض ذلك كاتم الاسرار لقداسة البابا بيوس التاسع . فقداسته أمر تحت قصاص الرباط عن جميع الاخيات فيقع فيه بذات الفعل مَن من الكهنة قانونيين كانوا او علمانيين فيما بعد اذا تجاسر احد الكهنة على استماع اعترافات المؤمنين في بيوتهم خلا مادة المرض او غير سبب تُثبت من اسقف الابرشية بكتابة . وبهذا اراد قداسته ان يثقّل ضمائر الاساقفة ، وهذا الرباط محفوظ حلّه للقاصد الرسولي او لبطريرك الطائفة. وأمر ايضاً قداسته تحت تهديد الرباط المذكور بان الكهنة لا يستمعون اعترافات النساء الاّ في مكان ظاهر في كرسي الاعتراف من وراء الشعريّة . ثمّ يأمر قداسته بان يُنبّه على جميع اساقفة الابرشيّات لكي يجتهدوا في اذاعة هـــذا المرسوم ولتكن نسخة منه معلّقة في جميع الكنائس والاديار في المكان المعتاد ان يجتمع فيه الكهنة .

٨

منشور للبطريرك يوسف الخازن ايضاً
في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٤٩

بخصوص مسبة الدين

اعلام لاولادنا اهالي بلاد البترون

انه بغمّ جسيم بلغنا انعكاف البعض منكم وادمانهم على مسبّات الدين ؛ وهم غير مبالين بجسامة هذا الخطأ القطيع الذي به يُفترى على الباري تعالى ويُجدّف على اسمه القدوس . بل انهم يتجرعونه بسهولة كشرب الماء . فأمر مثل هذا قد أوعبنا اقشعراراً وحدةً وانذهالاً . ومن كون جلّ الزام وظيفتنا الرعائية هو التيقّظ الكلي والغيرة على مجده تعالى واجلال اسمه واكرامه والسهر على خلاص النفوس وابعادها عن كلّ ما يضرّ بها ولا سيما الملكة الرديئة التي

تتبددها الى الافلاك . فعليه اقتضى اشهار منشورنا هذا الذي به نُحرِّم وننهي بقوّة كلمة الله العزيز سلطانها عن ارتكاب هذا الشرّ الفظيع اعني خطيئة مسبّة الدين التي تغيظه تعالى وتهين اسمه القدوس . ومن ثمّ من كان معتاداً على ذلك فليحذر من الرجوع اليه بل يهرب منه كهربه من وجه الحيّة . ومن تجاسر من بعد اصدار منشورنا هذا على مسبّة الدين فيُجلب على هامته الغضب الالهي ويصير ابناً لجهنّم. وليس لاحد الكهنة أيّاً كان ان يحلّه من هذه الخطيئة ما لم يدفع ثلاثة غروش صدقة للفقراء والمساكين كفّارة عن هذا الاثم وعلى الكهنة ان يشهروه .

٩

منشور للبطريرك يوسف الخازن
في ١ حزيران سنة ١٨٥٠

بشأن المناديات قبل عقد الزواج

البركة الرسولية تشمل اولادنا كهنة بلاد جبيل والبترون وجبّة بشرّي المكرّمين .

بعد الشوق لاستماع اخباركم السارّة على كل خير وسلام . نخبركم انه بهذا الاثناء ورد لنا كتابة من مجمع انتشار الايمان المقدس يعرّفنا بانه تقدّمت لديه شكايات متواترة عن حدوث تشوشات نظام في هذه الجهات لسبب عدم استعمال المناداة التي برسم المجمع التريدنتي في الجلسة الرابعة والعشرين . رأس اول في التهذيب . باستعمالها في الكنائس على ثلاثة اعياد متتالية قبل اعطاء بركة الزيجة ابتغاء اظهار الموانع التي يمكن ان تكون موجودة فيما بين القاصدين الزواج المقدس ويريد منا المجمع المقدس ان نعتني في حفظ هذا الرسم كلما قصد احد من ابناء طائفتنا ان يقترن بسرّ الزيجة المقدس ليتسهّل بواسطة هذه المناداة ظهور الموانع التي يتفق وجودها فيما بين القاصدين عقد الزواج.

فاتماماً لارادة المجمع المقدس هذه اقتضى اشهار محبتكم جميعاً بهذا الامر واشهاره عليكم كافةً. وفي الوقت نفسه نحدّد عليكم ونأمركم بانكم من الآن فصاعداً لا تكلّلوا احداً من القاصدين عقد الزواج قبل ان تستعملوا المناداة في الكنيسة بحسب نصّ المجمع التريدنتي في الرأس والجلسة المرقومتين باعلانكم مثلاً : ان فلاناً ابن فلان قاصد ان يتكلّل على فلانة ابنة فلان. فالذي يعرف

انه يوجد مانع فيما بينهما فليشهره لنا الاّ في الحوادث المستثناة التي تعفي من هذه المادّة كلياً او بالتبعيض كما هو مصرح في كتب علماء الذمة الذين من جملتهم المعلّم بولس انطوين في المقالة الثامنة عشرة في الزيجة رأس ٣ بحث ٢ فليراجع هناك لاجل معرفة ذلك . هذا ما لزم افادتكم به ليكون السلوك بموجبه والبركة الرسولية تشملكم كافةً .

١٠

منشور للبطريرك يوسف الخازن

اعــلان

صورة غفران الجوبيليوم العام الصادر من لدن قداسة الحبر الروماني الاقدس بخصوص تثبيت الحبل بمريم العذراء بلا دنس(١)

البركة الرسولية تشمل اولادنا كهنة بلاد جبيل المكرمين باركهم الربّ الاله بوفور بركاته السماوية والارضية امين .

اولا اننا مزيدون الاشواق الى استماع اخباركم السارة بطاعة الله تعالى بكل خير وسلام . والثاني نعلن لمحبتكم انه بهذا الاثنا وردت الينا رسالة سيدنا الاب الاعظم البابا بيوس التاسع المالك سعيداً يشير فحواها عن المجمع الذي التأم من مدة قريبة في مدينة رومية العظمى بامر قداسته لاجل النظر في قضية الحبل بسيدتنا مريم العذراء بلا دنس الخطية الاصلية وتحدّد بها من قواعد الايمان المقدس . وان قداسته قد حدد تحديداً احتفالياً دينياً فمن ثمة صار كل العالم الكاثوليكي ملتزماً بان يعتقد اعتقاداً بيّناً بانّ سيدتنا مريم العذراء الكلّي قدسها منذ الدقيقة الاولى من الحبل بها قد وُجدت مبرّأة من دنس الخطية الاصلية بانعام خصوصي دون جميع الخلايق كلها حين زيّنها الرب الاله باسنى مرتبة سماوية تليق بشأن شرف جلاله الالهي الذي كان عتيداً ان يحل بمستودعها الكلي طهره . وهو لم يزل حارساً لهذه الخليقة المباركة الفريدة ومدبراً لها . والذي من الآن وصاعداً يتجاسر او يتعلل عليه او يتردد رأيه به فيكون انكر وافترى على رسوم وحقايق ديانتنا الكاثوليكية الرومانية المقدسة الواجب التمسك بها حتى النفَس الاخير وتكون حلّت بهم التأديبات المفروضة على منكري حقايق الديانة الكاثوليكية المباركة ، فاقتضى من ثمة اشهار ذلك

(١) تنسخ هذا المنشور عن سجل العماد في كنيسة مار الياس بلاط .

عليكم ليكون الآن معلوماً عندكم وتعلّموه لابناء رعاياكم اولادنا المحقون منذ القديم . في هذه القضية ذاتها هو بموجب ما حدّد قداسته لكي يلزم المومنين بالمسيح جميعاً الاعتقاد به كما هو من اصل اعتقاد ديانتنا هذه . وقد تم الآن وانجلى من خليفة بطرس السليح هامة الرسل ونايب السيد المسيح على الارض .

فانهضوا اذاً ايها الابناء المحبوبون بالرب واتجهوا دايماً نحو هذه السيدة ام جميعنا الكلي حنوها لكي تستمد لنا النعم الموافقة خير انفسكم واجسادكم من لدن ابنها يسوع المسيح فادينا له المجد لكي تجتنوا انتم وابناء رعاياكم جميعاً بالتكرار على ذلك بافضل منوال واغزر هبة . وذلك بواسطة التضرعات الواجب اسداؤها لعزّة الباري تعالى على يد هذه الأم السيدة البرية من دنس الخطية الاصلية منذ الدقيقة الأولى من الحبل بها تنالوا امر خلاصكم الابدي لكونها علة ومبدأ[١] خلاصنا بالروح والجسم معاً . فقداسة سيدنا الاب المعظم المشار اليه وردت الينا صورته الآن قد منح حنواً بالرب غفران سبع سنين وسبع اربعينات سنين لجميع المومنين الذين بمدة ثلاثة ايام يباشرون تقدمة الابتهالات الخشوعية الحارة وعمل الرياضات التقوية الطاهرة لاجل غاية تكريم الحبل بغير دنس .

واما الذين يتممون ذلك بمدة ثلاثة ايام ويعترفون اعترافاً نقياً ويتناولون القربان المقدس بخوف وعبادة ويقدّمون لديه تعالى في اليوم الثالث التضرعات التقوية بحسب امر قداسته فيكتسبون غفراناً كاملاً تمكن تقدمته من باب الاسعاف للانفس المتعذبة في نار المطهر . فحتى تغتنموا فايدة هذا الغفران المقدس انتم وابناء رعاياكم جميعاً نأمر ، بوصول منشورنا الآن واسطر بركتنا هذه الرسولية اليكم ، بان حالاً تشهروا على كل منكم وتتلوه بمسامع جميعكم وانتم واياهم تبادروا الى عمل زياح الوردية المقدسة وتلاوة طلبتها مساء في كنايس خورنيتكم هذه بورع وعبادة بمدة ثلاثة ايام متواصلة كل يوم مرة واحدة فقط موجهين ذلك لغاية التكريم التقوي نحو الحبل بمريم العذراء بلا دنس . وفي اليوم الثالث يعترفوا ويتناولوا القربان المقدس وبعد المناولة فليصلّوا بحرارة برهة من الزمان لديه تعالى على نية قداسته لكي ينالوا الغفران الكامل .

فالمرغوب من كل منكم ان تبادروا حالاً انتم وابناء رعاياكم اولادنا الى اتمام ما ذكرنا بكل انبساط وسرور. وثم نأمر كل كاهن منكم بأخذ نسخة

---

١) لم يرد بهذه الكلمات ان يُنكر ان المسيح وحده علة ومبدأ الخلاص البشري . انما عنى ما كان منشوراً في التعليم اللاهوتي انذاك ولا يزال ان مريم مشاركة للمسيح الاله في خلاص الانسان (Corédemptrice) ولربما قال المجمع الڤاتيكاني الثاني كلمته في هذه النقطة .

عن منشورنا هذا لاجل العمل بموجبه . ونسأله تعالى بشفاعة والدته مريم العذراء الكلي قدسها البرية من دنس الخطية الاصلية بان يزيدكم واولادنا ابناء رعيتكم نموًا ونجاحاً وتوفيقاً بالنفس والجسد ويدفع عنكم وعنهم كل مضرة والبركة الرسولية تشملكم ثانياً وثالثاً وتكرارًا للدوام .

في ٢٤ خلت من شهر نيسان المبارك سنة ١٨٥٥

الحقير

(الختم) يوسف بطرس الخازن

البطريرك الانطاكي

قد انشهرت صورة هذا الغفران الجوبيليوم العام الروماني الاقدس في كنيسة ماري الياس الحيّ بلاط (بلاد جبيل) وكان بلوغه الينا بسلام الرب يسوع في اليوم التاسع عشر من شهر اشباط المبارك نهار الثلاثاء الفضيل سنة ١٨٥٦ وجميعنا بادرنا بعونه تعالى وبدعا مريم العذراء الام المباركة وبمجرد حسن نية قداسته على تتميم مرغوبه هذا لاجتناء فايدته الخيرية . ونسأله تعالى بان يديم لنا رياسته مجمّلاً لنا اياه بكامل تأييداته من اعلى سماه ويدوم ذكره مؤيدًا وثناه مخلدًا الآن والى ابد الابدين امين .

صح وانتهى العمل بموجب الغفران المرقوم في ٢١ من شهر شباط المبارك بالسنة المرقومة اعلاه (١٨٥٦) صح .

١١

منشور للبطريرك بولس مسعد

مؤرخ في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٨٥٦

به يمنع الرهبان اللبنانيين عن ا لجولان في الاديار والقاء التلق والحركات وذلك تحت الرباط للكهنة والمنع للاخوة وانهم ان تجاسروا اكثر فتحت الحرم الكبير وكل ذلك محفوظ الحل منه للسلطان البطريركي .

١٢

منشور للبطريرك بولس مسعد

بشأن مقدمي عرائض الشكاوى غفلاً من تواقيع اصحابها(١)

اعلام بالرب

لكل ناظر وسامع ايّاه من ابناء طائفتنا المارونية بوجه العموم .

(١) ان لدينا نسخة خطية اصلية من هذا المنشور ممهورة بامضاء البطريرك مسعد وختمه .

انه من جملة الاحوال المنكرة التي تتصل احياناً اليها رداءة البشر هي حالة اولئك الذين يشكون بعضهم الى الرؤساء او يشكون الرؤساء نفسهم الى من هو اعظم منهم بذنوب جسيمة لا وجود لها غالباً سوى في اوهام المشتكين الذين لكي يفلتوا من تقديم البرهان على صحتها فيقدمون الشكوى بل بالاحرى التهمة خطاً وبدون ان يضعوا اسماءهم الخصوصية . او يشكون بعضهم او الرؤساء على لسان غيرهم وبدون علمهم ومعرفتهم ويعطّلون باحد هذين النوعين المنافيين حقوق الانسانية والشرائع سمعة القريب . او يلقون اقله في عقل رئيسه ارتياباً ما بصلاحه واستقامته ويستمرون بطمأنينة من ان يسألوا عما قرّفوا وقذفوا غيرهم به ومن ان يظهروا كاذبين وحسودين او مبغضين اي محبين الاجباس . او ذوي غايات منحرفة . فقباحة مثل هذه قابلة الاتصال من كل واحد الى كل واحد بالتبادل لا يُطاق احتمالها لانه يمكن ان تنشأ عنها شكوك عديدة وظنون كثيرة باطلة واسباب بخطايا ومضرّات روحية وزمنية. بل ينبغي من باب الصواب والعدل ان تصدّ بتلك الوسائط التي لا يُظنّ انها اكثر اهلية لصدها .

ولهذا فنحن بهذه الاسطر نحتم حتماً جازماً ونأمر امرًا قاطعاً بكلمة الرب العزيز سلطانها وبقوة الطاعة المقدسة جميع ابناء طائفتنا افرادًا واجمالا علمانيين كانوا او من الاكليروس القانوني او العلماني من اية رتبة ومقام وطغمة ومصاف كانوا هؤلاء جميعاً بان يتجنّبوا في الشكايات هذين النوعين الملومين تحت السقوط بذات الفعل بالحرم الكبير المحفوظ حله لسلطاننا عند عمل الخلاف . لان استعمالها ليس هو اكثر المرات سوى شهادة زورية مفروض على مرتكبها السقوط بالحرم الكبير المحفوظ حله لسلطاننا ايضاً .

واذا اقتضى ان يقدم احد شكوى ما على آخر اياً كان فليستعمل ذلك بموجب رسوم تقديم الشكاوى ويضع اسمه الخصوصي حتى يمكن ان يسأل ويُطلب منه البرهان على صحة شكواه . ويمكن فحص الشكوى ومقاصّة المشكى عليه متى وجد مذنباً حقاً . ولا تُنسب الشكوى الى غيره وتتولد من ذلك الظنون الباطلة والاجباس .

ومن يتأمل بقباحة النوعين المرقومين من الشكايات يحكم بوجوب وضع الدواء المذكور لهذا الداء الذي هو كسيف ذي حدين يجرح باحدهما المشتكى عليه والآخر نفس المشتكي بالخطأ المتنوع بحسب ثقل التهمة وكيفيتها وظروفها . وبالنتيجة يضرّ من كل جهة وبالكاد تحصل منه فائدة ما ولو كانت الشكوى

صحيحة . ويحكم ايضاً بان الاعذار المعتادة يقدمها هذا الصنف من المشتكين ثابت اذا عرف باسمه يحصل عليه ضرر ما من المشتكى عليه غير هي مقبولة وعديمة الصواب بل انها تهمة أخرى بها يتهم المشتكى عليه بحب الانتقام وشراسة الاخلاق وعدم الانصاف والاستقامة . لان الشكوى اذا كانت صادقة فيقدر المشتكي على الاكثر ان يبرهن عليها وبذلك ينجو مما يصل اليه من الضرر من المشتكى عليه . وقد علمت ذلك التجربة كما انها علمت ايضاً ان كثيرين اشتكوا على الرؤساء وما حصلت مضرة عندما برهنوا على شكواهم . وان كثيرين اشتكوا رؤساءهم وامثالهم زوراً كلاماً وما نالتهم مضرة مع انه كان يجب ان يتقاصوا بموجب رسوم الشرائع . وربما كان عدم قصاصهم سبباً لهم ولغيرهم للاقدام على هذا العمل الممقوت.

واذ تقرر هذا فنأمر اولادنا كهنة طائفتنا وكل من يخصهم الاهتمام الروحي بغيرهم ان يشهروا اعلامنا هذا على ابناء رعاياهم ومن هم تحت استيلائهم ويوضحوا لهم مضمونه ليصير السلوك بموجبه من دون خلاف[1].

أعطي من ديواننا البطريركي في اليوم التاسع من ايلول سنة ١٨٥٦ ستة وخمسين وثمانمئة والف م .

الحقير

(الختم) بولس بطرس

البطريرك الانطاكي

١٣

منشور للبطريرك بولس مسعد

بشأن انعقاد المجمع المسكوني(٢)

البركة الرسولية تشمل اولادنا كهنة بلاد جبيل المكرمين باركهم الرب الاله بوفور بركاته السماوية امين .

اولا اننا لمزيدون الاشواق الى استماع اخباركم المسرة ونموكم بطاعة الله تعالى والنفوس على كل خير . والثاني نعلن لمحبتكم انه بهذه الاثناء تشرفنا من لدن قدس سيدنا البابا بيوس التاسع الحبر الروماني الاعظم برسالة رسولية بناء

---

(١) ان البطاركة الذين خلفوا البطريرك مسعد قد تبنوا هذا المنشور ، لذلك لا يزال فعله سارياً الى اليوم .

(٢) نقلاً عن نسخة في يدنا .

فحواها السامي هو انه من كون قداسته قد أمر بالمناداة بانعقاد مجمع مسكوني ابتداؤه في اليوم الثامن من شهر كانون الاول ختام هذه السنة الحاضرة (١٨٦٩) وقد نبّه في فرصة هذه المدة على تقدمة الصلوات الحارّة والابتهالات لاله المراحم واب الانوار لاستمداد التنويرات اللازمة في هذا الامر المهمّ. وانه حتى ينعطف الرب الاله ويميل أذنيه الى صلواتهم بأوفر سهولة فقد جزم بان يحرّك عبادة جميع المؤمنين بالمسيح وتقواهم لكي بواسطة اتحاد صلوات الجميع بتوليهم فالرب الاله يمد يمينه القادرة على كل شيء واشراق نوره السماوي ويرتّب هذا المجمع كما ينبغي ترتيبه فيما يعود الى خلاص الشعب المسيحي باجمعه وفائدة الكنيسة الكاثوليكية وزيادة مجدها وسعادتها وسلامها خاصة هو انه حيث من المحقق والمختبر ان صلوات البشر تضحي اوفر قبولاً لديه تعالى اذا قدموها لجلالته تعالى بقلب نقيّ ونفس طاهرة من كل اثم. فلذلك قد رسم بهذه الرسالة المندرجة ان يفتح بسخاء وافر رسولي خزائن الغفرانات السماوية المولّى هو عليها للمؤمنين بالمسيح لكي يقتربوا الى عرشه تعالى وهم انقياء من كل وصمة الخطايا بواسطة سر التوبة فينالون من مراحمه ونعمه اسعافاً ملائماً.

وبناء على ذلك قد منح قداسته غفراناً كاملاً لجميع المؤمنين بالمسيح رجالاً ونساء افراداً واجمالاً بحيث انهم منذ اليوم الاول من شهر حزيران المبارك من هذه السنة الى اليوم الذي ينتهي به المجمع المسكوني المقدس المومأ اليه اذ يزورون مرتين احدى الكنائس التي يعيّنها رؤساء الاماكن المألوفون او نوّابهم او من تسلموا بأمرهم الاهتمام بالنفوس. وهناك يصلّون بعبادة برهة من الزمان من اجل ارتداد جميع الضالّين وانتشار الايمان المقدس وسلامة البيعة الكاثوليكية وامانها وانتصارها. ويصومون ثلاثة ايام وهي الاربعاء والجمعة والسبت وان كانت غير متتابعة انها عدا الايام المعتاد فيها الصوم في فصول السنة الاربعة. ويعترفون بخطاياهم ويتناولون القربان الاقدس في المدة المذكورة ويعطون الفقراء والمساكين صدقة حسبما تحرّك كلاً منهم عبادته. ومن ثمّة المؤمنون بهذه الاعمال المرسومة في المدة المحدودة ينالون غفراناً كاملاً عن جميع خطاياهم. ويمكنهم تخصيص هذا الغفران من باب الاسعاف للانفس المطهرية.

وقد اعطى قداسته الاذن اولاً لجميع المؤمنين سواء كانوا رجالاً او نساء افراداً واجمالاً علمانيين كانوا ام قانونيين من اية رهبنة او جمعية كانت في فسحة ايام هذا الغفران بان ينتخبوا لهذه الغاية معلّم الاعتراف اي كاهن ارادوا

علمانياً كان او قانونياً من المتصرفين فعلاً بخدمة سر التوبة من الرؤساء المألوفين .

واما الراهبات والمبتدئات وغيرهن من النساء العائشات في احضان الرهبنات بالاديرة فلهن العمل بهذا الاذن . فيجب ان يكون الكاهن معلم الاعتراف مصرّفاً باستماع اعتراف الراهبات . وقد منح قداسته هؤلاء معلمي الاعتراف تفويضاً متسعاً بان يحلوا المؤمنين في هذه المدة في منبر سر التوبة من كل حكم حُرم ورباط وغيرهما من التأديبات الكنائسية المبرزة من الناموس او من الانسان لاي سبب كان ما عدا التأديبات المستثنات الآتي ذكرها وبان يحلّوهم من جميع الخطايا والجرايم والذنوب وان كانت باهظة ولو كانت محفوظة لقداسته والكرسي الرسولي والرؤساء المألوفين وكانت مما لا يدخل تحت تفويض متسع دون ذكر خصوصي .

ثانياً قد فوّض قداسته الى معلمي الاعتراف المذكورين سلطان ابدال النذور مهما كانت ولو كانت مثبتة بقَسَم وكانت محفوظة للكرسي الرسولي باعمال أخر صالحة تقوية اذ يفرضون على الكل منها في ما تقدم قانوناً خلاصياً بحسب اختيار معلمي الاعتراف ما عدا نذري العفّة والرهبانية وما عدا الالزام الذي يكون قبله شخص آخر اي من كان الحل منه يضرّ منه شخص .

ثالثاً وذلك متى كانت هذه النذور كاملة مطلقة وما خلا النذور القصاصيّة التي تسمى حافظة من الخطايا الا اذا حكم ان بدلها يردع عن ارتكاب الخطيئة كمادة النذر الاول نفسه . ثم ان لمعلمي الاعتراف المذكورين بمقتضى تفويض قداسته ان يفسّحوا من الاعجاز الصادرة عن مخالفة التأديبات اذا لم يكن اتصل امرها الى المحكمة الخارجية او سيتصل اليها بسهولة . غير ان قداسته لا يقصد ان يفسّح او لا يفوّض الى الكهنة المرقومين سلطان التفسيح من اي عجز آخر سواء صدر عن ذنب ام عن نقص سواء كان مشتهراً ام خفياً ام معلوماً ولا عن عجز عدم الاهلية كيفما كان مصدرها ولا اعطى العاجز القابلية او الاهلية او رده الى حالته الاولى حتى ولا في محكمة الذمّة . ولا يقصد قداسته ايضاً ان يُبطل شيئاً من قوة البراءة المبرزة من البابا بناديكتوس الرابع عشر ذي الذكر السعيد التي بدوُها عربياً سرّ التوبة مع الايضاحات المتعلقة عليها نظراً الى عدم الامكان على حل الشريك بالامور الدنسة نظراً الى الزامها باشهار المغري فان ذلك جميعه مستثنى عن هذه التفويضات .

وكذلك قد اوضح قداسته ان غفران الجوبيليوم لا يمكن ولا ينبغي ان

يجدي نفعاً البتة على المطلق عليهم باسمائهم تأديب الحرم والرباط والمنع كان ذلك من الحبر الاعظم نفسه او من الكرسي الرسولي او من احد الرؤساء .
او على من حُكم عليهم انهم سقطوا في قصاصات أو تأديبات أخر او اشهروا واقعين بها ما لم يقدّموا الترضية في الزمان المعين او يتفقوا مع اخصامهم وانما ذلك بحكم معلم الاعتراف بانه لا يمكنهم ان يقدموا الترضية في الزمان المعين فله الأذن بحلّهم في محكمة الذمة لغاية اكتساب غفران الجوبيليوم العام فقط مع الزامهم ...

رابعاً يرسم قداسته ان المسافرين برّاً وبحرًا يمكنهم ربح هذا الغفران متى تمّموا الاعمال المفروضة المذكورة عند رجوعهم الى اوطانهم . وقداسته قد اذن ورخّص للرهبان والراهبات العائشين دائماً في اديرتهم ولغيرهم او هم كانوا من العامة والقانونيين في سجن او في عبودية او في مرض مستديم باي مانع آخر . ولا يمكنهم اتمام الاعمال المرقومة او بعضها ان يبدلها لهم معلم الاعتراف المثبت من الرؤساء المألوفين باعمال تقوية . او يؤجل لهم ذلك الى وقت آخر ويفرض عليهم ما يستطيعون اتمامه . كما انه له ان يفسّح ايضاً من تناول القربان المقدس للاحداث الذين لم يتناولوا المرة الأولى .

فهذا هو مضمون الرسالة الرسولية المومإ اليها . واذ عرفتم ذلك فاتماماً لأوامر قداسته هذه الواجب لها القبول والامتثال نعلن لكم باسطرنا هذه اولاً باننا قد فوّضنا لكل كاهن بان يعين لاولادنا ابناء رعيته ابتداء المدة لنوال الغفران هذا الجوبيليوم الحبروي في الوقت الذي يراه ملائماً اذ يشهر منشورنا هذا على ابناء رعيته ليبادروا الى مباشرة ما هو مفروض من الاعمال لنوال الغفران .

ثانياً فليكن الاعتراف وتناول القربان الاقدس في بحر المدة المعينة متقدمين على باقي الافعال الصالحة المفروضة لاكتساب الغفران المرقوم لتكون هذه متممة بحال النعمة كما تقتضيه الرسوم .

ثالثاً ونظرًا الى زيارة الكنائس فلتكن من كل كنيسة خورنية ولأيّة كنيسة شاء غيرها في قريته وذلك على مرتين في يوم واحد او في يومين فاكثر . واذا لم يمكنه ذلك فليبدلها له معلم اعترافه . وبحالة الزيارة تُصلّى سبع مرات الابانا والسلام او اكثر من ذلك على نية قداسته حسبما مرّ ايضاحه .

رابعاً نظرًا الى الصوم فليصم كل واحد من نصف الليل الى الظهر ثلاثة ايام : الاربعاء والجمعة والسبت سواء كان ذلك ضمن سبة واحدة او اكثر . واما نظرًا الى اعطاء الصدّقة فكأنه يلتزم بذلك بحسب قوّته وتحريك عبادته له ولو كان فقيرًا وكانت الصدقة زهيدة .

فهذا ما اقتضى افادة محبتكم لكي يأخذ كل كاهن منكم نسخة عن منشورنا هذا بحال وصوله اليكم ويشهره على اولاد رعيته ويحثهم على اتمام ما هو مفروض به من الاعمال الصالحة بتلك العبادة الحارّة والورع المطلوب لغاية اكتساب هذا الغفران الكامل وليجتنوا منه جزيل الفائدة الروحية لانفسهم ولعطف اب المراحم الواهب كل عطية صالحة بان يرفد قداسته بالتنورات السماوية لكي يترتب بواسطة ذلك في المجمع المسكوني العتيد التئامه كل ما هو عائد الى خلاص الشعب المسيحي وخير الكنيسة الكاثوليكية وزيادة سعادتها وامانها وملاشاة الاضاليل الكاذبة وردّ الخطأة الى محجّة الحق والصواب . وفيما اننا نتوسل للباري تعالى بان يرفع شأن أمنا الكنيسة المقدسة ويحفظ لنا حيوة رأسها المنظور ويخوّله كامل التأييدات من اعلا سمائه فنكرر منح بركتنا هذه الرسولية لجميع اولادنا ابناء رعايانا كافة المباركين اولاً وثانياً وثالثاً .

أعطي من ديواننا البطريركي في اليوم الاول من آب سنة ١٨٦٩ التاسعة والستين وثمانماية والف للمسيح .

الحقير

(الختم) بولس بطرس البطريرك

الانطاكي

١٤

منشور للبطريرك بولس مسعد

بشأن غفران الجوبيليوم العام المؤرخ في ١٦ تموز المبارك سنة ١٨٨١ وهو هذا :

البركة الرسولية تشمل حضرات اولادنا كهنة قرى بلاد جبيل بوجه العموم المكرمين باركهم الرب الاله باتم بركاته السماوية والارضية امين .

غب وفور الاشواق الى استماع اخباركم السارة على كل خير وتموّكم الدائم بطاعة الله تعالى . انه لما كانت الكنيسة المقدسة محاطة بهذه الايام الخطرة والسنة الضيّقة الشديدة بانواع المكاره والشرور المفزعة المتعددة التي ابدعها اعداء الدين الكاثوليكي خلاك انفسهم وانفس الناس : رأى قداسة سيدنا البابا لاون الثالث عشر السعيد الذكر المالك سعيداً ان يحرّك قلوب المومنين الحقيقيين الى تقدمة الصلوات الحارة والابتهالات الخشوعية لعزته تعالى لكي ينعطف برحمته ورأفته الفايقة الى انقاذ الكنيسة المقدسة من هذه الكوارث المحزنة التي ألمّت

بها وفي بنيها ايضاً ويمدّها بالقوة للجهاد والقدرة للانتصار . ولهذا قد تنازل قداسته ومنح غفراناً كاملاً بصفة جوبيليوم لجميع المومنين بالرب يسوع في كافة العالم الذي ابتداؤه من غرّة آذار الماضي وانتهاؤه في ختام كانون الاول اي هذه السنة الحالية ١٨٨١ وذلك بموجب الشروط الآتية وهي :

اولاً — زيارة الكنايس .

ثانياً — الصوم والقطاعة يوماً واحداً .

ثالثاً — الاعتراف والتناول .

رابعاً — التبرّع والمؤاساة بفعل الصدقة .

فنظراً الى زيارة الكنايس المفروضة فقد عيّنا في كل قرية كنيستها يزورها المسيحيون ست مرات . واذا كان في القرية كنيستان فيزورها كل منهم ثلاث مرات في الايام المفروض فيها الصوم والقطاعة المذكورة . واذا كان ثلاث كنايس فيزور كل منهم مرتين . وفي هذه الزيارات المذكورة يجب ان يقدموا فيها الصلوات الحارة لاجل ارتفاع شأن أمنا الكنيسة المقدسة وتأييد الكرسي الرسولي وملاشاة البدع والارطقات وتوبة الخطأة ولاجل اتفاق الملوك المسيحيين وسلام المومنين واتفاقهم ولا سيما على نية الحبر الاعظم الذي يريد قداسته ان تتقدم هذه الصلوات والطلبات للعزة الالهية بواسطة سيدتنا مريم العذراء وخطّيبها ماري يوسف البتول .

ونظراً الى يوم الصوم والقطاعة عن اكل اللحم والبياض فلهم ان يختاروا اي يوم ارادوا في السبة ما عدا الايام المفروض فيها من البيعة المقدسة الصوم والقطاعة .

ونظراً الى الاعتراف والتناول فلهم ان يميزوهما في اي يوم ارادوا وشاؤوا .

ونظراً للصدقة فليتبرعوا بقدر ما تندبهم اليه عبادتهم وتقواهم ؛ إما على الفقراء والمحتاجين وإما في سبيل البرّ على الكنايس .

فهذه هي الشروط المفروض اقامتها وتتميمها لاجل ربح هذا الغفران الكامل الذي يمكن تخصيصه بالانفس المتعذبة بالمطهر على سبيل الاسعاف لها . ويمكن ان يكسبه ايضاً المسافرون براً وبحراً والمتغرّبين عند رجوعهم الى اوطانهم عند تتميم الشروط المار ذكرها . وبسلطان المرشدين ان يبدلوا لهم بعض هذه الشروط او كلها في بعض افعال أخرى تقوية لمن يتعذر عليهم اتمامها كلها او بعضها . ولهم ان يفسّحوا للاحداث بالسن من التناول اذا لم يكونوا أتمّوا التناول الاول .

وقد منح قداسته المعرّفين المألوفين في الحال بخدمة سرّ التوبة : اولاً ان يحلّوا في منبر سر التوبة وهذه المرة فقط المعترفين عندهم في ربح الغفران الجوبيليوم العام في كل المدة المذكورة رجالاً كانوا ام نساءً علمانيين كانوا او كنائسيين قانونيين كانوا ام غير قانونيين ومن اي رهبنة او جمعية كانوا حتى الراهبات والمبتدئات وباقي النساء المقيمات ضمن حصون الديورة بشرط ان يكون المعرّف مصرّفاً بسماع اعتراف الراهبات فيحلّونهم من وثاق الحرم والرباط والمنع ومن سائر الاحكام والتأديبات الكنايسية المفروضة من الناموس الالهي او من الانسان باي علّة كانت ولو كانت محفوظة للرؤساء المألوفين او للحبر الروماني او للكرسي الرسولي ثم ان جميع الخطايا والجرائم مهما كانت ثقيلة فاحشة ولو كانت محفوظةً لمن ذكرنا : وذلك بعد ان يفرضوا على هؤلاء المعترفين جميعهم القوانين الخلاصية وكلما يقتضي فرضه عليهم بمقتضى الناموس : واذا كانوا تورطوا في ارطقة فيحلّونهم منها بعد ان يتبرّروا منها ويرفضوها .

ثانياً — ان يبدلوا بافعال أُخر تقوية النذورات بافعال خلاصية ولو منها. كانت ولو كانت مثبتةً بقَسَم ومحفوظاً الحل منها للكرسي الرسولي ما عدا نذر العفة الدائم ونذر الدخول في الرهبنة والنذر المقيّد بالزام مقبول من شخص ثالث اي الذي ينتج من ابداله ضرر لشخص ثالث ما عدا النذور القصاصية الداعية الى التورّط بالخطايا الا اذا كان بدلها مساوياً باذائه للنذر الاول بالردع عن ارتكاب الخطايا .

ثالثاً — ان يفسّحوا للمعترفين من النذر ضمن الدرجات المقدسة ولو كانت قانونيتين من الاعجاز الخفية الملتحقة بهم من قبل مخالفات التأديبات الكنايسية لكي يصلوا الى مباشرة اعمال درجاتهم ويستحقوا القبول اعلاها . لكن قداسته لم يؤذن بان تفوّض المعترفين سلطان التفسيح من العجز الملتحق بصاحبه من قبل ذنب او نقص سواء كان ظاهراً او خفياً او معروفاً او من عدم كفاءة او عدم اهلية التحق به لوجه من الوجوه وليس لهم ان يردوه الى حالته الأولى ولو كان في محكمة الذمة . كما ان قداسته ايضاً لم يأذن بان تفوّض المعرّفين التفسيح منه كما في براءة السعيد الذكر البابا بناديكتوس ١٤ التي بدؤها سرّ التوبة مع الايضاحات المضافة اليها فما يخص منع حلّ الشريك بخطيئة الدنس والزام اشهار المغري ، ولا ان تفوّض اليهم حل من كانوا محرومين باسمائهم ومربوطين او ممنوعين او مشهورين انهم ساقطون باحكام او تأديبات كنايسية سواء كان ذلك من الحبر الاعظم او من الكرسي الرسولي

او من احد الروساء الكنايسيين ما لم يفوا حق الحكم ويصالحوا خصومهم في حلول (خلال) المدة المذكورة . اما اذا انفذوا في المدة المعينة بالوفاء بوقف الحكم فلمعلّم الاعتراف ان يحلّهم في منبر التوبة لغاية اكتساب الغفران المذكور مع بقاء التزامهم بالوفاء حالما يمكنهم ذلك حالاً غفراناً كاملاً بالرب يسوع مخلصنا .

فهذا ما لزم افادة حضرتكم به لكي تبادروا حالا الى اشهاره وظهوره على كامل اولادنا ابناء رعاياكم ليتقدموا جميعاً في الوقت الملائم الى المباشرة بالاعمال الصالحة المفروضة وتعدّوهم لاكتساب ثمرة هذا الغفران الجوبيليوم الرسولي الكامل ، بما تلقونه عليهم من الارشادات الخلاصية . ثم نأمر حضرات اولادنا كهنة الرعايا جميعهم بان يأخذ كل منهم نسخة عن منشورنا هذا بحال وصوله اليهم لتبقى عنده لاجل مطالعتها . وكل من الخوارنة والقسوس يمسك عنده قايمة بالمعترفين من اولاد رعيته . والبركة الرسولية تشمل حضراتكم واولادنا ابناء رعاياكم جميعاً ثانياً وثالثاً وللدوام .

الحقير

(الختم) بولس بطرس مسعد

البطريرك الانطاكي

أعطي من ديواننا البطريركي في اليوم ١٦ من شهر تموز المبارك سنة ١٨٨١ الواحد والثمانين

قد نقل عن الاصلي حرفياً ومعنوياً — برسم قرية بلاط (بلاد جبيل) —

١٥

منشور للبطريرك يوحنا الحاج

الى قرى بلاد جبيل والبترون واجبة ضد الاجتماعات في مقامات القديسين في اعيادهم مؤرخ في ٢٥ آب سنة ١٨٩٥

هذه خلاصته : بعد ان تكلم غبطته عن المضرّات والمنكرات التي تحدث عن الاجتماعات الموصوفة منه بعوائد وثنية لا مسيحية يرسم ما ملخصه : من تجاسر بعد علمه بمنشورنا هذا ولو بالخبر وقدم من قريته او محله الى قرية أخرى لحضور حفلة عيد احد القديسين في مقامه المقدس يسقط حالا بالحرم المحفوظ حله لسلطاننا ويحلّ عليه غضب الله ويكون حظه مع عَبَدَة الاوثان . ثم يأمر اهل تلك القرية والمحل المختص بهم العيد ان لا يقبلوا اجنبياً فيما

بينهم جاء الى ذلك العيد . وينهاهم النهي المطلق عن مجالسته او مخاطبته او مؤاكلته بوجه من الوجوه . أما من كان عليه نذر فيمكنه ان يقضيه في يوم آخر .

ثلاثة مناشير اسقفية

المنشور الاول من ١٢٣ سنة للسيد انطونيوس الخازن مطران بعلبك

كيف كانت الملابس في لبنان لذلك العهد

نظرًا لخطورة هذا المنشور الاسقفي الصادر من المطران انطونيوس الخازن رئيس اساقفة بعلبك المؤرخ في ١٨ ايار سنة ١٨١٨ ، ألحقناه بمناشير البطاركة لانه اثر من الآثار التاريخية المطوية . وقد نشر في جريدة « البشير » البيروتية — الثلاثاء ١٨ شباط ١٩٤١ ؛ العدد ٦٢٩٨ السنة الحادية والسبعون — ورأينا ان ننقله عن « البشير » ونثبته على صفحات هذه المجلة « المشرق » لانها احفظ له من الجريدة السيّارة . ومنه نستدل على روح منشئه الطيبة وغيرته الرسولية وسهره على صيانة الاخلاق والآداب من العطب والفساد ، وعلى انقياد الموارنة التام لصوت رعاتهم ؛ فضلاً عن ان في هذا المنشور عبرةً وذكرى لقوم يعقلون . وعلّقت عليه جريدة « البشير » الكلمة التالية . قالت تحت هذا العنوان الموأ اليه :

تفضل الطبيب البارع الدكتور يوسف مبارك وبعث الى ادارة هذه الجريدة بنسخة قديمة لمنشور اسقفي وجهه مطران بعلبك الماروني الطيّب الاثر المطران انطونيوس الخازن الى ابناء ابرشيته يحضّهم فيه رجالاً ونساءً على ارتداء الملابس المحتشمة اللائقة ، مما يلذّ القراء الوقوفُ عليه لاشتماله على ايضاح ما كانت عليه الحالة الروحية في لبنان لذلك العهد . وكيف كانت ازياء ملابس النساء بالخصوص ؛ الامر الذي لم نره مفصّلاً في اي أثر تاريخي آخر كما فصّلته هذه الرسالة .

ولا نرى بدًّا قبل نشر هذه الوثيقة الأثرية من ان نعرّف صاحبها الى القرّاء . وقد راجعنا في سبيل ذلك « الجامع المفصّل » للعلامة الدبس « والبرنامج » للمرحوم يوسف خطار غانم وغيرهما من المستندات فحصلنا على المعلومات التالية :

المطران انطونيوس الخازن هو الشيخ نايف ابن الشيخ نوفل ابن الشيخ حصن حفيد الشيخ ابي قانصوه الخازن . وُلد في قرية درعون من اعمال كسروان

عام ١٧٦٩ وتلقن علومه في مدرسة رومية المارونية . ولما عاد الى لبنان اعتنق الحالة الرهبانية على طريقة الرهبان العبّاد في دير سيدة بقلوش احد اديار اسرته الخازنية وذلك عام ١٧٩٤ . وعام ١٧٩٦ سيم كاهناً وتولى رئاسة دير بقلوش مدات متقطعة . وفي ١٠ تشرين الثاني من العام ١٨٠٥ سامه البطريرك يوسف التيّان مطراناً فخرياً على الناصرة . ثم ولاه ابرشية بعلبك عام ١٨٠٨ وأقام في اواخر ايامه في دير بقلوش يدير شؤونه مع الابرشية ، فوسّع املاكه وبنيانه وتوفي فيه في ١٨ شباط عام ١٨٨٥ ودُفن في كنيسته .

ولقد كان هذا الاسقف معروفاً بالنسك والقداسة وانتُخب بطريركاً خلفاً للبطريرك يوسف حبيش فرفض المنصب تواضعاً وزهداً متنازلاً لابن عمه البطريرك يوسف الخازن الثاني (١٨٤٥ — ١٨٥٤) وعند وفاة ابن عمه المشار اليه رشّحه المطارنة للمقام البطريركي فاعتذر لامعانه في الهرم .

اما المنشور فقد كتبه الاسقف على وجهي طبق من الورق الابيض العادي بطول ٣٠ سنتيمتراً وعرض ٢٠ ووقّعه بامضائه ومهره بخاتمه الاسقفي بخط واضح مقروء مرصوف بلباقة وبسطور مستقيمة وعبارات متتابعة لا قواطع فيها ولا فواصل . وقد لعب العثّ في بعض اطاريف الطبق وقضم بعض كلماتها ولكننا تمكنّا من تحصيلها جميعاً بالقرائن .

وها نحن نورد النص بحروفه واغلاطه اللغوية دون ما تبديل او اصلاح ما خلا بعض فواصل أقحمناها حيث رأينا المعنى يتطلبها لاراحة انظار القراء شاكرين للدكتور مبارك هديته الجزيلة الفائدة بالخصوص في ايضاح حالة الملابس النسوية في لبنان في اوائل القرن التاسع عشر .

خاطر

صورة المنشور

اعلام بالرب لكل سامع وناظر اليه يجب اشهاره من كهنة الرعايا في ابرشية بعلبك

قال الرسول : درّب نفسك بالبرّ فان تدرُّب الجسد انما ينفع زماناً يسيراً . فيا ايها الابناء الاحباء يلزمكم ان تتخذوا هذا القول الرسولي بمنزلة مقياس لاعمالكم الروحية متدرّبين بالبرّ المبلغكم الكمال المسيحي سالكين بالتفاق (باتفاق) مسلك الطهارة التي لا يعاين احدٌ ربنا من دونها لا كما هو جار الآن من البعض منكم الذين عكسوا قول الرسول عكساً كلياً وبدلوا البرّ بالشر والنقاوة بالخلاعة والملابس المحتشمة اللايقة بالملابس الزايغة المتسعة المدلوقة والحشمة بالوقاحة والوداعة بالجسارة وهلمّ جرّاً .

من هذه الاعمال وما ماثلها من الافعال القبيحة التي تُبعد رحمة الله تعالى وغزارة انعامه عن فاعليها لان الشبان في هذا الوقت منكبّون الانكباب الكلي على نظم شقاطيهم (جمع شقطية عامية ويفهم بها اللبنانيون شعر مقدم الراس كالناصية) ودهنها بادهان ملوّنة لتعطي لمعان الخلاعة ويحملون طرابيشهم باعلا رؤوسهم لتبان خلاعتهم لجميع ناظريهم ويصفصفون ثيابهم على هذه الهيئة وتاركون ما من شأنه ان يجعلهم انقياء وابرارًا امام الله بتنقيت (بتنقية) سيرتهم الروحية ساعين بامر تحصيل معيشتهم الجسدية ليمكنهم القيام بأود حياتهم . والنساء والبنات قد تعبّدن للميل المنحرف عن الصواب باصطناعهنّ الملابس المتسعة التفصيل الممقوتة الزيّ الرديئة الهيئة وطرحن عنهنّ الحشمة والحيا بالكلية في كشف رؤوسهنّ لكي تبان الشعور المصفصفة المدهونة حارفات على جهة واحدة العَصْبة والطربوش الموضوع باعلا روسهنّ المعلّق فيه الشرّابة الكبيرة فليسمعنا (كذا) (فليسمعن) توبيخ الرسول بهذا الشأن بان كل امرأة تصلّي او تتنبأ ورأسها مكشوف فانها تشين رأسها وتعادل التي قد حلقة (حلقت) شعر رأسها. واذا كانت الامرأة لا تستتر وتكره تغطية رأسها فلتقص شعر رأسها وان كان قبيح بالامرأة ذلك فلتستتر . فهنا الرسول يوبخ وينهي النساء عن مجرّد كشف الرأس ويوصيهنّ بالحشمة والاستتار الذي هو ضمّ شعر الرأس الذي لا يكون الا بالعَصْبة فوق الجبهة وبالمنديل الكبير للستر الكامل فوق هذه العصبة .

٥

فكيف يجب ان يتضاعف نهيه من حيث ان النساء قد ازدن (ازددن) على هذا العمل اضعافاً من كشف صدورهن ورؤوسهنّ ودهنّ وجوههنّ وشعور رؤوسهنّ بادهان متلوّنة وتغيير زيهنّ القديم المجمّل بالحشمة بزي آخر لا حشمة فيه كلياً . وبهذه الاصطناعات قد بدلن صورتهنّ التي هي على صورة الله بصورة الشيطان وما افتكر كل من هؤلاء رجالاً ونساءً ان غضب الله يعلن من السماء على جميع اثم الناس ونفاقهم . وان محبة الجسد هي عداوة الله وان الله هو المنتقم عن هذه الاشياء كلها . بل والاغرب من ذلك والاكثر عجباً هو الاهمال الحاصل والتغاضي المتواصل من كهنة الرعايا المنوط بهم وحدهم السهر واليقظة على الخراف المستودعة لخدامتهم الروحية حتى تصل حال الشبان والنساء الى هذا الحد غير مكترثين فيما هو مطلوب من ذمتهم متغاضين بهذا المقدار عن اتمام واجبات وظيفتهم لانه اذا كان يجب عليهم

مسك الحل عن النساء اللاءي يكشفن صدورهنَّ ولا تعذرهنَّ العادة فباولى حجة واعظم الزام يجب عليهم . وكان يلزمهم ان يمسكوا الحل عن الذين يرونهم ظاهرًا مصطنعين هذه الاصطناعات في تبديل هيأتهم وتغيير ملابسهم على صفة عدم اللياقة مع ان ما سبق ذم عادة بذلك حتى ولو سبقت هذه العادة لاستحال كونها ردية محضاً . ومنهم وحدهم كان يجب ان يُعرف حدوث هذه الخسائس اذا ما امكنهم اصلاحها لا من غيرهم الذين ملتزمون من قبل المحبة فقط وهم من قبل العدل .

فاليطرح (فليطرح) كل منهم التهاون والكسل وليتدرَّع بسلاح قوة الله ليمكنه قهر حيل المحّال والنصرة على تابعيه . فلذلك حيث ان نعمة الله وحكمته لا تدخل في النفس المتلطخة بالرذايل ولا تسكن في الجسم المغروم في الخطايا . وقد تحققنا حصول هذا الخراب الروحي وتأكدنا بان نعمة الله تباعدة (تباعدت) وتباعد عنكم لعمل شبانكم ونسائكم الردي الممقوت الذي هو من دون شك سنارة ابليس الطاغوط العدوّ الجهنمي الذي هو قتّال الناس منذ البدء الجاذب (الجاذب) بها الناس الى اهلاك : لانه يجول حولكم كالاسد الزائر قاصدًا ابتلاعكم . فنحتم حتماً صادقاً ونأمر امرًا قاطعاً بانجاه كامل عزمنا وبكلية ارادتنا على شبان ونساء ابرشيتنا كافةً في اي مقام كانوا وكنَّ بوجه العموم من دون استثناء .

ف

فاولاً : الشبان نلزمهم تحت الحتم المشدد ان يغيروا العادة الممقوتة بدهن شعور شقاطيهم وتطويلها وتحويل طرابيشهم على جهة واحدة وان يكون زيّهم باللبس بذلك النوع والشكل المستحكمة فيه اللياقة المسيحية .

ثانياً : النساء المتسربلات بالملابس الممقوتة الكاشفات رؤوسهنَّ وصدورهنَّ كما اوضحناه اعلاه يلزمهن تحت الحتم المشدد الجازم الكلي ان يغيرن هذا الزيّ السمج القبيح .

اولاً — فالحاجة المتسعة المسماة منهنَّ شروالا فالتغير (فلتتغير) فيهنَّ بمقدار كسوة النساء المحصّنات المحتشمات التقيات الثابتات على الزي القديم من دون تببيط او توسيع لهذه الحاجة بل يكون تفصيلها بمقدار عرض القطن من غير تطويل ولا توسيع .

ثانياً — القميص الصغيرة فالتغير (فلتتغير) بقميص طويلة وتكون اطول من القنباز حتى تستر الحاجة المذكورة .

ثالثاً — القنباز المتفصل منهنّ ثلاث شقفات من فوق الزنار ونازل . هذا فالتخيّط (فلتنخيط) شقفاته الثلاث وتنضم الى بعضها . ولا تكون شقفة القنباز من كل جهة الا شبر ونصف لا غير . وكمام هذا القنباز لا تكون أطول من روس اصابع اليد . وشقة الكمّ فلتكن من تحت الكوع ونازل .

رابعاً — يلزمهنّ ان يعصبن رؤوسهن بعصبة عند مفرق الشعر بنوع لا يبان شيء من شعور روسهن .

خامساً — وبدل « اللتمة » (منديل يغطى به الفم) المستعملة منهنّ حديثاً فيلزمهنّ ان يستعملن الزيّ القديم اي البشنوقة (منديل يُلفّ به الراس) وفوقها يلبس المنديل الكبير على روسهن متربدات اطرافه من كل جهة ليسترن وجوههن وصدورهنّ من دون وضع الشرّابة في روسهن واللتمة السوداء المستعملة منهنّ لعدم الحشمة .

سادساً — لا تُكشف صدورهنّ بل ينضمّ طوق القميص لبعضه على صدورهنّ في البكلة او بقطبة .

سابعاً — يلزمهنّ الا يتشكلن في ثيابهنّ لان الامرأة والبنت تتشكّل على هذه الصفة وتجول من بيت لبيت وتمرّ في ساحات الضيعة وتتوجه للفرن وللتنور وجلب الماء وهي على هذه الصفة بل اذا لزم الامر ان يصنعن ذلك فاليكن (فليكن) داخل بيوتهنّ او في ذلك المكان المقتضي ان يشتغلن به بنوع مستتر وبكل احتشام .

ﻫ

فهذا ما حتمنا به ونحتم ان يكون السلوك بموجبه من الشبان والنساء المزوجات والبنات العزبات من دون تقاعد كلياً وتعين الفسحة بتغيير هذا الزي القبيح مدة عشرين يوماً تمضي من اشهاره في كنيسة تلك القرية جاعلين هذه المدة بمقام التنبيهات الثلاث . واذا مضت هذه المدة وما حصل امتثال لامرنا هذا من الكلّ او من البعض فبذات الفعل من دون انتظار حكم آخر فالغير الممتثل والمخالف امرنا ان كان من الشبان او من النساء يسقط حالاً في الحرم الكبير ويكون مقطوعاً وممنوعاً من شركة المسيحيين وتنحدر اللعنات والنقمات على النساء والبنات الساقطات في هذا الحرم الكبير والتسري (ولتسري) اللعنة في اعضائهن كالزيت واليكن (وليكن) مقرهنّ في جهنم حيث دودها لا يموت

ونارها لن تطفى مولولات بضجيج عظيم في سعير نارها وعذاباتها الفادحة . اجارنا الله واياكم من ذلك .

وقد حنفظنا ونحفظ الحل من هذا الحرم لشخصنا وسبقنا وعرّفنا بان لا نقبل رجا احد كائناً من يكون باندراج هذه الاشياء الممقوتة بل المترجي على هذه الصفة يستحق المقت منا ونحتسبه جاهلاً وخفيف العقل لان فعل الشر لا احد يترجا بعمله .

فنحذركم جميعاً غاية الحذر من المخالفة وبالاحرى نحث كل راس بيت دارجه فيه هذه الخسايس بان يلزم اهل بيته بتغييرها على نسق ما شرحنا وأمرنا . وليتأكد ان الاصطناعات المذكورة هي نظير الطاعون تعدي وتُفسد الاعضاء الصحيحة واخيرًا تميت النفس . وليعقل ان من قبل توانيه بكذا اشياء التي غايتها الموت الابدي فيهلك هو هلاكاً ابدياً .

ونحن صرنا ابرياء من خطيئتكم موجهين خطابنا هذا الاخير نحوكم من نص الرسول القائل : ان الارض التي شربت المطر الذي اتاها مرات كثيرة وأنبتت عشباً موافقاً للذين فُلحت من اجلهم تقبل البركة من الله وان أخرجت قرطباً وعوسجاً تصير مرذولة وليست ببعيدة من اللعنة بل آخرتها الحريق. اجار الله الجميع من ذلك .

ونحتم حتماً حازماً بان كل كاهن رعية ملتزم بان يأخذ نسخة عن اعلامنا هذا ويحفظها عنده وفي كل احد وعيد واجبة بطالته ما زاله يرى الزي الممقوت المشروح تنصيلاً بهذا الاعلام دارجاً في رعيته يتليه في الكنيسة علناً ويطرد منها اولئك المستمرين والمستمرات بالعصاوة على عدم تغييره . والكاهن الذي لا يباشر حكم امرنا هذا يحصل مذنباً امامنا ونقاصصه حسبما يستحق . والبركة على الطائعين امين .

في ١٨ نوار سنة ١٨١٨

الحقير

انطونيوس الخازن (مكان الختم)

مطران بعلبك

يقول كاتب هذه السطور الاب انطونيوس شبلي : اني لما كنت يوماً ما ألقي الرياضات الروحية في قرى بلاد كسروان اخبرني هناك بعض الشيوخ بالتناقل ان المطران انطونيوس الخازن المومأ اليه كان حبرًا تقياً عابداً ناسكاً

متقشّفاً شديد الحرص على نفسه باماتاته وصلواته وتقشفه في مأكله ومشربه وكان بعيشته اقرب الى عيشة المتوحدين والمتزهدين منه الى رؤساء الاساقفة والمطارين. ومن المعروف عنه انه لم يرقد على فراش بل على الواح من خشب. ولم يكن لصلواته وتقشفاته انقطاع.

ومما روي لي عنه ايضاً: انه دعا في صيف احدى السنين القنصل الفرنسي في بيروت لتناول طعام الغداء على مائدته وفي خلالها شرب المطران نخبه ونخب دولته مشيداً باحسانها وفضلها داعياً لها بالتقدّم والازدهار؛ فرد عليه القنصل مثنياً على شعب لبنان مطرئاً الطائفة المارونية ورؤساءها؛ وعند انتهاء المائدة نهض القنصل ليغسل يديه على مغسلة (حنفيّة) ماء من تنك. وقبل ان يبدأ بغسلها انتزع من اصبعه خاتماً ذهبياً مرصعاً بالحجارة الكريمة ووضعه على سطح المغسلة فنسيه وعاد الى بهو الاستقبال؛ ثم ودّع المطران وقفل راجعاً الى بيروت وما عتّم ان انتبه الى ضياع الخاتم فكتب الى المطران يسأله عنه واصفاً له اياه متذكراً انه وضعه على سطح المغسلة. فجمع سيادته سكان كرسيه من خوارنة وشمامسة وخدّام واخبرهم بالامر ففتشوا فلم يجدوه اخيراً شق على سيادته ان يختفي خاتم القنصل في كرسيه فاحتدم غيظاً وانزل الحرم بمن لقيه ولم يقرّ به مستنزلاً عليه غضب الله ولعنات السماء والارض فأنكر جميعهم ايضاً العثور عليه. وفي صباح اليوم التالي رأوا على سطح الحنفية حمامة ميتة وفي فمها خاتم القنصل الذهبي.

المنشور الثاني

المنشور الثاني للسيد جرمانس ثابت مطران جبيل والبترون(١)
بشأن الربا من ١٤٧ سنة

ܓܪܡܢܘܣ
ܡܛܪܦܘܠܝܛܘܣ
ܕܓܒܠ ܘܒܬܪܘܢ
ܡܣܟܢܐ

(الختم)
(الحقير جرمانس مطران جبيل والبترون)

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه من ابناء رعيّتنا بوجه العموم.

---

(١) نقلاً عن النسخة الاصلية التي هي بيد امين الحكيم في البترون.

انه اذ كان واجباً على كل مسيحي في انه من قبل المحبة يرشد القريب حسب امكانه الى طريق الخلاص[١] ... يلتزم كل اسقف ليس فقط من قبل المحبة بل من قبل العدل ايضاً في ان يجعل كل اهتمامه في تثقيف ... رعيته وتهذيبهم الروحي وازالة العوايد السيئة في معاطاتهم مع بعضهم وكلما يثقل ضمايرهم امام الله جل جلاله لكي على هذا... ينجو من دينونته تعالى بسببهم لانه قد تسلمهم من الباري ليقيدهم بطريق مستقيم الى الغاية الاخيرة اي السعادة الابدية .

فنحن اذ كنا بنعمة الله واحداً من اخوتنا الاساقفة اصحاب الرعايا ومتعلق بنا هذا الالتزام حركتنا وظيفتنا على اننا نستأصل بكل مكنتنا العادة الردية الظالمة المستعملة من البعض من ابناء رعيتنا خصوصاً في مدينة البترون المضادة على الخط المستقيم الشريعة الالهية البيعية والوضعية . وهي ان البعض يشترون اغلال او بضايع بالقبض ويبيعونها بالقبض بمكسب جنف واهي ؛ وبالصبر بمكسب مضاعف. والبعض يجلبونها بالصبر ويبيعونها بالقبض والصبر بهذه المكاسب عينها وذلك على حد سوى (سواء) ان كان العطى (العطاء) من اول السنة او من آخرها وغير ذلك من المعاطاة المرغّبة طمعاً غير مبالين باهانته تعالى وهلاك نفوسهم لكون ذلك راجعاً الى الربا المحرّم من الشريعة الالهية الطبيعية والوضعية والمدنية ايضاً كقوله تعالى : لا تعطي (تعط) فضتك بالربا واقرضوا ولا ترجوا العوض . وهذا التحريم عينه قد ايدوه الآبا القديسين والمجامع المسكونية وكل المعلمين والملافنة والاحبار الرومانيين بقصاصات فظيعة منزلة بمن يخالفه اذ ان جميعهم يحرّمون الربا على اي نوع كان .

فمن ثمّ قد حركتنا الزامات وظيفتنا من هذا القبيل على اشهار هذا الاعلام الذي به نأمر تحت طائلة السقوط بالحرم حالاً . اولاً - اوليك العاطيين اغلال ام بضايع بالصبر في انهم لا يستوفوا شيئاً لبعد حضور كل منهم لدينا وتفحصنا نوع معاطاته واخذ اعلام مصرّح منا في كمية استيفائه .

ثانياً - اوليك الآخذين بالصبر تحت طايلة السقوط بالحرم عينه في انهم لا يوفوا الا بعد وقوفهم على اعلام بيده منا على كمية الوفا ... بانهم اذا علموا ان احداً خالف امرنا هذا حالاً يشهروا حرمه باسمنا ... اذا استمرّ على غيه لا سمح الله نشهر حرمه في كل البلاد ونجعله عبرة . فهذا ما اقتضى اعلامه والبركة على الطايعين .

حرر في ٢١ حزيران سنة ١٨١٧ مسيحية . صح .

---

(١) ان موضع النقط كلمات غير مقروءة .

المنشور الثالث

المنشور الثالث للسيد يوسف جعجع مطران قبرس بشأن مسبة الدين(١)

البركة الالهية تشمل حضرة اولادنا كهنة ابرشيتنا بوجه العموم باركهم الرب بوافر بركته السماوية امين .

اولا اننا لمزيدون الاشواق لمشاهدتكم المرضية واستماع اخباركم السارة في كل خير وعافية . ثانياً نخبر حضراتكم اننا قد حفظنا جديداً لذات شخصنا الحل من خطية مسبة الدين بكافة ظروفها وخطية الزنا الملعونة المعرقل بها اي من كان من طغمة الاكليريكيين سواء كانوا قانونيين او علمانيين بكامل ظروفها . ولا يستثنى منها ولا مادة حتى والابتدائية الخارجة المقصودة لكونها خطية مميتة بكامل نوعها الادبي .

وقد وضعنا قصاصاً خارجاً على خطية مسبة الدين ثلاث طبقات اعلى واوسط وادنى حسب تمييز الاشخاص . فالاعلى خمسة عشر غرشاً والاوسط عشرة غروش والادنى خمسة غروش وكل انسان حسب اقتداره . وهذا الحفظ انشهر نهار اثنين الصوم في ٢٩ شباط سنة ١٨٤٤ فالذين بلغهم علم هذا الحفظ قبل وصول اعلامنا هذا فهم خاضعون له بكل ظروفه . واذا كانوا من بعد معرفتهم ذلك عرّفوه احداً وحلّوه فليراجعوا اعترافه ثانية ويحلّوه جديداً . وقد فوّضنا في هذه المرة الحل في منبر الاعتراف فقط وغب ذلك يرجع الحفظ لنا. والذين ما بلغهم الخبر في اشهار هذا الحفظ وعرّفوا تلاميذهم بنية سليمة وحلّوهم من الخطيتين المحفوظتين لشخصنا فاعترافهم صحيح وحلّهم كذلك ولا يقتضي لهم مراجعة ولا يلزم ان يؤخذ منهم الحفظ عن الماضي . وهذا ايضاً يعمّ الاشخاص الذين تقتضي مراجعة اعترافهم غب معرفتكم ذلك وتعديكم الرسوم من بعد اطلاعكم .

ثم ونختم على جميعكم بان كل واحد منكم يصرف ساعتين زمان من النهار في درس علم الذمة كما افهمناكم مشافهةً . وهذا التحديد يستمرّ جارياً لبعد ما يجري الفحص عليكم منا . وغب الفحص نعمل لكم ترتيب جديد. ثم نختم ايضاً مقترنين ذلك مع الامل من حسن تقواكم بان يصرف كل واحد منكم ربع ساعة صلاة عقلية في كل نهار بموجب الكتاب الصغير المطبوع جديداً في رومية المنتسب للقديس الفونسيوس ليكوري . والذي منكم لا يوجد

---

(١) نقلاً عن احد دفاتر مكتبتنا في دير سيدة المعونات – جبيل .

عنده كتاب فيتأمل بحسب معرفته تارة بالعواقب الاربعة وتارة في آلام السيد المسيح وتارة باثقال وظيفته وعظم درجته وتكاسله عن المتاجرة بالوزنة المعطاة له كيف ملتزم بان يعطي جواباً عن ذلك في الوقت العظيم عن كل نفس تهلك من رعيته بسبب توانيه وهذا يبقى ايضاً لحين مواجهتنا لكم فوقتئذ نقدم لكم ارشاداً جديداً تمارسونه في المستقبل . والبركة الالهية تشملكم جميعاً ثانياً وثالثاً .

في ١٩ شباط ١٨٤٤ .

الحقير
يوسف جعجع (مكان الختم)
مطران قبرس

زكي بك غالي

(١٨٧٥–١٩٤٤)

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

هو ابن حليم بك القبطي الكاثوليكي ابن دوس بك ، ابن المعلم غالي ، الذي كان بمثابة وزير المالية لمحمد علي باشا ، ولم يشتهر بمجرد علو مقامه بين اعظم السياسيين المصريين ، بل بسمو فضائله . امه حُنَينة من طائفة الاقباط الكاثوليك .

وُلد زكي في القاهرة في ٣٠ ايلول ١٨٧٥ ، وعُمد باسمي فيلبس وجرار (Gérard) .

كانت والدته ممتازة بالتقوى واللطف والبساطة ، بعيدة عن روح العالم ، باذلة نفسها في خدمة الله تعالى وزوجها واولادها . قد رزقها المولى اربعة عشر ولداً ، مات منهم خمسة في طفولتهم ، وبقي ستة بنين وثلاث بنات ، وقد تزوجوا كلهم .

ابو زكي كان شديد الورع كزوجته . وله في بيته كاهن يقيم القداس في معبد الدار ، فيحضره جميع اهلها كل صباح . في المساء كان حليم يصلي السبحة الوردية ، فتجيبه زوجته والاولاد قاطبةً . كان يهذب ابناءه وبناته بعنف معتدل ، من مظاهره الغريبة انه ، اذا تأخر احدهم عن الجلوس على المائدة ، بعد دقة الجرس ، يُحرم انواع الطعام التي رُفعت قبل حضوره ، ولو كان كبير السن ، بل متزوجاً .

كان لحليم عدة عبيد زنوج قائمين بخدمة بيته من اعوام عديدة ، وقد حررهم كلهم ، حين حرّمت الكنيسة شراء العبيد ، لكنهم قد رفضوا الانفصال

عنه : لفرط لطفه وسخائه ، فظلوا في خدمته . كان احدهم خصياً مسلما ، اسمه مرجان اغا ، وقد خوله سيده السلطة على جميعهم . أصيب بمرض ثقيل في اثناء سفر ، فطلب ان يُنقل الى بيت مولاه المحبوب ، ليموت عنده مسيحياً مثله ، فنال بغيته .

ربا زكي في ذلك البيت المعطّر بعبير اسمى الفضائل المسيحية ، فرسخت كلها في روحه النبيلة ، وما لبثت ان انبتت اجمل الزهور واتت بالذ الثمار . حول الخامسة من عمره ، دخل بصفة تلميذ نصف داخلي ، مدرسة العائلة المقدسة لليسوعيين ، الحديثة النشأة في القاهرة . رأى مراراً في طريقه اليها كثرة الشحاذين ، فطلب من ابيه مبلغاً كافياً من الدراهم لتوزيعه عليهم . بعد حين قال له : « ابت ، اخشى ان يشتري اولئك المتسولون بحسناتي « حشيشاً » ، فافضّل ان تعطيني كمية كبيرة من الخبز لاقسمها عليهم . » فتعجب والده من بُعد نظره مع صغر سنه .

اكب زكي على الدراسة الابتدائية والثانوية في المدرسة المذكورة ، وختمها حين انشأت وزارة المعارف شهادة البكالوريا ، فكان سنة ١٨٩٥ من اول المصريين الفائزين بها . بعدئذ درس الحقوق في جامعة باريس ، مدة ثلاثة اعوام ، فنال شهادة المأذونية (الليسانس) سنة ١٨٩٨ ؛ وقد امتنع طول اقامته هناك عن شرب المسكرات ، انقياداً لوصية ابيه . بعد رجوعه الى الوطن فاز بشهادة المعادلة المصرية في الحقوق سنة ١٨٩٩ .

في كانون الاول ١٨٩٩ عُين وكيلاً لنيابة المنصورة المختلطة ، ثم قام ثلاث سنين بمثل تلك الوظيفة في القاهرة . ما زال يترقى حتى عُين وكيلاً لنيابة الاستئناف في محكمة الاسكندرية المختلطة . فبقي في هذا المنصب سبعة اعوام . سنة ١٩١١ قُلد رئاسة نيابة المحكمة المختلطة في المنصورة ، وسنة ١٩١٤ عين رئيس محكمة القاهرة المختلطة . وقد دامت مزاولته لتلك المهام اربعين عاماً الى ان بلغ سن التقاعد .

شهد جميع زملائه على انه قد امتاز بكمال العدل والنزاهة ، ولا سيما طول قيامه بوظيفة القضاء العسيرة . كثيراً ما كان يخص ساعات عديدة ، ليلاً ونهاراً ، بدرس القضايا المعقدة ، لئلا يمس احداً ادنى ظلم في احكامه . قد كرر مراراً هذا القول : « ما اشد واجب العدل على القاضي ، فانه له الحق ان يحاكم الملك ويحكم بالاعدام على انسان مثله ! » فلا بدع بكونه

قد ذكّر بتواتر المترافعين والمحامين والشهود واجب احترام الضمير والاقسام المحلوفة. من جهة اخرى كان دأبه ان يخفف عنف العدل بلطف الوداعة؛ فاذا تحتّم عليه الحكم بعقاب شديد على مجرم، كان يجامله ويحثه على الندامة وقبول القصاص.

كانت له مواقف شهيرة في الدفاع عن الحقوق المهضومة ببراهين قاطعة مؤثرة. قد امتاز ايضاً بغيرته على مصالح مصر التجارية، فانهالت عليه رسائل الشكر الحار من الغُرف التجارية. فمنحته الحكومة رتبة البكوية من الدرجة الاولى سنة ١٩١٣؛ واهدت له الوسام المجيدي ايضاً.

حين اضطرُ سنة ١٩٤٠ الى ترك وظيفة القضاء، عاد الى الاشتغال بالمحاماة، ليزيد رفاهية عائلته. عامئذ كتب وصيته الاخيرة، وسلّمها لسيادة المطران مرقس خزام، فلم يتسع له الوقت لتنقيحها قُبيل موته. نحو اسبوع قبل وفاته الحادثة سنة ١٩٤٤: رأته احدى بناته منهوكاً من التعب: فالحّت عليه ليأخذ نصيباً من الراحة. اجابها: «لا استطيع ذلك؛ ربما كان بعض «اصحاب القضايا متكلين على خدمتي لهم. من جهة اخرى، الشغل خير عظيم، لانه يحول دون فرط اهتمامنا بذواتنا.» هكذا ظل يشتغل الى اليوم السابق موته.

سنة ١٨٩٩؛ وهو ابن نحو اربعة وعشرين عاماً: تزوج تفيدة بنت انطون تادرس، من اعيان الاقباط الكاثوليك في المنصورة: فرُزق منها سبعة اولاد: مات منهم ابن وبنت قُبيل ختـام سنتهم الاولى. توفيت تفيدة سنة ١٩٢٥: فاشتد زهد زوجها في اباطيل العالم، واستولت عليه فكرة الابتعاد عنه والاستعداد للكهنوت، واستشار مرشده اليسوعي، فردعه عن ذلك العزم، لفرط صعوبة انجازه، وحرّضه على عقد زواج ثان. فانقاد لرأيه وتزوج سنة ١٩٢٩؛ وهو في الرابعة والخمسين من عمره: هيلانة جبّور اللبنانية، من طائفة الروم الكاثوليك. فانجبت له بنتاً ماتت عند ولادتها؛ فبادر الى تعميدها، ثم ابنين وبنتين لا يزالون في قيد الحياة.

لا مبالغة في تأكيدنا انه قد بلغ ذروة جميع الفضائل، في حياة طويلة مشحونة بانواع المتاعب والمصائب.

كان قلبه الطاهر دائم الاشتعال بحب الله: عز وجل؛ ومن اوضح الادلة على ذلك كون المصلوب معلقاً بحائط مكتبه في بيته، ليواتر النظر

الى صورة الهه الذي مات مسمراً على خشبة العار فداءً له . وقد اناط بثيابه الداخلية ذخيرة عود الصليب وثوب سيدة الكرمل ونوطها وانواطاً اخرى .

كان يحضر القداس مراراً في الاسبوع ، وحول سنة ١٩٢١ ؛ صار يحضره ويتناول فيه كل يوم . بعد عودته من الكنيسة كان يقرأ « الاقتداء بالمسيح » نحو ربع ساعة ، ثم يذهب الى المحكمة ؛ والسبحة في يده . قد اعتاد ان يسجد ساعة كاملة للقربان المقدس المعروض في خميس الاسرار .

كان من اعضاء الرهبانية الفرنسيسية الثالثة ، يحفظ قوانينها العديدة ، ويحضر اجتماعات اعضائها . .

كان حار العبادة لقلب يسوع الاقدس ، وقد نصّبه ملكاً لعائلته ؛ وظلّ مثابراً على التناول اول يوم جمعة من كل شهر ؛ وحضور حفلة الساعة المقدسة في مساء الخميس السابق له . كثيراً ما حضر الحفلات اليومية في شهر قلب يسوع ؛ وقد علّق في اشرف محل من بهو منزله صورة بديعة للقلب الالهي من ريشة احدى بناته .

اما تعبده للعذراء المجيدة والدة الله ؛ فقد بلغت اعلى درجات الحرارة والرقة . كان يتلو سبحتها كل يوم ، ويمتنع اكراماً لها عن اكل الفواكه وانواع الحلوى كل سبت . ظل اعواماً عديدة ؛ الى موته ؛ رئيس اخوية العذراء للرجال ؛ التي يديرها اليسوعيون في القاهرة . كان مواظباً على تبجيل البتول في كل ايام ايار شهرها ، كان ينصب لها في داره مذبحاً جميلاً ؛ يزينه بالزهور والانوار ؛ وقد وضع عليه صورة كبيرة لانتقالها الى السماء ؛ للمصور النابغة الاسباني موريليو (Murillo) ؛ وتحته تمثال سيدة لورد (Lourdes) . فيتلو امامها ؛ مع زوجته واولاده ؛ بيتاً من السبحة ؛ ثم طلبة العذراء ، وبعد ذلك يقرأ لهم ما يضرم قلوبهم بحب امهم السماوية . كان يفعل معهم مثل ذلك في الايام الخمسة عشر السابقة عيد انتقالها المجيد ، وطول تلك المدة ؛ لا يكتفي بحفظ القطاعة المفروضة عن اللحم ؛ بل يجتزئ باكل بقول مسلوقة بالماء وفواكه .

كان يلذ له جداً ان يرتل مع امرأته واولاده تراتيل جميلة للعذراء ؛ على الاخص في عطلة الصيف وحين سياحاته معهم على النيل .

في سنوات دراسته الحقوق في باريس ، كان يزور لورد قبل قضائه عطلة الصيف بين اقاربه . سنة ١٩٢٥ ؛ التي ماتت في اوائلها زوجته تفيدة ؛ ظل مع اولاده شهراً كاملاً في لورد . كان قد وصل اليها حول الساعة التاسعة

مساء؛ فقاد بنيه فوراً الى المغارة الشهيرة؛ قبل ان يستريحوا قليلاً في الفندق من عناء السفر الطويل.

قد اصاب كل الاصابة بجعله المقام الاول للقديس يوسف، في تعبده لاولياء الله. كان يزيد اكرامه له طول شهر آذار المكرّس له؛ فيتلو مع اهل بيته صلوات مختصة بافراحه الكبرى السبعة وباحزانه الكبرى السبعة. وقد ميز بين سائر القديسين فيلبس نيري (Neri)، الذي عُمد باسمه؛ وترازية ليسوع الطفل.

ذلك الهيام بالله تعالى ووالدته واوليائه قد اشعل قلبه بنار حب القريب؛ ولا سيما زوجته واولاده، كان شغله الشاغل الاهتمام براحتهم ورفاهتهم؛ وقبل كل شيء بانماء فضائلهم؛ فيستصعبُ جداً الغياب عنهم؛ ولو بضعة ايام؛ عند مسيس الحاجة. في اعياد الميلاد ورأس السنة والفصح واعياد شفعاء اهل بيته: كان يذهب الى القداس معهم، ثم يبدي لهم في منزله افكاره السامية وعواطفه النبيلة في شأن العيد. كان يصنع هو ذاته مغارة الميلاد في بيته، كل سنة بشكل جديد؛ وقد وضع مرة ابنه الطفل في مذودها، بدلاً من تمثال الطفل الالهي. كان يرتل باحر التقوى تراتيل ميلادية مع امرأته وبنيه.

كان شديد التأثر من محاسن الطبيعة؛ منظر النيل الهادئ والبحر المتلاطم الامواج والسماء المرصعة بالنجوم؛ كان يرفع فوراً نفسه الى الخالق اللامتناهي الجمال. فينطلق لسانه امام ذويه في تعظيم قدرة الله وحكمته وحبه العجيب للبشر.

كان يوبخ اولاده بغاية الحلم على عيوبهم وذنوبهم؛ واذا استغفروه عنها، نالوا عفوه في الحال. قالت لنا بنته رنه (Renée) — وهي راهبة اورسولية منذ سنة ١٩٢٩ —: «من فرط لطفه الابوي؛ لم نستطع عصيانه «بدون شعورنا باسف شديد على إحزاننا قلبه المحب. ذات يوم طلبت منه «العفو عن اهانة؛ فضمني ضماً شديداً الى قلبه وقال لي: فلنضرب صفحاً «عن ذلك. قد نسيت كل شيء. ثم حضنني بكل قوة حبه الابوي وباركني؛ «فبلغ مني التأثر مبلغاً اسال دموعي».

كان لجميع اولاده تعلق شديد به؛ فلا يذهب احد الى فراشه قبل لثم يده. فيباركه ابوه برسم صليب على جبينه؛ اما الغائبون، فكان يباركهم عن بعد.

ذلك الاهتمام الدائم بتقديس اولاده، ظل يبديه لثلاث راهبات من بناته. كتب لاحداهن في عيد جميع القديسين: «ليجعلنا الله كلنا قديسين باستحقاقات سيدنا يسوع المسيح.» وكتب لبنته رنه الاورسولية. في عيد القديسة جرترودة التي أطلق اسمها عليها في الرهبانية: «ليغمرك الله بنعمه «وبركاته. ويصيرك قديسة عظيمة مثل شفيعتك! ولتتقدّس بواسطتك «نفوس اخرى عديدة. دعوتها ان تكون قديسات حقيقيات!» كتب لها في عيد الميلاد: «ليجعل يسوع الطفل عرائسه المتواضعات والمختفيات قديسات عظيمات مثله!» يوم نذورها الدائمة قال لها بقلمه: «الشكر لله. انما يجب «علينا، اليوم خصوصاً: ان نقول مع امنا السماوية «تعظم نفسي الرب»: «وذلك بالنظر الى عدم جدارتنا، الفائق بدون حد عدم جدارتها. على كل «حال كوني على الدوام صغيرة ومتواضعة مثلها، فيزيد رضى الله ان يخفض «نظره نحوك، وان يختارك، ولو غير مستحقة، عروساً لابنه الالهي.»

اما حبه لزوجته وبذل ذاته في خدمتها، فلم يتركا زيادة لمستزيد. لازمت تفيدة الفراش عشرة اعوام، وهي مصابة بنوع من الكسح. كان يتناول الطعام معها ثلاث مرات كل يوم، وكثيراً ما قطع نومه غير مرة في ليلة واحدة للقيام بخدمتها. كان يتخذ التدابير اللازمة لكيلا تبقى وحدها في غيابه؛ ولا تُحرم الاسرار المقدسة حرماناً طويلاً. كان يُحضر مراراً عديدة كاهناً يسمع اعترافها ويناولها القربان الجليل، بل يقيم القداس في غرفتها باذن اسقفه. في يوم عيدها كان ينظّم حفلة عائلية بمعاونة اولاده، ليملأ قلبها المتألم تعزية وفرحاً. كان يصطاف معها في الاسكندرية او المنصورة او رأس البر، ليمكّنها من التمتع بمشاهدة اعضاء عائلتها.

حين اصيبت بالتهاب الصفاق (péritonite) وتفاقم حالها وابتدأ نزاعها، لم يستطع وجود كاهن يبادر الى خدمتها: فسهر هو وابنته البكر بدور بجانب فراشها، وتلوا الصلوات للمنازعين؛ ثم اتى الكاهن فمنحها الحلة والمسحة. فماتت ميتة الابرار. شاهدت ممرضتها البروتستانية هذه الميتة الهادئة وخضوع زكي الكامل لارادة الله في المصيبة الفادحة، فاهتدت الى الكثلكة؛ ثم ماتت بضعة اشهر بعدئذ، وقد منحتها بدور العماد المقدس بسبب ظروف قاهرة.

حظي الفقراء بحصة وافرة من محبة زكي وعنايته وتحنانه. كان مدير فرع لجمعية القديس منصور ده پول (de Paul) الخيرية، فقام باعباء تلك

الرئاسة حتى وفاته . كان يدخل احقر اكواخ الفقراء ، ولا سيما المرضى ، ليقف على احتياجاتهم ويبادر الى ازالتها . في بعض الاحيان كان يزورهم، وهو خارج من قصر عابدين ، حيث واجه الملك فؤاد الاول ، بين علية الموظفين . كثيرًا ما كان المساكين يذهبون الى بيته ، في كل وقت ، فيرحب بهم ويتصدق عليهم ، واذا طلبوا شغلاً يرتزقون به ، بذل قُصاراه لوجوده . كان يزور السجناء بين حين وآخر ، بل كان عضوًا في اللجان الادارية لعدة جمعيات خيرية ، فيؤازرها بماله الوافر وبنصائحه الرشيدة .

مع كثرة اشغاله وهمومه ، كان دائم الاستعداد لخدمة قريبه عند سنوح الفرص ، وهي لا تحصى . كان اخوته واخته يلجأون اليه في مصاعبهم ، فيساعدهم على حلها . كان بعلمه وفطنته وخبرته مستشارًا ممتازًا ، يطلب رأيه كثير من الاساقفة والكهنة والرهبان ، بل رؤساء بعض الرهبانيات ، فيجنون منه اجل الفوائد . عشرات المرار طُلبت منه بطاقات توصية تقدم الى شخص من الاعيان ، فكان لا يعطيها الا للمستحقين . اذا طلب منه زميل ان ينوب منابه في المحكمة حين عطلة الصيف ، كان يقبل اقتراحه طوعاً . كذلك قد قبل مرارًا تكاليف ثقيلة الاعباء ، مثل تنظيم الوداع لقاصد رسولي او استقبال خلفه .

من بلغ تلك القمة الشامخة من حب الله والقريب ، فلا شك في انه مزدان بسائر الفضائل المتدفقة حتماً من ذلك الحب ، كانفجار الماء الزلال من ينبوعه .

كان زكي ذا عفة كاملة ، ينافس الرهبان في احتشامه المطلق مع النساء ، لا يحدّق البتة الى وجه احداهن ، بل يعدّ ذلك خيانة لزوجته . اذا مُدح امامه جمال امرأة او سئل عن رأيه فيه ، لزم الصمت او اجاب بعدم الاكتراث لامر حقير كهذا . اذا اقتح احد على قول كلمة خلاعية او ذات معنيين بحضرته ، ولو كانت فلتة لسان ، كانت نظرة استياء منه كافية لاسكاته . فاه رجل بكلمة قبيحة امام بنت صغيرة لزكي . فعنّفه ابوها بغضب مقدس وقال له : « ويحك ! ان هذه الطفلة قد سمعتك . تذكر قول السيد المسيح : « الويل لمن يشكك احد اولئك الصغار ، فان ملائكتهم يرون على الدوام وجه ابي الذي في السموات . »

مع تلك العفة الكاملة كان ذا انس جذاب لكل عشرائه ، فيتوقون كل التوق الى رؤيته ومحادثته ، وكثيرًا ما كان يروي لهم من الفكاهات البريئة

ما يُضحك الثكلى. فضائله السامية كانت تنير مُحياه في الغالب بابتسامة تشرح الصدور.

كان ذا تواضع راسخ: فلا تقوى على هز دعائمه ما ازدان به من مزايا النفس والعقل الفريدة. وما انهال عليه من مدائح الناس لها. كان شديد النفور من المشغوفين بالمجد الباطل: المفتخرين بثروتهم ومناقبهم. كثيراً ما قال: « السنبلة الملأى تحني رأسها. والفارغة ترفعه. » طول حياته قد سطع تواضعه بجميع مظاهر تلك الفضيلة النادرة. كان يقرأ لبنته بدور الخطب التي يقصد القاءها في بعض الاحتفالات الدينية. ثم يطلب رأي الفتاة في غثها وسمينها. اهانه شخص مغمور بجبه: فاستغفره زكي: كأنه هو المذنب: وظل بعدئذ يعامله ارق المعاملة. انضوى ابنـه كزافيه (Xavier)، المولود من زواجه الثاني: الى الرهبانية اليسوعية. سنة ١٩٤٩. ثم خرج منها بعد نحو ثمانية اشهر؛ فقال ابوه عنه لبنته رئه الراهبة الارسولية: « كان لي شرفاً « وسعادة ان ارى ابني يسوعياً، لكن الله قد وجدني غير جدير بتلك النعمة « السامية. فاراد تذليلي؛ ولا مندوحة لي عن الخضوع لارادته المقدسة: فقد « نزل هو ذاته الى اقصى دركات التواضع في سبيلنا. »

ان اجلى دليل على القداسة هو قبول اكبر التضحيات واثقل البلايا من يد الله: لا بالصبر الكامل فقط. بل بتحمس قلب هائم بحب جلالته. والحال ان تلك المأثرة البطلية قد تكررت مراراً عديدة في حياة زكي.

مع كثرة اشغاله المتنوعة وثقل اعبائها: كان يصوم كل الصيامات المفروضة في طائفته: ولا سيما في الاسابيع السبعة السابقة للفصح؛ ويعلم القاصي والداني انها اكثر منها في سائر الطوائف الكاثوليكية. فكان يمتنع عن الاكل الى الساعة الاولى؛ بل الاولى والنصف بعد الظهر؛ واذا دُعي في تلك الاثناء الى حفلة شاي او نحوها: قبل الدعوة ولم يأخذ حصته من الذ الاطعمة والمشروبات.

كان يلذ له ان يقول لله تعالى في اول كل نهار « آمين؛ فلتكن مشيئتك »؛ تعبيراً عن قبوله: قبل الاوان: بملء حريته: تتميم كل الواجبات، مهما صعبت: وحمل جميع الصلبان: مهما ثقلت.

ذات يوم ضاقت مذاهبه وانقبض قلبه الحساس لمحنة فاجأته؛ فلثم باطن يمينه ثم ظاهرها. مبيّناً بتلك الحركة انه يقبل طوعاً من يد مولاه الحنّان كل الخيرات والشرور على السواء.

اصيب بجرح في رجله ، فلم يعبأ به حتى تسمم ، ثم تحتم على الطبيب ان يعالجه بادخال فتيلة فيه ، فقاسى زكي وجعاً مبرحاً ، ثم قال لبنته رنه ، بعد انقضاء مدة طويلة : «كنت اعض شفتيّ من فرط الالم ، بيد اني قدمت هذه التضحية الى السيد المسيح ، مقابلة لما قاساه من اهول الاعذبة لاجلي . » قد عاني مراراً آلاماً فادحة في نوبات كلوية وغيرها ، فكان يتضور من شدة الوجع ، بدون ادني شكوى ، ثم يقول بعد زوال النوبة : «التألم «خير لنا ، فانه يطهّر نفوسنا واجسادنا ، اذا عرفنا كيف نستفيد منه ؛ انه يقرّبنا الى الله ، ويثبتنا في التواضع . »

كان حبه لبنته بدور ، الاولى بين جميع اولاده الاثني عشر ، اشد منه لغيرها ، ولا سيما بعد موت زوجته تفيدة سنة ١٩٢٥ . عامئذ اطلعه مرشد بدور على دعوة الله اياها الى الترهب ، فقال ابوها لها : « انك لله تعالى «قبل ان تكوني لي . اني لاتشرف جداً بان تكون احدى بناتي عروساً للسيد «المسيح . من ثم انا راض كل الرضى عن رغبتك في الترهب ، فامنحك بركتي . » مع ذلك رأت بدور من الفطنة الا تثقل صليب والدها الارمل ، فانتظرت نحو سنة ريثما تبلغ اختها ويللمين (Wilhelmine) العشرين من عمرها ، فتقوم مقامها في السهر على الاولاد الصغار والقيام بالاشغال البيتية .

في سنة ١٩٢٦ اصطاف زكي واولاده في ضيعة لوترا (Lutra) الواقعة في جزيرة تينوس من بلاد اليونان ، فكانوا يحضرون القداس كل صباح في دير الارسوليات القريب . في تلك الاثناء خطف من ذلك الدير شابان يونانيان اختها لتطالبة الترهب فيه . فاستاء زكي كل الاستياء من شراستهما ، واوضح لها بلطفه المألوف شناعة تعديهما على حرية اختها ، فاعترفا بجسامة اثمهما واعادا الفتاة الى الدير . ثم احضر امها العجوز الثابتة على استهجان ترهب بنتها ، فاراها بنته بدور ، وهي رائعة الجمال في ميعة الشباب ، وقال للوالدة الغضبى انه راض كل الرضى عن ترهب بنته القريب ، مع كونها اعز اولاده . فاخذ التعجب من تلك الوالدة كل مأخذ ، ولثمت يديه ويدي بدور . ثم طلب زكي من رئيسة الراهبات احضار الفتاة المذكورة في بهو الدير ، فجاءت وركعت امام والدتها ، فباركتها هذه ، وعيناها مغرورقتان بالدموع .

بعد عودة زكي واولاده الى القاهرة ، اتى اليوم العصيب ، يوم سفر بدور الى فرنسة ، لكي تدخل دير الابتداء لراهبات الرب يسوع المكفّر ، في مدينة له مان (Le Mans) في تشرين الاول سنة ١٩٢٦ . يومئذ

طلب والدها المفجوع ان يقام القداس لاجلها ، فحضره كل اعضاء العائلة . بعد الظهر رافقها في القطار الى الاسكندرية ، ثم ركب معها الباخرة المنطلقة الى مرسيلية ، حتى يودعها الوداع الاخير . لما حان رفع المرساة ، لثمت بدور يده وتعانقا ، والتمس منها ان تبقى واقفة على جانب ظهر الباخرة المشرف على الرصيف ، ليراها بعد نزوله الى البر . فتناظرا بضع دقائق ، ولوّح كل منهما بمنديله ، ثم رسم زكي عدة مرار اشارة الصليب امام وجهه رسماً كبيراً. حين ابتعدت الباخرة الذاهبة بكنزه النفيس ، شعر بارتخاء في ساقيه ، يهدده بالوقوع . فامسك اخوه راغب بيده وسار به الى عربة يركبانها .

عاد زكي الى بيته بعد ذلك الوداع المبرّح ، فرأى بنته رنه تشهق من فرط حزنها على فقدان اختها الكبرى ، فوبخها على ذلك بغاية الوداعة ، وهو يخفي عنها لوعته الشديدة : « يا بُنيّتي العزيزة ، اهكذا تقبلين التضحية التي يطلبها منك الله ؟»

قبل ختام مدة ابتداء بدور الرهباني ، قالت رنه لابيها انها تنوي الترهب ، فابى النزول عند رغبتها ، مبيّناً احتياجه اليها في موقفه الحرج . بعد ايام عرف ان طبيباً اختصاصياً في امراض الآذان قد فحص اذني بدور ، فاكد انها تصير طرشاء في عامها الاربعين ، مع ان اذنيها لا تزالان سليمتين بعد بلوغ العام الستين . على كل حال قد اعتزمت رئيستها صرفها واعادتها الى اسرتها ، فغادرت دير الابتداء في ٢٢ نيسان ١٩٢٩ . عند وقوف ابيها على ذلك الخبر المشؤوم ، لثم مصلوبه لثمة حارة ، وحدّق اليه حيناً ، ثم قال لرنه : « الآن اطلق لك الحرية في الترهب ، فان اختك الكبيرة على اهبة الرجوع الى العالم . » فدخلت رنه دير ابتداء الاورسوليات في سان ديديه (St Didier) من ضواحي مدينة ليون في فرنسة ، إبان صيف سنة ١٩٢٩.

اما بدور ، فبعد خروجها القسري من الدير ، قضت مع والدها ثلاثة اعوام ، وهي تائقة احر التوق الى استئناف حياتها الرهبانية . في تلك الاثناء عقد زكي زواجه الثاني سنة ١٩٢٩ ، ثم فاض قلبه فرحاً بولادة ابنه كزافيه (Xavier) . في تلك الآونة قُبل طلب انضواء بدور الى راهبات الزيارة في فرنسة ، فدخلت دير الابتداء في مدينة كْراس (Grasse) في آب ١٩٣٢ ، وكان انفصالها الثاني عن ابيها الحنون اخف وقعاً من الاول .

شغف زكي الدائم بحب الله تعالى قد حثه طول حياته على انتهاز كل فرصة لاجتذاب النفوس ، ولا سيما الفاترة الضالة الخاطئة ، الى معرفة السيد

المسيح وحبه وخدمته ، ولمقاومة اعدائه الالداء الدائبين على افساد النفوس المفدية بدمه الالهي .

اذ كان ، حين شرخ شبابه ، في القاهرة ، جاء اليها من فرنسة كاهن جحد الكهنوت وخلع ثوبه المقدس ، واعلن انه ينوي القاء محاضرة ، في مسرح الاوبرا (Opéra) ، يبرهن فيها ان كل الاديان صالحة ومقبولة . فانذره زكي في رسالة مذيّلة بتوقيعه ، بان عدة رجال كاثوليك مستعدون لمنعه عن ذلك بالقوة القاهرة . في الواقع ، ما كاد المحاضر يفتح فمه حتى اسكته زكي ومعاونوه بالصفير المتواصل وغيره من انواع الضجيج ، فتحتم عليه الخروج والرجوع الى وطنه ، بعدما سيم خسفاً .

عدة اعوام بعدئذ — وكان زكي قد عُيِّن قاضياً — اتى من اوروبة الى القاهرة فريق من الثاوسوفيين [١] لالقاء محاضرات ينشرون بها مذهبهم الفاسد الذي يدك اركان الايمان المسيحي . عندئذ الحّ زكي على شخص من علية موظفي الحكومة ، حتى يجعل على باب مكان المحاضرات ، جنوداً يمنعون دخوله . فنال بغيته الشريفة ، وقسر دعاة الضلال على مغادرة مصر .

كان لا يطيق ادنى انتهاك لحرمة الكنائس . رأى مراراً في احداها رجلاً يحضر القداس واقفاً او جالساً بدون ادنى خشوع ، وهو لا يركع امام القربان المقدس ، ثم يتناول ويخرج فوراً من بيت الله . ذات يوم اوقفه زكي عند الباب وسأله ما سبب سلوكه الشائن . فارتبك المذنب في اعتذاره الباطل ، وشكاه زكي الى كهنة الكنيسة .

قد هدى الى الكثلكة احد كاتمي اسراره ، وحاول بكل جهده هداية نفوس اخرى عديدة . يوم تطواف بالقربان المقدس في الشوارع ، رآه يهودي قابضاً احدى قوائم المظلة التي فوق الكاهن الحامل الخبز السماوي ، فتأثر كل التأثر من شدة خشوع زكي الخافض عينيه والغائص في السجود لخالقه وفاديه ، وما لبث ان انتحل النصرانية .

ذاع في كل انحاء وطننا خبر مآثر غيرة زكي على خلاص النفوس وتقديسها . فلما انشئ الاتحاد الكاثوليكي المصري في القاهرة سنة ١٩٢٢ لتوثيق عُرى التعاون الاخوي بين الطوائف الكاثوليكية ، وتوسيع نطاق مساعيها لنشر

---

(١) الثاوسوفية شيعة دينية يدعي أتباعها الاتحاد بالله على وجه فاسد ، لا اساس له .

الايمان القويم وصيانة الاخلاق من عوامل الفساد المتكاثرة ، أنتخب زكي رئيساً له باجماع الاصوات . من اعظم اعمال ذلك الاتحاد عقده مؤتمر العائلة في العاصمة ، ابتداءً من ٥ ايارسنة ١٩٢٥ . وهو اول مؤتمر كاثوليكي في مصر . كانت اللجنة القائمة بتنظيمه تجتمع بتواتر ، تحت رئاسة زكي . وقد طال تجادل اعضائها الى ان قرروا تناول تلاميذ جميع مدارس القاهرة الكاثوليكية . كل فريق منهم في معهده ، يوم افتتاح المؤتمر ، لاستمطار اغزر نعم الله عليه . بيد ان زكي وحده قد خالف رأيهم وطلب بلهجة شديدة ان يكون تناول جميع الطلاب في مكان واحد . ولو بعثت كل مدرسة وفداً منهم . فتنتج عن ذلك مجاهرة عظيمة رائعة ، ملؤها السجود والحب للقربان المقدس . كان القاصد الرسولي اندراوس كاسولو (Cassulo) ، مؤسس الاتحاد الكاثوليكي المصري ، حاضراً وقتئذ . فلاحظ انفراد زكي برأيه . مع ذلك قال لسائر اعضاء اللجنة المذكورة « أتركوا البُوانِرغِس[١] وشأنه » . فتركوه موقنين انه يحاول المحال ، وحمّلوه هو وحده مهمة تعيين المكان الفسيح اللازم لذلك التناول الجمهوري ، الذي لم يسبق له مثيل في مصر . فاختار بعد طول التروي ساحة المدرسة الكبرى لأخوة المدارس المسيحية في حي الظاهر . وطلب منهم ان ينصبوا فيها ، على طول اربعين متراً سبعة مذابح ، المتوسط منها للقاصد الرسولي ، والستة الاخرى لستة كهنة من الطوائف الكاثوليكية الموجودة في مصر ، وان يجعلوا بازائها مائدة للتناول بطول اربعين متراً . وقد عُني هو ذاته بان تكون مغطاة بنسيج ابيض جميل . ثم ركب سيارة وذهب بها الى كل مدارس القاهرة الكاثوليكية . ليدعو وفداً من تلاميذهـا الى ذلك التناول العام ، فقوبل في جميعها بأحر الترحيب . فضلاً عن ذلك رتّب كل تفاصيل التداسات السبعة المنوية اقامتها في الآن ذاته ، وحدد طريق الذاهبين الى التناول ، وطريقاً آخر للعائدين منه .

كان الاعيان من المدعوين في اول الصفوف ، امام المذابح المرفوعة على مساطب ليراها آلاف الحاضرين . ووراءهم جماهير التلاميذ والتلميذات . وعددهم يفوق اربعة آلاف ، وخلفهم جم غفير من غيرهم . وقد علّقت ببعض الاشجار الواح كُتبت عليها اسماء المدارس .

---

(١) قد سمى السيد المسيح يعقوب ابن زبدى واخاه يوحنا بوانرغس ، اي ابني الرعد ، اشارة الى حدة طبعهما .

قُدر عدد الحاضرين بنحو اثني عشر الفاً ؛ وعدد المتناولين باربعة آلاف ونيّف ، ناولهم اثنا عشر كاهناً ؛ وقد جرت هذه الحفلة البديعة بأتم الترتيب : وفاق نجاحها اجسر الآمال .

في مساء ذلك اليوم اجتمع اعضاء مؤتمر العائلة وغيرهم من المدعوين في كنيسة القديس يوسف للفرنسيسين ، فصعد القاصد الرسولي الى المنبر . وقرأ عليهم تلغراف البابا بيوس الحادي عشر الحاوي بركته لهم .

دام المؤتمر نحو اسبوع ، وأقيمت جلساته في عدة مدارس ومسارح واندية ؛ ألقيت فيها كل يوم محاضرات بالعربية والفرنسية والايطالية : على ترقية احوال العائلة المسيحية ؛ وقد القى زكي بصوته الرخيم وفصاحته الرائعة ؛ خطاب ختام المؤتمر .

قد نظّم هو ايضاً برنامج زيارة كاثوليك مصر الجمهورية لرومية ؛ سنة ١٩٢٥ اليوبيلية ؛ وقدم كلاً من الزوار الى الحبر الاعظم في المواجهة الخاصة التي عينها لهم نائب السيد المسيح . قد منحه بيوس الحادي عشر وسام كومندور من سلسلة اوسمة القديس غريغوريوس الكبير ؛ واعطته الحكومة الايطالية وسام كومندور المنسوب الى تاج ايطالية ، والحكومة الفرنسية وسام اوفيسيه (officier) للمعارف العامة (de l'instruction publique) .

قال الكتاب المقدس : « البارّ يزهر كالنخلة ويتكاثر كارز لبنان . » هكذا زهت في حياة زكي الطويلة زهور جميع الفضائل . وتكاثرت اعماله الصالحة بالربوات . قال فادينا الالهي : « اسهروا وصلوا لانكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة . » بهذه الوصية الخطيرة يفرض علينا التيقظ الدائم والتقوى الثابتة لئلا يفاجئنا الموت ؛ ونحن غافلون ومدنسون بخطيئة مميتة تدهورنا في نار جهنم الابدية .

زكي كان دائم الاستعداد لمغادرة هذه الحياة الدنيا والمثول بين يدي ديانه ؛ فقد هام به وخدمه على الارض بحب ابر الابناء لاحن الآباء . كان موته شبه فجائي ؛ فان مرضه لم يدم اكثر من نحو ثماني عشرة ساعة . قبل فجر ٢٤ آذار سنة ١٩٤٤ اصيب بمغص كلوي ؛ فاستخف به وطمأن زوجته ؛ فذهبت كعادتها لحضور القداس والتناول . حين عادت الى البيت، وجدت زوجها شديد التألم ؛ وقد اعترته نوبة جديدة اثقل من الاولى . لم يأت الطبيب المستدعى في الصبح الا الساعة الاولى بعد الظهر ؛ فتحقق ان العليل مصاب بالتهاب الرئتين المزدوج . في المساء تفاقم ضعف القلب وانشقت

الكبد : فمات زكي بدون نزاع ، ولم يتسع الوقت لتزوده بالاسرار المقدسة . اراد الرب الفائق الحكمة ان يخترمه الموت في وقت قصير ، لئلا يذوق عبده الامين امرّ الاحزان بطول تفكيره في مصير زوجته الكاهلة الارملة واولادهما الاربعة اليتامى الصغار .

مات بطل الايمان المسيحي ومجد طائفتنا القبطية العزيزة ، وسبحة العذراء في يده ، والابتسام على شفتيه ، وقد بقي عليهما بعد وفاته ، ومحياه الشاحب مزدان بسلام الراقدين في حضن مولاهم . وقد كافأه الله في هذه الدار الفانية على تعبده الحار لامه السماوية وللقديس يوسف ، بجعله يموت في الشهر المكرس لذلك القديس وفي بيرمون عيد البشارة .

نشأة الكنيسة وصلتها بالقربان

حسب الفرض الماروني

بقلم الخوري فرنسيس البيسري

«انا الخبز الحي الذي نزل من السماء. ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الأبد. والخبز الذي سأعطيه أنا هو جسدي لحياة العالم... الحق الحقّ اقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في انفسكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية وانا اقيمه في اليوم الأخير لأن جسدي هو مأكل حقيقي، ودمي هو مشرب حقيقي. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه.»[١]

اننا نستخلص من تعليم القديس يوحنا، من اقواله هذه في القربان ومن غيرها، النقاط التالية: في البدء كان الكلمة والكلمة كان الله وبه كانت الحياة. ثم صار الكلمة جسداً وحلّ فينا واعطى جسده لحياة العالم. ولمّا عاد الابن المتجسد الى الآب بقيت هذه الحياة تعطى لكل مؤمن غذاءً هو جسده وشراباً هو دمه. وهكذا هما الخبز والخمر، جسد المسيح ودمه، اللذان يشركانا في الحياة الالهية.

صلة القربان بالكنيسة عند الآباء

وانطلاقاً من هذه الكلمات والمعاني راح اللاهوتيون وآباء الكنيسة يعلمون صلة القربان بالكنيسة ويلحون على هذه النقطة: «دور القربان في تنمية الكنيسة واستمرارها في الوجود». بنوع انه لا يخلو عصر من عصور الكنيسة الاّ واتى فيه اللاهوتيون والآباء على فاعلية القربان هذه. طبعاً لم تطرق هذه النقطة كموضوع موحد تعطى فيه جميع مفاعيل القربان دفعة واحدة. انما اتت افكار موزعة تدل على وجهات نظر وتكوّن في مجموعها، نوعاً ما، صورة عن الحياة في الكنيسة وان لم تكن واضحة المعالم. فعلّمنا احد الآباء ان القربان غذاء روحي وحياة ابدية. وقال آخر: انه مبدأ وحدة يشد المؤمن الى المسيح، ويشد المؤمنين بعضهم للبعض الآخر. ويبين آخر كيف يدفع القربان بالشهداء

١) يو ٦/٥١-٥٩

فيقدمون ذواتهم ذبائح مرضية للحمل الذبيح وبدل غيره كيف ان هذا السر وضع نحو الخطايا والى ما هنالك من وجهات نظر. وعلى سبيل المثال سنعطي بعض الشواهد التي تدعم قولنا هذا .

« فتعليم الرسل الاثني عشر » يقول ان القربان هو رمز وحدة المسيحيين . فالكنيسة تطلب من ربها قائلة : « كما ان الخبز كان منثرًا في الجبال وصار واحدًا عندما التأمت اجزاؤه كذلك فلتكن كنيستك مجموعة من اقاصي الأرض للدخول في ملكوتك » [١] والصلاة هذه هي صلاة شكر قربانية . ويرى في القربان ايضاً مبدأ غذاء روحي : وحياة ابدية ، وعربون نعيم خالد . لهذا عندما يشكر المسيحي يقول : « نشكرك ابانا لأنك اعطيتنا غذاء وشراباً روحياً وحياة ابدية بواسطة ابنك » [٢] .

وعلّم القديس «ايريناوس» الذي عاش في القرن الثاني ان القربان يغذي جسدنا الذي باقتباله نقتبل عطية الله اعني الحياة الأبدية [٣] . وبعد ان يشرح كيف ان الكرمـــة المغروسة في الأرض تعطي الثمرة في حينها . وكيف ان حبة الحنطة الواقعة في الأرض لا تتلاشى بل بقوة الله ترتفع في الربيع نبتة جميلة وتكتمل في الصيف سنبلة مكتنزة حباً يكمل قائلاً : « هكذا اجسادنا المتغذية بالقربان اذا دفنت في الأرض تبعث حية » [٤] . فالقربان اذًا هو عربون حياة خالدة .

وهو ايضاً غذاء كاف لنمو الكنيسة وتطورها . فالكنيسة الام العذراء ليس لها حليب تغذي به اولادها . فالحليب الذي تعطي هو يسوع ابنها البكر ، « الثدي الذي ترضع منه العوالم الحياة والنور » [٥] .

وسر الافخارستيا هو من المواضيع المحببة الى آباء القرن الرابع فلقد قال فيه « امبروسيوس » : « انه عربون غفران الخطايا وحماية ابدية لأنه غذاء فائق الطبيعة » [٦] .

ولقد اجاد القديس يوحنا فم الذهب في كلامه على القربان حتى دعي عن حق «ملفان القربان» . فهو يبرهن فيما يبرهن ان غاية المناولة هي الاتحاد

١) تعليم الرسل الاثني عشر ٩ : ١٠٤ .
٢) تعليم الرسل الاثني عشر ٩ : ١٠٤ .
٣) Contra Hæreses : 5,2,2.
٤) Contra Hæreses : 5,2,2.
٥) الفرض الماروني : الأحد الليل : القومة الأولى الباعوث .
٦) في المزامير : ١١٨ العظة الثامنة ، ص ٤٨

بالمسيح ؛ والحصول على خميرة للحياة الأبدية . زد على هذا نعماً عديدة حالية تعطينا القوة والطهارة والحرية . ان فم الذهب ينادي المؤمن قائلاً له : « عندما تتقدم لتأخذ جسد الرب قل في نفسك : بفضل هذا الجسد لست بعد رماداً وتراباً : وبفضله حصلت على الحرية البنوية . وقل ايضاً : ان ينابيع خلاصية جرت للارض كلها من هذا الجسد المكلوم والمطعون بالحربة . فهذا هو الحب اللامتناهي »[١] .

ولم ينقص القديس اغوسطينوس شيئاً عن سائر الآباء فهو يتكلم كثيراً على القربان واعطى خاصة الشيء الكثير في ثمار المناولة . ومما قال : « ان القربان يدعى حياة وهذا صحيح لأن جسد المسيح هو حياة ابدية للذين يتناولونه »[٢] . ولكن اذا كانت الحياة الأبدية والجسد الدائم الثمرة الوحيدة والأخيرة للقربان فما هي ثمرته المباشرة ؟ فيجيب ان المؤمن يتحد بالمناولة مع المسيح اذ يسكن فيه، ويسكن هو في المسيح، الشيء الذي يفيده قوة ونشاطاً في محاربة الأعداء الذين يناصبونه العداء . وهكذا يكوّن المؤمن والمسيح وحدة ليس فقط بين كليهما ولكن بين الاعضاء جميعاً »[٣] .

ولقد برهن كنّارة الروح القدس القديس افرام عن قوة القربان في طرد الشيطان واعطاء الحياة اذ خاطب يسوع قائلاً : « ان خبزك يقتل الشيطان الذي جعلنا خبزه ؛ وكأسك تبيد الموت الذي تغلب علينا . فقد اكلناك وشربناك لا لنهضمك بل لنحيا بك »[٤] .

صلة القربان بالكنيسة عند اللاهوتيين

ولا يقل اللاهوتيون في الكنيسة عن الآباء في فهم هذه الحقيقة والكتابة عنها . فهؤلاء بالاستناد الى الاناجيل وخاصة انجيل القديس يوحنا ؛ وفي شرحهم لكتابات الآباء يعلنون عن هذه النقطة ويشرحونها ويزيدونها وضوحاً . والأمر سواء عند اللاهوتيين القدامى أو المعاصرين . ولا عجب فتعليم الكنيسة واحد لأن الروح الذي يعلم هو واحد .

فالقديس توما الاكويني يبرهن على ان القربان يكمل ما بدأ به سر العماد

---

١) من تعليقه على الكورنثيين الأولى ٢٤/٢-د .
٢) العظة الحادية والثلاثون بعد المئة .
٣) القديس اغوسطينوس . العظة ٧١/١٧ .
٤) افرام السرياني : العاشرة من قصائده في الايمان . الرسائل المسيحية العدد العاشر ت٢ ك١ سنة ١٨٨١ .

ويتمم الكنيسة التي ولدت على الصليب من جنب المسيح[١] . ومن احدث الأقوال واقواها كلمة بيوس الثاني عشر في رسالته : « جسد المسيح السري» اذ يقول : « الكنيسة هي حقيقةً نتيجة جسد المسيح »[٢] . فهذه الكلمات من تعليم الآباء جواب للكثيرين ممّن يرون في الكنيسة جماعة مثل باقي الجماعات وجواب للذين يتساءلون عن العوامل التي ساهمت ولا تزال في تطور هذه الجماعة ونموها .

وربّ معترض يقول : هذه هي الجماعة الاسلامية قد عاشت طويلاً . والمقومات الدينية التي لكل ديانة تدل على انها سوف تعمر طويلاً ايضاً مع العلم ان القربان ليس في عداد هذه المقومات فما الذي يميّز المسيحية عن غيرها؟

الجواب هو ان جماعات كثيرة . والاسلامية منها ، لها ما يجعلها تستمر في الوجود . فمنها التي تدين بالله خالقاً وديّاناً ، والتي تقدّم الشهداء في سبيل العقيدة كالحلاج المسلم المتصوّف . ولكن المسيحية تختلف عن غيرها بأنها ليست ايماناً بتعليم فحسب بل هي شخص المسيح يكمل رسالته في البشرية .

والدين المسيحي يمتاز عن غيره بأن المسيح موجود في الكنيسة وفي قلب كل واحد من ابنائها . فالمسيحية تكوّن الشهداء والقديسين . ولقد تابعت سيرها عبر الأجيال ولها من دماء ابنائها قوة مستمدة من حياة المسيح الدافقة فيها .

وغذاؤها من القربان ومن باقي الاسرار يجعل منها العجوز الفتية . بواسطة القربان يحيا يسوع في كنيسته ويرافقها منذ البدء حتى النهاية ، وبالقربان تقوى على الاعداء ، وتقدم نفسها ذبيحة في سبيل من تحب . هو جسد المسيح يقويها فتشهد للقيم الروحية حتى سفك الدم اقتداء به وحباً له وللقريب .

وهذا ما خبرته الكنيسة حيث وجدت تحت كل سماء وفوق كل أرض « فشهدت للمسيح في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة والى اقصى الارض»[٣] .

الموضوع في القرض الماروني

والامة المارونية الصغيرة نالت هي نصيبها ايضاً من هذه الشهادة . هذه الامة التي عاشت في هذه الجبال منقطعة معظم ايامها عن الكنيسة وعن المسيحية

---

١) الخلاصة اللاهوتية : (الثالثة س ٤٦ : ٢ ، ٣) III, q. 46, a. 2 ad 3 .

٢) « جسد المسيح السري » الطبعة الثانية ص ١٠٣ .

٣) اعمال : ١ /٨ .

لم يكن رفيقها الا القربان يغذيها في سيرها وفي نموها فعمل ولا يزال يعمل على ديمومتها . وكباقي الجماعات المسيحية عبرت عن نوعية حياتها هذه في الكتب وخاصة الطقسية منها . فمن تصفح كتاب الفرض الماروني علم ان القربان هو من المواضيع التي يأتي الكاهن على ذكرها كثيراً في صلاته . ومن رجع وحلل هذه الصلوات وجد انها تحتوي على العقيدة نفسها التي علمها آباء الكنيسة ولاهوتيوها الا وهي صلة الكنيسة بالقربان ان في نشأتها أو في ديمومتها .

وغايتنا في درسنا هذا تحليل ما قد نجد في الفرض الماروني من صلوات تأتي على ذكر الكنيسة والقربان محاولين ايجاد صلة منطقية بين هذه الصلوات اذ ليس في الفرض الماروني موضوع لاهوتي تتبع فيه قواعد مدرسية موضوعية منطقية. ولقد قلنا فرض الكاهن لنميزه عن « الشحيم » المعروف بفرض الرهبان وحتى نعلم القارئ باننا سوف لا نتطرق في هذا السبيل الى ما يوجد في كتب « المتعيد » والفروض الخاصة بالقربان .

فالفرض الماروني ليس سوى مجموعة من الصلوات يناجي بها الكاهن ربه بل قل هي مجموعة صلوات شعب اذ الفرض في اساسه جماعي لا فردي . كان الشعب كله يشترك فيه ومتى كان الله يطلب من الشعب ان يكون منطقياً في صلواته ؟ أما يطلب عصارة قلب اذ يقول : « يا بني اعطني قلبك » . والشحيمة التي بين يدينا هي نبضات قلب احب حتى الامتلاء ففاض صلوات.

من هذه الصلوات سنحاول ان نكوّن موضوعنا . فنعطي في بادئ الأمر باختصار كيف تعمل الكنيسة القربان وبالتالي تعمل ذاتها وهذا هو موضوعنا اي كيف ان القربان يعمل الكنيسة ؛ فنقول كيف تبدأ الكنيسة حسب الشحيمة ثم دور القربان في بنائها وبقائها . وبكلمة واحدة سنبرهن كيف ان الانسان يقدم ذبيحة لله فيقبلها اذ قيل ان الله يقبل الذبائح . وكيف يعيد الله هذه الذبيحة بركات ونعماً تساعد على اكمال عمل المسيح على الأرض . فتقوي الكنيسة بنوع خاص حتى تؤدي الرسالة كاملة فتسير نحو غايتها حاملة بين يديها الكون بكل ما فيه مقدمة اياه للخالق قائلة : اعطيتني يا رب رسالة لأربح العالم وهاكه كما ربحته بالمتاجرة وعندها يدخلها ربها الى جنانه ويمتعها هناك برؤيته وجهاً لوجه جزاء لعملها وذلك في سماء جديدة وأرض جديدة طالما انتظرتها .

الانسان والدين : الذبيحة

الانسان في طبيعته متدين . والدين عبادة بها نبرهن لله عن خضوعنا لأوامره وعن تسليم انفسنا المطلق لمشيئته القدوسة. وخلاصة العبادة هي الذبيحة التي ليست وقفاً على المسيحية بل هي موجودة عند جميع الاديان . ولقد قدم الانسان الذبيحة للاله الذي يعبد في كل عصر من عصور التاريخ .

فما ان علم بوجود ربه ، وفطن انه مبدأ وجوده وغايته حتى اتجه نحوه مقدماً الاكرام اللائق والعبادة الفائقة ، مكرساً شخصه وكل ما يملك لخدمته تعالى . ولكنه ما اكتفى يوماً ولا في حقبة من حقبات الزمن بهذا الاستعداد النفسي والاكرام الداخلي. لقد رأى من جهة ان جسده هو عنصر مقوم لشخصيته فمن الواجب اذاً اشراكه بعبادة الله . ورأى من جهة ثانية ان عبادته الداخلية تظل ناقصة اذا لم تتجسد في طقوس وحركات خارجية تعبر خير تعبير عمّا يختلج به في الداخل . وهنا كانت الحاجة ليكرس عطيته وتضحيته الداخلية الذاتية بعطية وتقدمة خارجية تكون رمزًا للاولى وصورة . وكثيرًا ما اختار الانسان لتأدية هذه المهمة المادة وخاصة تلك التي تعمل على بقائه عيشاً، وفي ديمومته حياً فاستعمل المآكل من خبز ولحم ، والمشروبات من خمر وحليب وزيت وغير ذلك . وكأني به اختار هذه لأنها تكوّن معه وحدة وجودية لما هناك من اتصال وثيق بينها وبينه . ولقد كان الله يرضى بهذه الذبائح ويقبلها .

وبالفعل فان الله قبل القرابين لقد « قبل قرابين الآبـــاء ابراهيم واسحق ويعقوب » واغدق عليهم نعمه وكمّل معهم وعده . « رضي عن ذبيحة ايليا واستجاب صلاته وساعده على قتل كهنة باعال »[١] ، ولذت له قرابين الكثيرين من مقدمي العهد العتيق وفي كل مرة كان يعيدها على مقدميها مثقلة بالبركات طافحة بالنعم « لأن الذبيحة لله روح منسحق والقلب المتخشع المتواضع لا يرذله الله »[٢] .

لكن ما كانت هذه الذبائح لتفي للعدل الالهي حقه فتخلص البشرية كلها من سلطان الخطيئة وتنجيها من اسر الشيطان وترد للإنسان حق البنوة ، فعلاً . فدماء الابرياء ، ولحوم الكبوش والعجول ، وعصارة الكرمة ما كانت الاّ صورًا ورموزًا واشكالا لا تفي بالمطلوب ولا تعطي ما يرتجى منها ليس هذا

١) الملوك الأول ١٨ /٣٦–٤٠ .

٢) المزمور الخمسون ٥٠ /١٩ .

فقط بل ان هناك ذبائح وطقوساً وثنية هي اقرب ما تكون الى الهمجية . ولقد بلغت فيها دركات الانحطاط حدًّا بمعنى انها بدل ان ترتفع بطقوسها ومعانيها الى اسمى درجات الروحانية انزلت الاله عن عرشه وجعلت منه شخصاً عادياً ناسبة اليه صفات هو منزه عنها .

ذبيحة المسيح

ولكن ما طال الوقت حتى تغيرت معاني العبادة ومعها معاني الذبيحة . لقد راح الانسان يعبد الله بالروح والحق وامتلأت الذبيحة قداسة الهية ، ورهبة سماوية . وهذا كان عندما انحدر الابن الكلمة الى العالم ليموت مقدماً ذاته ذبيحة جازت الغلبة على الخطيئة وردت لنا الملكوت الذي فقدنا وعندها « بطلت جميع الذبائح لأن به كانت لنا العجائب المجيدة والمعجزات الباهرة »[١].

يقول لنا القديس بولس في رسالته الى اهل فيليبي : «ان المسيح الذي هو في صورة الله لم يكن يعتد مساواته لله اختلاساً . لكنه اخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في شبه البشر وموجوداً كبشر في الهيئة فوضع نفسه وصار يطيع حتى الموت ، موت الصليب فلذلك رفعه الله »[٢]. نعم رفعه لأنه « بذل نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية »[٣] . وكان عربوناً لهذا الرضى ان اعاد الله الينا هذه الذبيحة الالهية بركات ونعماً لأنه ان كان دم تيوس وثيران ورماد عجلة يرش على المنجسين فيقدسهم لتطهير الجسد فكم بالأحرى دم المسيح الذي بالروح الأزلي قرّب نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائرنا من الأعمال الميتة لنخدم الله الحي وتفدى معاصينا فتنال موعد الميراث الابدي »[٤] .

وهذه النعم وهذه البركات لها مكانها في القرض الماروني الالهي . نعم ليست هناك اسماء لها ، خاصة بها . ولكن من تصفح كتاب الصلاة هذا علم ان ما هو موجود من هذه النعم والبركات هو مفعولها ومقدراتها الالهية الجبّارة .

ولكن لمَ هذه ؟ وما هي الغاية من اعطائها ؟ والجواب هو انها اعطيت لمقدّم الذبيحة عوضاً عن قربانه . ولمّا كان المسيح هو المقرّب والمقرَّب ، الذابح والذبيح كانت اولى هذه النعم ولادة الكنيسة من جنبه ، كنيسة رسالتها

١) القرض الماروني : الجمعة الساعة السادسة صفوا .
٢) فيليبي ٢/٦–٩ .
٣) افسس ٥/٢ .
٤) عبرانيين ٩/١٢–١٦ .

اتمام ما لأجله صار المسيح انساناً . لهذا يبارك الكاهن الماروني ربّه على عطيته هذه ويشكره على هذه النعمة الفائقة ألا وهي هذه الكنيسة جسد المسيح وامتداده السري على الأرض فيقول : « مبارك البنّاء الذي شيّد كنيسته على راحة يديه ومن دم جرى من جنبه »[١] .

والكنيسة المارونية لا تبتعد في قولها واعتقادها عن تعليم الكنيسة الجامعة . فهي تعلم ما علمه واعتقده الكثيرون من الآباء : اي ان الكنيسة ولدت من جنب المسيح عند ما ثغرت الحربة جنبه مع العلم ان كثيرين يقولون : ابتدأت الكنيسة عند ما تأنس الابن الكلمة . او عندما حلّ الروح القدس على التلاميذ . يقول القديس افرام : « ان المسيح بنى كنيسته وثبتها بالحق وهو معلّق في اعلى الجلجلة » ؛ وفي مكان آخر : « ثبت اساساتها وبناها بدمه »[٢] ويقول القديس يوحنا فم الذهب : « لا بدون سبب ولا صدفة جرى هذان الينبوعان من جنب المسيح اذ منهما ولدت الكنيسة »[٣] . وهذا ما علّمه مؤخراً في هذا المعنى البابا بيوس الثاني عشر في رسالته : « الجسد السري » اذ قال : « لقد بدأ المسيح بنيان كنيسته عندما أعطى وصاياه ؛ وكملها عندما علّق ممجداً على الصليب »[٤] .

ان الفرض الماروني يقول : « «بنى » ومن المعلوم ان البنيان يتطلب اساساً وحجارة . اذاً كيف يقوم ويرتفع وما هي اساساته ؟ واي حجارة بنيت منها الكنيسة ؟ امّا الاساس فبطرس. فالكنيسة المارونية تدعو جميع بنيها ليرتلوا المجد للذي بنى كنيسته وعلى سمعان وضع اساسها »[٥] . وفي مكان آخر تعترف ان المسيح قد وضع في اساس الكنيسة لا بطرس فقط ولكن الرسل ايضاً . وأمّا الحجارة لكي يرتفع البنيان شاهقاً فهم الشهداء ، حجارة كريمة لا تقوى عليها الاعاصير ولا تنال منها الايام ولا يزيدها التاريخ الاّ جلالاً وتبلوراً ، جدة وحياة وفي هذا تقول الكنيسة : « لقد بنى المسيح كنيسته وجعل حجارة اساسها الرسل والشهداء الحجارة الكريمة »[٦] .

---

١) صباح الخميس النشيد الرابع البيت السابع ؛ ليل الأحد القومة الثانية فهما .

٢) لامي الجزء الاول ص ٦٧٠ الفقرة العاشرة وص ٣٥٣ الفقرة الثالثة عشرة .

٣) Homélie 85. P.G. 59, col. 463.

٤) الجسد السري ، اعمال الكرسي الرسولي العدد ٣٥ ، ١٩٤٣ .

٥) صباح الثلاثاء النشيد الرابع حمحه ؛ الساعة التاسعة من الاربعاء : الفتح حمحسا .

٦) ليل الأحد القومة الثانية نشيد .

رسالة الكنيسة

ولا بدّ من سؤال يطرح عن غاية ولادة الكنيسة وهل هناك من رسالة تؤدّي؟ ان الكنيسة انما وجدت لتكمل ما بدأ به المسيح . هي امتداد شخص المسيح عبر التاريخ ، ورسالتها هي رسالته الا وهي خلاص البشرية . مسؤولية كبرى ألقيت على عاتقها وعليها ان تؤديها كاملة محطمة كل قوة تقف حاجزاً دون تحقيقها . لهذا عليها ان تشنها حرباً على القوات التي توقف عمل المسيح في النفوس . فهي والحالة هذه سفينة خلاص في بحر العالم تتلاطمها الأمواج من كل الجهات . .

ولكن انّى لها ان تصل الى الميناء وحدها ؟ انّى لكنيسة المسيح ان تقف في وجه أعداء نشر ملكوت الله على الأرض ؟ لهذا ، والحالة هي هذه ، زوّدها الله بقوى واسعافات لها مفعولها العظيم ، وفي مقدمتها الاسرار ومن بين هذه الاسرار ، سر جسد المسيح ودمه .

فالقربان يعطي الكنيسة حياة جديدة ويجري في عروقها دماً جديداً لكي تكون بحق كما سمّاها الآباء القديسون « جيش المسيح »[١] و « عسكر الله الحي »[٢] . أمّا كيف يلعب القربان دوره هنا فهذا ما سنبينه في ما يلي :

دور القربان في الكنيسة

ان لجسد المسيح ودمه دورين في الكنيسة . دور سلبي ودور ايجابي . امّا الدور السلبي فهو محو الخطايا التي يولد ابناء الكنيسة ملطّخين بها « وبالخطايا ولدتني امي » ، وتقييد الشيطان وتكبيله ومن ثمّ تضميد الجراح التي تركها في نفوسنا عراكنا الدامي مع عدو البشر . حتى اذا ما طهروا ومثلوا الى الشفاء تغذّوا من « قوت الأرواح » وساروا في طريق الكمال والقربان زادهم وعربون نعيمهم ؛ هذا النعيم الذي تنشد الكنيسة لا وحدها بل العالم وجميع من فيه من طبائع ناطقة وغير ناطقة . والقربان رابط يوحّد بين الاعضاء ويشدهم بعضهم الى البعض الآخر ، والى الكون بأجمعه ويقوّي بينهم اواصر المحبة فيتبارون باظهار هذه المحبة تضحية وشهادة وذبيحة وهذا هو عمل القربان الإيجابي .

ان الكنيسة وقد تيقنت من واقع رسالتها الصعب علمت انها فعلاً لا تقوى

---

١) يوحنا فم الذهب : محاورة في الكهنوت ١ /٦ .

٢) TERTULLIEN, *Ad Martyres*, C.3 (P.L. I, 624 A).

على القيام بها على ما هي عليه من ضعف بسبب الخطيئة التي ورث ابناؤها وبسبب « رئيس هذا العالم الذي لا يزال يضل سكان الأرض بالعجائب التي اوتي ان يعملها »[١] .

والكنيسة المارونية قد خبرت قوة خراب هذا العدو . كيف لا وهي تعلم انه بحسده « اخرج الانسان من الجنة »[٢] . لهذا هي تصرخ الآ يدخل اليها فيفتك بابنائها وينهشها كذئب كاسر او يحرقها بسهامه المتقدة ، وفي ذلك تقول : « لا يدخل يا رب الذئب المفسد لرعيتك ويفتك بالخراف الموسومة بوسمك لكن ظللنا بيمينك المملوءة مراحم وانقذنا من كل سهام الثلاب المحرقة »[٣] .

ولكن من ينجيها من عدو مخاتل يتعمد هلاكها ، وخطيئة دنسة تلطخ انفس ابنائها وشهوة قبيحة تقلقل اعماقها وتعمل على تقويض اساساتها فتهدد مصيرها ؟

محو الخطايا ودحر الشيطان

اذا كان لا بدّ من التغلب على الشيطان عدو الكنيسة ، والسير قدماً نحو الخلاص فليس للبيعة ان تستمد قوة الاّ من يسوع المتألم وليس لها الاّ ان تغرف من نعم الذبيحة اللامتناهية . ألم يمت يسوع لأجل الخطأة ؟ « ألم يسفك دمه على الجلجلة لأجل خلاصهم ؟ »[٤] ان هذا لا يختلف عليه احد فالمسيح ذاته قال ان ذبحه هو عن الجميع « لمغفرة الخطايا » .

والكنيسة في الفرض الماروني تؤمن ايماناً صادقاً وقوياً بموت المسيح لمغفرة الخطايا . فهي ترى ان شعب الله كان اسير الشيطان بسبب الخطايا . لهذا وجب ان يموت الابن ويقدم دمه لأبيه حتى يحرر كنيسته من ربقة الشيطان . لقد قدم دمه ثمناً يشتري به الكنيسة ويفتديها . والمصلي يذكر الاله المتأنس مرات عديدة بعمله هذا . فهو يطلب منه ان « يذكر بيعته التي اشتراها منذ القدم »[٥] . واذا اراد ان يطلب منه طلباً يقول له : « أن نفوسنا مشتراة بدمك مفتداة بك »[٦] وعلى هذا يشكره باسمه وباسم العالم اجمع لأنه افتدى الجميع

١) رؤيا ١٣ /١٤ .
٢) مساء الاربعاء ܦܪܘܡܝܘܢ .
٣) مساء الثلاثاء ܦܪܘܡܝܘܢ .
٤) يا أبا الحق الخميس الساعة التاسعة ܣܕܪܐ .
٥) الخميس الساعة السادسة ܦܪܘܡܝܘܢ نحو الآخر .
٦) صباح السبت ܣܕܪܐ البيت الثالث .

واشتراهم . وها هو يقول : « في كنيستك يسجد لك الشعوب والامم والقبائل المشترون بك والمفتدون بصليبك »[١] .

«وهكذا حرّر المسيح الكنيسة بموته، وقيّد العدو القوي ، وقطع من كل واحد منا رباطاته وكسر اكباله وقيوده وبتحريرها حرّر الكون كله لهذا يشكره الاحياء والموتى وبمجده الناطقون والصامتون لأنه بصليبه انقذهم »[٢] .

وبانقاذه لخطيئته محى المسيح خطاياها التي بواسطتها كان في نية الشيطان ان يهلكها . وما غايته من وراء اعطاء سلطانه الكهنوتي لرسله الاّ ان يعمل هؤلاء كما عمل هو ، وان يكملوا ما بدأ به ؛ فيكهنون اسراره حتى يكون القربان نارًا تحرق كل خطايا البشرية التي تبعد الإنسان عن خالقه ؛ وتفرّقه عن اخيه الانسان؛ وحتى يفيد من القربان كل انسان أنّى وجد وفي اي زمن وجد؛ ويكون صليب الفداء ترساً منيعاً يقي البشرية من الهلاك ويحفظها من التلاشي والموت المسببين بالخطيئة . فالقربان وضع لمغفرة الخطايا ولكي تتمكن الكنيسة بقوته ان تعدّ للمجد الابدي شعباً مقدساً طاهرًا . فلو لم يسلّم المسيح جسده لهذه الغاية ولو لم يتألم ويموت ويقوم لما كان باستطاعة الكنيسة ان تمحو الخطيئة وان تتغلب عليها نهائياً وبالتالي ان تعطي لأبنائها الحياة الأبدية .

ولقد علم مؤلف الفرض الماروني مفعول القربان وقدرته في محو الخطايا فراح يملأ كتاب صلاته بمعرفته وإيمانه . فالمسيح مات لأجل الخطأة ودمه سفك لغفران الذنوب . وسواء كان المسيح على الصليب او على المذبح فهو يدعو اعضاء جسده السري ان يستفيدوا من كنوز محبته هذه . فاذا شاءت الكنيسة ان تتخلص من الخطيئة ترفع عينيها الى ذلك الذي سمّر على الصليب لأجل الخطأة . واذا تمادى ابناؤها وذهبوا بعيدًا في طريق ضلالهم واحست بعظم الخطيئة وندمت على تصرفها المشين فمن راحم الخطأة تطلب الغفران والحنان . ولنسمعها تصرخ قائلة : « يا من سمّرت على الصليب بالمسامير ودعوت الخطأة ليحيوا؛ ها كنيستك تدعوك وبفم اولادها تتضرع اليك فاستجبها يا راحم الخطأة وارسل اليها من كنزك حنانًا وغفرانًا ومراحم »[٣] .

ولا تلجأ الكنيسة الى الصليب الاّ لأنها تعلم ان « بالصليب تمحى

---

١) مساء الاحد النشيد الثاني ܡܕܪܫܐ .
٢) السبت الساعة السادسة ܚܘܣܝܐ .
٣) الجمعة الساعة السادسة ܩܘܠܐ .

الخطايا »[١] وهذه الثقة القوية والايمان الشديد يتحلى بهما كل من ابنائها . فكما هي : كذلك كل واحد يندم على خطيئته ويصرخ نحو المصلوب الذبيح مستحلفاً اياه « بحق الحربة التي ثغرت جنبه فوق الجلجلة على الصليب ان ينضحه بندى الغفران »[٢] .

والمسيح الذبيحة عن خطايانا هو كذلك ، سواء كان على الصليب أو على المذبح . ودمه الحي يغفر الذنوب سواء كان معلقاً على الصليب بين السماء والأرض او حوته ايدي الكهنة على المذبح . فالذبيحة واحدة . هو المسيح الذي يقرّب على المذبح واذا قدس الكاهن يفعل ذلك بقوة يسوع . لهذا تقول الكنيسة : « السجود للابن الذي علّم كهنته واختارهم ليخدموا اسراره »[٣] . فالكاهن هو خادم المسيح ، الضحية والقربان على المذبح : « يا ابا الحق هذا ابنك ذبيحة ترضيك ... خذه قرباناً من يديّ » . وذبيحة الصليب هو مقدّمها وفي ذلك تقول الكنيسة : « مبارك الذي ذبح نفسه » وهو ايضاً الضحية والقربان اذ الدم المهدور على الجلجلة هو دم الابن لمغفرة الخطايا . بالصليب كما رأينا تمحى خطايانا ؛ « وكذلك أيدي الكهنة تقدم الذبائح عن الخطأة »[٤] وبكلمة واحدة يقول كاتب نصوص الشحيمة : «ان السيد اولى لخطيئته وليمة وقدم لها فيها الصليب والمذبح المقدس الطاهر الموضوع عليه جسد المسيح لمغفرة الخطايا » .

القربان دواء الحياة

ولم تكتف الكنيسة من القربان ان يخلصها من الشيطان ويطهّر قلوبها من عمله الشرير ؛ بل رأت فيه الدواء الشافي الذي يضمّد الجروحات التي تركها الشيطان والخطيئة في الأجساد والنفوس . فالقربان يدعى في السريانية « ܣܡܐ ܕܚܝܐ » = دواء الحياة لهذا تصرخ اليه الكنيسة قائلة : « ارسل الينا من كنزك دواء الحياة الشافي كلوم انفسنا واجسادنا »[٥] . فباتحادنا القلبي مع المسيح نأخذ لنا غذاء ودواء يقوّي حياتنا الروحية ضد كل امراض الخطيئة . وبما ان هذا السر موسوم بوسم الآلام الذي به غلب المسيح الشيطان ، فهو لا يزال يخيف الشياطين ويرعبهم فيولّون هاربين .

---

١) الجمعة الساعة السادسة [illegible] .
٢) ستار الجمعة النشيد البيت الرابع .
٣) ليل الجمعة القومة الثالثة الباعوث .
٤) ليل الاربعاء القومة الثالثة [illegible] .
٥) صباح الخميس الصلاة التي قبل النشيد الثالث .

ومن تصفح الفرض الماروني خبر ان المسيح قد خلّص العالم من قيود الشيطان والخطيئة وحرره من اكبالها وبهذا فتحت بوجهه ابواب السماء بعد ان اغلقت ، وغلب الموت فلا قيام له بعد الآن فالقديس بولس يقول : « اين شوكتك واين غلبتك يا جحيم » . ولكن القارئ يلمس ما احدثت الخطيئة في المركب الانساني من بلبلة وتشويش وكيف هدم الشيطان كل توازن في القوى الانسانية . أجل قد خلص ابن الكنيسة من عبودية الشيطان وسلطان الخطيئة ولكنه لا يزال ضعيفاً اذ كل شيء في العالم يستهويه : وكل وسوسة شيطانية تغويه وتولد فيه شهوات كثيراً ما تكون جامحة تقلق مضجعه ، وتحرمه الراحة ، وترجعه الى ما كان عليه نوعاً ما قبل مجيء المخلص . وليس باستطاعته وحيداً ان يصمد في وجهها لهذا هو ينظر الى سيده وربه طالباً اليه « ان ينجيه ، بحق جسده الذي اكله ، من الشهوة القبيحة فيرقد وينام بالراحة ، وليكن دمه الاطهر له حارساً » . ويستحلفه « بحق ذبيحته عن الجميع ان يبعد الشيطان حتى لا يضره »[١] وما طلبته هذه الا لايمانه بقوة القربان « الذي وضعه فينا ، يسوع ابن الملك ، آية حياة اذا رآها العدو هرب منها »[٢] . وفي هذا يقول القديس يوحنا فم الذهب : « اننا ونحن عائدون من مائدة الخلاص نشبه اسداً تزفر لهيباً فتخيف الشياطين » .

هنا ينتهي بنا المطاف مع عمل القربان السلبي في بناء الكنيسة . هذا اذا امكننا قول ذلك لأن عمل القربان هو عمل دائم ، عمل كل ثانية وكل دقيقة من حياتنا . اذ لولا حياة المسيح الطهور فينا لجرّنا ثقل خطايانا حتماً الى لجة الموت : وما كان لطبيعتنا الخاطئة الجريح هذا التجدد الدائم في حياتها الروحية والالهية فلهذا ترفع الكنيسة التسبيح والمجد ... للمخلص الذي جعل صليبه سوراً منيعاً لرعيته ، وسلّمه ترس نجاة الى بني ميراثه ، ورفع به رأس رعيته ، وحفظ به قطيع خرافه . ولا تتوقف هنا بل تصرخ : « مباركة يا خشبة الحياة ايها الصليب المقدس مانح الخلاص للعالم . انت انت الراية المنقذة من وجه السهام ، وانت علامة الظفر في القتال . بك يكون لنا السلام ، وتفتخر الكنيسة ويصان بنوها ، وتتقدس اجسادنا ، وتزدهي ارواحنا وتمحى خطايانا »[٣] . وفي هذا المعنى يقول القديس افرام : « انحدر دواء الحياة من الأعالي وامتزج

---

١) ستار الاحد ܚܘܠܠܐ .
٢) صباح الخميس النشيد الثالث ܥܢܝܢܐ .
٣) الجمعة الساعة السادسة ܦܪܘܡܝܘܢ .

بالجسد : الثمرة المائتة » ؛ وايضاً : « اعطى الخبز للمائت انما كان الخبز دواء الحياة »[١] .

دور القربان الايجابي : بناء الكنيسة

لقد بالغنا في قسمة دور القربان الى طورين . فالقربان حياة وتقسيم الحياة على المنوال الذي عملنا هو ايقاف كل حيوية وقتلها . ولكننا متيقنون ان من يقرأ هذا البحث يعلم جيداً ان دور القربان واحد : والحياة واحدة تعمل سلبياً وتعمل ايجابياً في آن واحد . فالحياة الالهية التي غفرت خطايا : ومحت ذنوباً فبيضت ما كان وسخاً ، وأحيت ما كان ميتاً ، وأشفت ما كان مكلوماً ، واقتلعت من القلوب كل نزعة الى التفرقة والبغض والانانية هي ذاتها ستكون غذاء للكنيسة يسير بها نحو الحياة الأبدية ، وروابط وحدة بين المسيحيين بل قل مع العالم اجمع : وعامل محبة وتضحية في سبيل الغير .

فما تقدم تظهر لنا الكنيسة وكأنها اصبحت قديرة بعد تطهيرها وشفائها من امراضها ونجاتها من كل شهوة شيطانية على السير قدماً نحو الغاية التي لأجلها وجدت . وان تقوم خير قيام بمهام الرسالة التي اليها وكلت ، وعلى عواتقها وضعت . انما الحقيقة والواقع يغايران الظاهر . الكنيسة هي الآن اشبه ما تكون بمريض اشفته عناية الطبيب ، واعادت اليه صحته عقاقيره : وضمدت جروحه بلاسمه وضماداته ولكنه لا يزال بحاجة الى تغذية لينتقل من طور النقاهة هذا الى طور العمل البنّاء . ان الكنيسة بحاجة الى غذاء .

القربان غذاء روحي

ففي الخطاب الذي القاه بعد اعجوبة « تكثير الخبز » يشدد السيد المسيح على انه هو ، هو ذاته ، خبز الحياة . قال لليهود : « انا خبز الحياة . آباؤكم اكلوا المنّ في البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكي لا يموت من يأكل منه ؛ ان أكل احد من هذا الخبز يحيا الى الأبد والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم . فجسدي هو مأكل حقيقي » . ولقد قال توما اللاهوتي : «ان كل ما يعمله الغذاء للحياة الجسدية ، يعمله هذا السر للحياة الفائقة الطبيعة . فهو يحفظها وينميها وينعشها ويلذّذها »[٢] .

---

١) لامي الاول ص ١٥٥ / ٤ ؛ ٦٠٣ / ٩ .

٢) الخلاصة اللاهوتية : الثالثة السؤال ٧٩ الفقرة الاولى III,q,79, a,1. .

امّا كيف يحفظ القربان ، الغذاء الروحي ، حياة الكنيسة فهذا ما برهنّا عنه في القسم الأول . فيما يلي سنرى كيف انه ينمي هذه الحياة ويحييها .

القربان غذاء روحي للكنيسة لأن المسيح وهبها جسده مأكلاً ودمه مشرباً روحياً . وفي هذا « تبارك من ذبح نفسه لأجلها ومنحها جسده مأكلاً ودمه مشرباً روحياً »[١] .

ومن طبيعة الغذاء انه لا يحفظ من الضعف والتلاشي فقط بل يزيد حيوية وقوة واندفاعاً . ومن خواص الطبيعة الالهية التي اخذناها بالعماد التطور والنمو. ولقد بلغ اعتقاد الكنيسة المارونية في ذلك شأواً فأعطت القربان نعوتاً تطلق عادة على الغذاء الأكثر فاعلية في نمو الطبيعة الانسانية . « فهو مرعىً خصب دسم ومشرب لا يعطش شاربوه ، وهو نار وهو روح » . ومن طبيعة هذه النعوت « دسم ، نار، روح » انها تحوي على طاقات حرارية روحية اذا ما تفجرت احدثت العجائب . والقربان لم يذبح الاّ ليعطي الانسان مثل هذه القوى بل واكثر بما لا يُقدَّر اذ ان عطية الله ذو قوة لا متناهية . فالمسيح بذبحه : « وضع امام كنيسته مرعىً خصباً دسمًا ومزج بمحفلها مشرباً لا يعطش شاربوه فما علينا اذًا الاّ ان تتقدم فتأكل في الخبز نارًا وتشرب في الخمر روحاً »[٢] .

وغاية هذه العطية هي ان تنمي فينا القوى الالهية فنصل بفضلها الى اسمى ذرى الكمال الروحي ونتّحد بالله. فالكنيسة تأكل جسد الرب «وتشرب دمه حتى تتزين بالنار والروح وتدخل معه الى الملكوت » . وغاية الكنيسة هي الاتحاد الكلي بالله كمال الكائن البشري وغايته القصوى . ودور الافخارستيا هو ان يقودنا اليه تعالى . وذلك يحدث عند ما نأخذ يسوع بالمناولة عربون حياة ابدية ، و « عربون نعيم دائم » فيعطينا قوة تساعدنا لنصعد طريق الجلجلة التي تؤدي بالمسيحي الى المجد السماوي .

ولقد حسنت تسمية القربان « بزاد أخير » او « زاد السفر »[٣] او « زاد البركات »[٤] . فمن المعلوم ان للزاد قيمة اذا ما ابتعد الانسان عن بيته وخاصة اذا كانت غايته القيام بسفرة طويلة . ولقد فهم الموارنة قيمة الزاد الروحي كما

١) ستار الأحد النشيد ܡܘܒ .
٢) ستار الاحد النشيد ܐܡܪ .
٣) صلاة شكر في القداس الماروني — جناز الرجال اللحن الثاني .
٤) مساء السبت ܦܪܘܣܡܘܢ .

فهمته الكنيسة . يخبر المطران جبرائيل الصهيوني (١٦٥٨) انه من عادة الموارنة حتى القرن الثالث عشر ان من يذهب منهم في سفر خطر او الى حرب كان يحمل معه القربان كزاد »[١] ؛ ولمّا كانوا لا يجهلون ما للقربان كغذاء من مفعول في تجديد القوى التي نخسرها يومياً راح كهنتهم « يحتفلون بسر جسده ودمه ويرون القطيع كل يوم بالايمان موارد كأس الحياة والخلاص » . حياة جديدة تجدد ما عتق وتخلص الكنيسة ممّا علق بها من خطايا عرضية قد تعيق سيرها نحو الأبدية . أليس في هذا المعنى ما يقوله المجمع التريدنتيني : « تحسن المناولة غالباً وكل يوم اذا امكن » .

ويستقي الفرض الماروني ما اتى فيه من تقليد الكنيسة الجامعة فترتيليانوس « Tertullien » يقول : « ان جسد المسيح يغذي جسد الذي يتناوله »[٢] . ويقول القديس يوحنا فم الذهب : « اعطانا جسده لنمسكه ونأكله ، يا للحب اللامتناهي ... لقد اعطانا جسده ليشبعنا بمحبته »[٣] . ويقول افرام السرياني بلسان السيد المسيح : « اعطيكم خبز الحياة »[٤] .

وانه لمن الطبيعي ان يترك لنا المسيح هذا الغذاء الروحي عربون محبته . لأن غاية تجسده وافتدائه البشرية الخاطئة انما كانت ليشرك الانسان في الطبيعة الالهية (٢ بطرس ١/٤) . وما هو مسلم به ان بذار الحياة الالهية التي وضعها المسيح في الانسان تحتاج الى غذاء يتلائم مع ذات جوهرها وذلك لحفظها وانمائها وازدهارها . وهذا ما دفع بيسوع فوضع سر جسده ودمه ؛ وهذا ما حدا به ان يلحّ شديد الالحاح في ان يتغذّى الجميع من هذا الطعام الالهي . وعلى هذا الدستور وهذه الشريعة نهج الكهنة في الكنيسة من عهد الرسل حتى الآن . وهذا سيدوم ما دام وجود وذلك حتى يظل القربان مصدر قوة في العالم تؤتي طاقات البطولة في مختلف ميادين الفضيلة والقداسة ، البذل والعطاء .

وهكذا يفيد ابناء الكنيسة بتقربهم من المناولات العديدة اليومية عن اهلية واستحقاق : اي وهُم بحال النعمة ؛ قوى لا متناهية تساعدهم على تفهم اقوى وجدانية للمسيح ومحبته محبة اشد : « لأن القربان لا ينفع من كان بعيداً

١) Hanssens, *Institutiones liturgicæ de ritibus orientalibus*, t. II, p. 500, II, Rome, 1930.

٢) ترتليانوس : في قيامة الأجساد *De Resurrectione Carnis*, 8.

٣) في الرسالة الاولى الى الكورنثيين العظة ٢٤/٤ In I. Cor. hom., XX IV,4.

٤) لامي الأول ص. ٣٧٩ الفقرة ١٤/٦ .

عن ابن الله »[١] بل من عاش معه واحبه . عندئذ يبتعد المؤمنون عن مائدة الخلاص وقد اخذوا لنفوسهم دافعاً للمحبة حاسين بتجدد في حياتهم الداخلية .

وهذا التجدد الداخلي ، والمحبة الجياشة الفياضة « لأن القربان هو سر المحبة والسر الذي يعطي المحبة » — حسب القديس توما اللاهوتي — يفتحان عيون المسيحي الداخلية فيرى عظم محبة المسيح للجنس البشري ؛ فيرى جسد الرب ودمه مفصولين على المذبح كما على الجلجلة ، ويفهم عندئذ ان المسيح لم يمت عن البشرية بنوع غامض بل مات لأجل كل انسان في اي عصر وجد وفي اي بلد كان ولهذا هو يقدم ذاته كل صباح لكل النفوس كما لو ان كل واحدة منها كانت بنوع خاص موضوع محبته الوحيد . وهكذا يتمكن كل مؤمن ان يردد مع القديس بولس: « احبني وبذل نفسه دوني » فأتناوله كطعام حتى انه كما اصبح واحداً مع الخبز الذي آكل ، اغدو واحداً مع المسيح . وهنا بلغ الحب ذروته وهل اسمى منه واروع ؟

القربان غذاء للشهادة

لكن لا يلبث المسيحي الذي يتناول بتقوى جسد الرب ويفقه نبل محبته لبني البشر ان يبادل المحبة بمحبة . فوجود المسيح بكل طاقاته الالهية والانسانية في قلب الانسان ليس وجوداً سلبياً ميتاً بل هو وجود كله حيوية . الم يقل السيد : « اني جئت لألقي ناراً على الأرض ولا اريد الا اضطرامها »[٢] . ويأتي الى قلوبنا ايضاً ليلقي فيها ناراً لا تلبث ان تحدث حريقاً يجعلنا نلهب في محبته . ولقد كان القديس منصور دي پول يقول : « الا تحسوا ايها الاخوة بالنار الالهية تضطرم في صدوركم عند ما تتناولون جسد الرب» ؟

وفي القرض الماروني نرى الشهداء كأناس امتلأوا من محبة الابن ففقهوا هذه المحبة : عرفوا انه الوحيد الذي قدر ان يقدم الذبيحة للعدل الالهي وليست اية ذبيحة بل جسده ودمه ؛ ورأوا انه لولا محبته لكانت البشرية تئن تحت وقر الخطيئة وانى لها ان تخلص لولاه ! ومن جهة ثانية فهموا ان المسيح لا يزال يطلب ان يكون في كل العصور ذبائح تقدم ذاتها مثله عوضاً عن المجموع . مروره وسط العالم كان عابراً فوجب ان يوجد من يكمل عمله . « الشهداء وهم

١) ليل الأحد القومة الثالثة ، حدها لامي الثالث ص ٢٣٩ .
٢) لوقا ١٢ /٤٩ ؛ حدها .

الحملان البررة والودعاء، تأملوا بالحمل الالهي الذي صار ذبيحة فصاروا لأجله ذبائح وقد تلهبوا بنار محبة الله »[١] .

في البدء كانت الكنيسة تطلب من القربان ان يكون لها ترساً يقيها شر الخطيئة ويساعدها ان تصمد قوية في وجه كل الشهوات التي تعترض فينا سيول المحبة التي نبعت من اعالي الجلجلة . ولكن بعد أن أمنت شرّ الشيطان ومكايده اتيح لها ان تتجه نحو الكمال وان تصعد درجاته بكل حرية مجتهدة ان تعمل اعمالاً ايجابية في هذا المضمار. لقد وصلت الآن الى درجة ترغب فيها ان تموت لتحيا مع المسيح وهذه اسمى الذرى الروحانية التي تتحد بها النفس بالله اتحاداً وثيقاً ولقد قال السيد المسيح: « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه » .

ولقد مرّ الشهداء في هذه الدرجات، هم ايضاً ناضلوا في سبيل الحصول على الكمال المسيحي تدفعهم القوة القربانية الكامنة فيهم ولمّا وصلوا الى درجة سامية يغذيهم القربان راحوا يقدمون ذواتهم ليغذّوا بدورهم الكنيسة ويزينوا تاجها بحجارة كريمة جديدة . فالمناولة قد وحّدت نوعاً بين ابناء الكنيسة وبين المسيح « لأن جسد المسيح ودمه امتزجا بأعضائهم فوحّد الرب لاهوته بناسوتهم، وناسوتهم بلاهوته : حيويته وميتوتهم : اخذ ما لهم ووهبهم ما له »[٢] وكأن نفسه قد غدت نفوسهم فتسيّر سلوكهم ، فغدا همهم الأول ان يرضوه في كل ما يصبو اليه ومن هنا كانت نقطة الانطلاق والتحول في حياتهم فهم ليسوا كما كانوا . من الآن وصاعداً هم يقاسمونه افكاره ويعتنقون رغائبه وارادته ورغبتهم الأولى هي تحقيقها لأنهم « ليسوا هم الذين يحيون بل المسيح يحيا فيهم ». وهكذا يدفعهم الى الكفر بذواتهم ونسيانها ، والى التضحية بأنانيتهم وذبحها لا يفكرون الاّ بالسيد ، ولا يعيشون الاّ له . ويا لسعدهم اذا ساهموا في تتميم ما لأجله اتى الى العالم .

وكيف لا وهم قد شربوا من الخمرة التي اريقت على الصليب فسكرت عقولهم وشاهدوا السيوف والنار المخيفة بأم العين وما ارتعدوا لأن نار محبة الابن الاله توقّدت في اذهانهم »[٣] .

وهكذا يظهر لنا القربان وقد لعب دورين في حياة الشهداء.والجملة التي

١) ليل السبت القومة الثانية حدهـا .

٢) القداس الماروني قبل مناولة الكاهن .

٣) مساء الجمعة النشيد الاول حعحسا .

سبقت هي شبه ملخّص لعمل القربان في المسيحي. فما اقدام الشهداء ونكرانهم لذواتهم مفضلين الموت في محبة المسيح على الحياة بدونه ، وما احتقارهم العذابات الشديدة المتنوعة والهزء بها ، والاسراع الى دخول الجهاد وابغاضهم لشهوة العالم الزائل وشجبهم لابليس ؛ وانتصارهم عليه سوى نتيجة لارتوائهم من تلك الخمرة التي عصرها اليهود على الصليب ، وشربهم منها حتى السكر . هي نار شعت في داخلهم فحوّلت كيانهم وادّت بهم الى ما رأينا : بغض للحياة الزائلة ، وتغلب على الشيطان ، واسراع الى الموت . والاستشهادات عديدة في الفرض الماروني والافكار ذاتها ترد نوعاً ما كل يوم من ايام الاسبوع[١] .

«من الخمرة التي عصرها اليهود على رأس الصليب شرب الشهداء ولم يخافوا بل اسرعوا فدخلوا الجهاد وتغلبوا على كل الضيقات»[٢] وما هذا الا لأنهم ارتووا من هذه الخمرة « فظفروا بحربهم وجهادهم وشجبوا الأبالس وانتصروا»[٣] . وفي الفرض يُذكر « ان شهادتهم هي تشبّه بشهادة رئيسهم الذي اهرق دمه وارواهم فاستهانوا الأعذبة المرة وتخروا بها »[٤] . يقول القديس قبريـــانوس « ان الذين نعدهم ونحثّهم للجهاد يلزمهم اسلحة وثياباً تقيهم من سهام العدو. فجسد الرب ودمه يحفظانهم ، اذ يجب ان يكون القربان ترساً للذين يأخذونه والذين نريد ان يصمدوا في الجهاد . فكيف نعلمهم ونحثّهم ان يهرقوا دماءهم مقتدين بالمسيح ، اذا كنّا نرفض اعطاءهم جسد الرب ؟ كيف يمكنهم ان يشربوا من كأس الشهادة اذا كنّا لا نقبلهم يشربون في الكنيسة كأس المسيح »[٥] .

هكذا غدا الشهداء في كل الكنائس «كأشجار الفردوس الشهية حتى انه كما الاشجار تعطي الأثمار في هذا العالم الزائل كذلك يعطي الشهداء الاسعافات من القوة التي حلّت بأعضائهم »[٦] . قال ترتيليانوس : « ان دماء الشهداء هي بذار خيّر للمسيحية ». والكنيسة المارونية لا تكتفي بهذا بل هي ترى ان خطيبة المسيح قد تشيّدت على تضحياتهم ؛ « هم حجارة كريمة

١) للشهداء فرض خاص بهم في صلاة الليل لكل نهار . القومة الثانية . هذا عدا المرات الكثيرة التي يؤتى بها على ذكرهم . مثلاً القطعة الثانية من باعوث القومة الرابعة هي دوماً للشهداء .

٢) الجمعة الساعة السادسة ܩܘܠܐ .

٣) ليل السبت القومة الثانية ܩܢܘܢܐ .

٤) ليل السبت القومة الثانية ܩܢܘܢܐ .

٥) Cyprien, *Epist.* LVII,2, ainsi dans *Ebcharistia*, p. 58.

٦) ليل الأحد القومة الثانية ܩܘܠܐ .

جعلها البنّاء في اساس كنيسته »[١] « وعظامهم موضوعة فيها كنوز حياة منها يجري غنى المحتاجين »[٢].

ولا نستغرب هذه الأقوال: أما شيدت الكنيسة معابدها: حيث وجدت: على عظام الشهداء. أما قدمت الذبائح على قبور الشهداء وحتى الآن عندما تبنى كنيسة جديدة ألا توضع في المذبح عظام الشهداء؟ وكأني بالكنيسة تريد ان تبرهن بهذا عن الاتحاد الوثيق الذي وصل اليه الشهداء مع المسيح فخصصت لهم المذبح الذي منه تأتينا كل النعم « من الآن وصاعداً اكون مذبحاً وذبيحة وغفراناً » يقول القديس افرام بلسان السيد المسيح.

وهذا الاكرام يليق حقاً بالشهداء. لأنهم بتضحياتهم، التي هي عطية الانسان الكاملة لله، جاوبوا خير جواب على معنى الافخارستيا الذي هو عطية الله الكاملة للانسان. وزيادة عن النعم التي يشتركون في اعطائها العالم هم لنا علامة الاتحاد الوثيق بالله وعربون له لأن القربان هو في اصل هذا الاتحاد والباعث اليه. تصلي الكنيسة اللاتينية هكذا: « نقدم اليك ايها الرب الاله هذه الذبيحـــة التي كانت المصدر الحقيقي لاستشهاد محبيك حتى نكرم موتهم »[٣].

القربان رباط المحبة

القربان غذاء والشهداء يمدوننا من القوة التي غذتهم وهكذا يصبح بمقدار الكنيسة ان تمشي اكثر قوة تنكر بالله ولا تنكر الاّ به. واذا اتجه الاخوة نحو بعضهم بعضاً واذا ما اعاروا الآخرين انتباهاً فما ذلك الاّ محبة بالمسيح الذي هو « رباط المحبة وعلامة الوحدة » كما يقول القديس اغوسطينوس.

امّا وقد وصل ابن الكنيسة الى هذه الحالة فامتلأ من سر المحبة وعبر عن امتلائه بمحبته لله حتى بذل النفس فلا يمكنه ان يتوقف عند هذا الحد بل انما محبته تشع في الاتجاه الثاني اي ان محبة الله لا تنسيه محبة اخيه الانسان وكيف هذا والله محبة؟ اتلتمس المحبة ما هو لها كما يفعل الأناني؟ ألا يعلمنا القديس يوحنا: « ان قال احد اني احب الله وهو مبغض لأخيه فهو كاذب لأن من لا يحب اخاه الذي يراه فكيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه »؟ (يوحنا ٤/٢٠).

١) الساعة التاسعة من نهار الأربعاء ههسا.
٢) ليل الخميس القومة الرابعة ههسا.
٣) Secrète de la IV^e Férie après le 3^e dimanche de Carême.

ان في الفرض الماروني اكثر من نص يدلنا على ان القربان هو « رباط المحبة » . ان هذا التعبير موجود في السريانية فيقال في القربان انه « ܐܣܪܐ ܕܚܘܒܐ » « رباط المحبة » ؛ ولذا عندما تطلب الكنيسة تقول : « امنحنا ازمنة السلام وخصب الصالحات واربطنا برباط محبتك ومحبة بعضنا بعضاً »[١] .. وهناك تعبير ثان في نعت القربان . فهو « نار محبة الابن » وقد رأينا ما كان مفعول هذه النار في قلوب ابناء الكنيسة فراح الكثيرون منهم يردون على هذه المحبة بالمحبة ورأينا خاصة كيف وجدت لها في قلوب الشهداء مسالك طيّبة فكانت مقابلة المحبة بالمحبة قوية سامية ؛ وهل من شخص طالب بالمحبة حتى التلاشي فنالها بالقدر الذي طالب بها المسيح وحظي عليها ؟ فهذه النار ايضاً الهبت القلوب كل القلوب حتى ما عادت تكتفي ان تبشر بها « لنحب بعضنا بعضاً محبة كاملة لا انقسام فيها شأن التلاميذ المجاهدين »[٢] بل راحت تطلب من السيد ان يُنيلها هذه النعمة نعمة اظهار المحبة في الأعمال . فهي لا تريد ان تنعم وحدها بل تطلبها للجميع فهي ترجو السلام للعالم ؛ وازدهار الوطن والمدينة ؛ والدير . وتصلي للمرضى ؛ والأرامل واليتامى ؛ المسافرين ؛ الفقراء ؛ ولا تنسى انفس الراقدين فتطلب لهم الرحمة وغفران الخطايا ، وحياة هادئـة ؛ وآخرة صالحة ... »[٣] . وعلى سبيل المثال نورد هذه الصلاة : « ليكن ايها الرب الاله الأمان لبيتك ؛ والسلام لأديرتك ، والشفاء لرعيتك ؛ احفظ كهنتك بحنانك ليخدموا قدامك بالبر . اغفر للخطـأة فيرجعوا اليك . اقبل التائبين بعذوبتك ؛ اغن الاغنياء بالصدقات ؛ عُلْ المساكين بحنانك ؛ قت الأرامل بنعمتك ؛ ربّ اليتامى بمحبتك ؛ اعضد الشيوخ بحنوك ؛ احفظ الشبان بصليبك ؛ اجمع المشتتين لحظيرتك ؛ ارجع الضالين لمعرفتك ؛ بارك الأبرار بعطفك ؛ ثبت البتولين بارادتك ؛ احفظ المتزوجين بالنقاوة ... »[٤] .

ففي هذا كفاية حتى يظهر لنا الافخارستيا كسرّ محبة . نعم ان كل سر من اسرار الكنيسة يقوي فينا محبة بعضنا بعضاً . ولكن هذه الفضيلة تبلغ شأوها واقصى حدودها مع الافخارستيا . هو المسيح يعمل فينا ويجعل في كياننا تحويلاً ؛ والمسيح هو المحبة بالذات . فهو لا يخلص نفسنا فقط من كل الأهواء

١) ليل الاثنين القومة الأولى فروميون .
٢) مساء الأحد النشيد الثاني ܥܢܝܢܐ .
٣) هذه هي العناصر التي تكون الصلاة الجامعة بل الصلوات التي لا يخلو منها فرض من فروض الشحيمة .
٤) الثلاثاء الساعة الثانية ܣܕܪܐ .

والعواصف التي تعيق فينا سبيل المحبة بل انما يقلقل اعماق كياننا النفسي موجهاً نفسنا نحو اعمال محبة ايجابية كإعطاء الذات وتضحيتها . كيف لا تكون هذه حالة من تناول المسيح بقلب محب ؟ كيف لا تكون له هذه شواعره واحساساته وقد امتزجت هذه بشواعر المسيح واحساساته النبيلة فرفعتها : الا يقول الكاهن : « انك امتزجت بنا ونحن امتزجنا بك »[١] .

القربان علامة الوحدة

ان القديس بولس يعلمنا ما معنى ان المسيح امتلكنا . فنحن لا نتمكن ان نحبه الا ان نحب من يحب ولا يجذبنا اليه الا ونتجه بكليتنا نحو اخواننا . فلا يمكننا ان نفصل بين المسيح والآب الذي هو محبة ولا بين المسيح واعضاء جسده . فالافخارستيا والمحبة وحدة لا تتجزأ .

هذه المحبة التي هي « تمام الناموس » و « رباط الكمال » تصهر العناصر التي تؤلف الكنيسة على اختلافها في بوتقة الحب الواحد وجمع الأعضاء في جسد واحد ، وتهدم الحدود التي اقامتها الأنانيات الفردية والاجتماعية . « فثمة ليس بعد يوناني ولا يهودي ولا ختان ولا قلف ، ولا اعجمي ، ولا اسكوتي ، ولا عبد ولا حر ، بل المسيح ، الذي هو كل شيء وفي كل شيء »[٢] .

وهكذا نجـــد ان القربان هو « علامة الوحدة » كما هو « رباط المحبة » . وفي الحقيقة عمل القربان واحد . فهو في آن واحد يربطنا برباط محبته ويمنطقنا بمنطقة وحدته . فالمحبة تجمع وتوحد القلوب كما ان الوحدة هي مصدر محبة بين اعضاء الجسد الواحد . واننا نجد في الفرض الماروني صلاة يطلب فيها الكاهن من الله « ان يربطنا برباط محبته ومحبة بعضنا بعضاً » ، ثم يطلب منه « ان يمنطقنا بمنطقة الايمان الواحد ويوحد بعضنا للبعض الآخر »[٣] .

فمن هو مبدأ الوحدة هذه « سوى حمل الله الحي الذي تكلم من على الصليب وعلى صوته اللذيذ والشهي تجمعت الشعوب حوله وقد كانت متبددة في عبادة الأصنام ، والمسك المختار الذي وضع على منارة الصليب ففاحت جميع البرايا مسرعة للتلذذ باستنشاق طيبه » . فأسرعت هذه الشعوب والبرايا

١) مساء الخميس الصلاة التي تلي النشيد الأول .
٢) كولسي ٣ /١١ .
٣) ليل الاثنين القومة الاولى فروميون .

ووجدت مَن وحّد بينها وجمعها حوله ، وجدت المسيح « الذي كسر جسده واطعمها »[١] .

فدعوة المسيح لجميع الشعوب واتكاؤهم على مائدته الخلاصية الواحدة وتقديمه لهم جسده الواحد لا بدّ من ان يخلق بينهم رابطاً يوحدهم . لأن الخبز واحد فالجماعة التي تشترك فيه واحدة . فالمسيحيون يشكلون وحدة روحية لأن جسد المسيح الحي هو خبز الكنيسة الواحد الذي يأخذنا كلنا اليه . وبما اننا نحيا كلنا من حياة واحدة لهذا لا نؤلف الا كائناً واحداً حياً . فلقد قال المسيح « كما ارسلني الآب الحي وانا احيا بالآب الذي يأكلني يحيا هو ايضاً بي »[٢] .

وفي الفرض الماروني يظهر من طلبات الكنيسة السلبية ان القربان هو « علامة الوحدة » . انها تطلب من القربان ان يجعل الأمان سائداً في اربع اقطار العالم وان يزيل منها الخصومات والانشقاقات والشكوك الرديئة وان يقيم فيها رعاة يسوسونها بحسب مرضاته ويحمون بنيها في حضنها بالايمان الحق . « وان يكون صليبه حافظاً لرعاتها فيجمعوا به القطيع نحو والده »[٣] ولعل اقوى وادل على هذه الوحدة من كلمات الكاهن قبل المناولة وذلك بعد ان يكون رشّ من الدم على الجسد ومزج الجسد بالدم ؟ « وحّدت يا رب لاهوتك وناسوتنا وناسوتنا ولاهوتك : وحيويتك وميتوتنا ، وميتوتنا وحيويتك ، اخذت ما لنا ووهبتنا ما لك » . ففي هذه الكلمات معنى يدل على الجماعة الواحدة التي وحدها السر الالهي وما رش الجسد بالدم وطرحه في الكأس الا رمز لاتحاد الرأس بالاعضاء من رؤساء وكهنة وشمامسة ومؤمنين . وقديماً كانت الكسر المقدسة الممزوجة بالدم ترسل للتائبين حتى يتيقن الجميع انهم واحد مع المجتمعين للذبيحة رغم بعدهم عنهم .

من ثمار الوحدة : المحبة الشاملة

ولا عجب اذا فكرت الكنيسة وقت الذبيحة بالغائبين من ابنائها بعد الذي يظهر لنا من صلاتها الشاملة في الشحيمة . فهي تطلب الأمان ليحل في ديارها وبين محبيها . وتتضرع حتى يخيم ايضاً على العالم اجمع « ليحل امانك يا رب في اربعة اقطار العالم » وامن يا رب اقاصي المسكونة ولاش

---

١) الثلاثاء الساعة السادسة ܩܘܪܒܢ .

٢) يوحنا ٦ /٥٨ .

٣) ستار الاحد النشيد .

الحروب والخصومات من كل الخليقة »[١] هذه هي صلاة الكنيسة . «فالمسيح خلص الجميع بدمه »[٢] والعهد الجديد الذي اخذه على نفسه تجاه ابيه انما كان ليخلص الشعوب كلها « ارسل ابن الله من جبل الزيتون العهد الجديد للشعوب التي خلصها بصليبه »[٣] . فالمسيح جاء يقدم نفسه فداء عن البشرية الخاطئة فحملها كلها في قلبه « واهرق عن كل شخص من افرادها نقطة دم معينة » كما قال بسكال .

وكأني بالصليب « منهل الدم العظيم والشهير الذي فاض على الجلجلة في متوسط الارض »[٤] لا يزال مركزاً حتى الآن في وسط الأرض منذ ليلة العشاء السري شجرة خلاص ابدية اذ قال المسيح « اصنعوا هذا لذكري » . وهو لا يبرح يعطي العوالم قوة آلامه وموته وقيامته اذ عندما يقدم الكاهن الذبيحة الالهية يجدد المسيح عندها مفاعيل ذبيحة الصليب اللامتناهية . وهكذا يتابع عمله الخلاصي طالما ان الذبيحة تصنع نذكره . ألم يقل ايضاً : « من اجلكم ومن اجل كثيرين يهراق هذا الدم » .

اما كيفما تعم الفائدة العالم كله فهذا سؤال لا جواب له في الشحيمة . ولكن البطريرك الدويهي يقول : ان القربان يفيد الجميع بصفته سر وذبيحة . فمن حيث هو سر يفيد الذين يتناولونه : ومن حيث هو ذبيحة فيفيد العالم أجمع « ان جسد الرب يفيد كذبيحة الذين يقدم عنهم . وهذا السر يفضل جميع الاسرار لأنه يحوي النعمة ورب النعمة . وكما ان الرب بموته على الصليب منح الغفران كفوءًا لجميع الناس كذلك اعطانا جسده في القربان وامرنا ان نقدسه لذكرى موته حتى يكون فاعل الغفران في كل واحد منا يتناوله او يقدم من اجله » .[٥] وهذا مـــا يعنيه اللاهوتي الأب « De la Taille » عندما يقول : ان القربان ، السر والذبيحة . والسر لأنه ذبيحة يكمل الخلق الأبدي وذلك بامتداده عبر انسانية الابن الى الاعضاء الذين يكوّنون جسده الى الأبد »[٦] .

١) صباح الاربعاء الصلاة الرابعة .
٢) السبت الساعة السادسة حدهلا .
٣) ليل الاثنين القومة الرابعة النشيد البيت الخامس .
٤) ليل السبت القومة الثانية فنهمه .
٥) اسطفان الدويهي منارة الأقداس الجزء الثاني ص ٣٩٩
٦) الموسوعة القربانية الشعبية ١٩٤٧ ص ١٩٣ /٥ Eucharistia

وفي الفرض الماروني مقطع يدلنا على مفعول القربان الموضوع في العالم . وان لفيه نظرة الى المستقبل تدلنا كيف ان البشرية وكأن مساً اصابها تهرع الى المسيح وتربض عند اقدامه اذ به وحده يجد الانسان غايته القصوى . وكأني بالبشرية ممسكة بالصليب ، ناظرة الى المصلوب وقد اعياها التعب المضنك والتفتيش الممل مرددة كلام السامرية «اعطني يا رب من هذا الماء فلا اعطش» (يو ٤/١٥) وآخذة لها كلام القديس بطرس : « الى مَن نذهب يا رب ؟ وعندك كلام الحياة الأبدية (يو ٦/٦٩) وهذا هو النص الماروني « ايها المسك المختار الذي وضع على منارة الصليب فوافت جميع البرايا مسرعة للتلذذ باستنشاق طيبه : يا ابن الملك البهي والمجد الذي احنى السماوات وانحدر لأجل خلاص اولاد آدم ؛ يا حمل الله الحي الذي تكلم مرح على الصليب وعلى صوته اللذيذ والشهي تجمعت الشعوب حوله وقد كانت متبددة في عبادة الأصنام ففتح امامهم باب العماد وبالمياه النقية غسلهم وبررهم من ادناس الآثام . كسر جسده واطعمهم وبدمه الحي غفر خطاياهم وذنوبهم » . وفي مقطع آخر تظهر لنا البشرية في اوج فرحها وغبطتها لهذا رأت ان تشكر « المخلص الذي ابهجها اذ آمنت بصلبه » ولكن انّى لها وحدها ان تقوم باداء الشكر فراحت تصرخ وتنادي الكون باجمعه بمن فيه وما فيه من خلائق عاقلة وغير عاقلة حتى يشاركها بالتسبيح اذ الخلاص كان شاملاً ؛ والحياة عامة . فخلص الانسان وعادت اليه الحياة واعتق الكون معه . فليحول الآن انينه الى اناشيد وفي هذا يقول الذين آمنوا بالصليب « يا جميع الاحياء النـــاطقين ويا جميع الطبائع الغير الناطقة سبحوا الرب لأنه نزل من السماء ولبس جسداً وعلق على الصليب ومنح البشر حياة وخلاصاً . يا كنيسة الله جميعها ويا جميع من فيها من كهنة سبحوا الرب لأنه بقيامته فرح كنيسته وابهج جوقة التلاميذ ومنح البشر حياة وخلاصاً»[٣]

القربان عربون حياة ابدية

فيبدو لنا ممّا تقدم ان القربان مبدأ حياة لا يخلصنا من الموت فقط بل يجري في الجسد السري الحياة الالهية وهو مبدأ تغذية يغذي هذه الحياة . فدمه الثمين هو حياة ودفق حيوي على الصعيد الروحي يجري في عروق الاعضاء فيحفظ قواها الالهية ويجددها ويربطها برباط المحبة . ويظهر لنا انه تيّار لا يسيّر الكنيسة في الحياة الحاضرة فقط بل يرافقها الى الحياة الاخرى . ألم يقل

٣) ليل السبت القومة الرابعة النشيد .

المسيح في انجيله « من يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الأبدية وانا اقيمه في اليوم الاخير »[١].

وفي الفرض الماروني تتبين لنا هذه الفاعلية جليّة ؛ فالمسيح « جاءنا من مريم خبز الحياة اكله آدم وقام حياً من الموت »[٢] وآدم هنا هو كل انسان يتقدم من المناولة . « فالذين اكلوا جسده وشربوا دمه الطاهر يقومون من التراب وبه ينتفضون من الرميم وبه يتوشحون حلة المجد »[٣] . فيظهر من النص ان القربان هو قوة تبعث المائتين من القبور وتلبسهم حلّة المجد الأبدية ؛ وتدوّن اسماءهم في سند ملكوت العلاء ؛ وتنقشها على مذبح العلاء المقدس وذلك بعد ان تكون انقذتهم من النار الجهنمية وفي هذا تصلي الكنيسة قائلة : «انقش يا ابن الله الحي على المذبح المقدس في العلاء اسماء الموتى الذين انتقلوا من ابناء الكنيسة . فان جسدك ودمك امتزجا باعضائهم فلتطفأ النار الجهنمية فلا تدنو منهم . فهلك يا رب وعد وقال : من يأكل جسدي ويشرب دمي هو فيَّ وانا فيه ويرث الملكوت »[٤] .

ولشدة ايمانها بقوة القربان الخلاصية لا تحجم في ان تعيّن لكل عضو من اعضاء الجسد متعته في الحياة الاخرى وذلك جزاء لما قامت بها هذه الاعضاء هنا من اعمال خلاصية فهي تلتفت الى المسيح وتقول له : « الأعين التي شاهدت مجدك هنا فلتشاهد هناك حنوّك العظيم . والآذان التي سمعت صوت اقوالك لا تسمعنّ يا رب اصوات الألم ؛ والافواه التي رتلت في الكنائس اهلّها يا رب لترتل المجد ؛ والالسن التي صرخت قدوس مرّنها على تمجيدك ؛ والايدي التي زيحت جسدك ودمك فلتأخذ منك غفران الذنوب ؛ والأرجل التي ترددت الى الهيكل اسلكها في طريق الحياة »[٥] . وهكذا يمكن لأبناء الكنيسة جميعهم « ان يلتقوه بوجوه سافرة ويستريحوا في مساكنه السماوية في منازل اللذات النيّرة وخاصة الذين تناولوه بأفواههم زاد البركات »[٦] .

وفي هذه تستقي الكنيسة ايضاً من التقليد الذي استقى منه الجميع فأتت

---

١) يو ٦/٥٥ .

٢) صباح الاربعاء النشيد الثاني البيت السابع .

٣) الثلاثاء الساعة السادسة ههسا .

٤) ليل الثلاثاء النشيد مسا .

٥) مساء الاربعاء السواغيت .

٦) مساء السبت فروميون نحو النصف .

صلاتها واعتقاداتها مطابقة لصلوات آباء الكنيسة وتعاليمهم فيرى القديس اغناطيوس الانطاكي في القربان دواء لعدم الموت وعربون حياة خالدة مع المسيح. والقديس اثناسيوس « قوة واقية وعربوناً للقيامة والحياة الابدية » وآباء نيقية « سر انبعاثنا » . والقربان هو « لأجسادنا قوة عدم فساد . ولقد قال لاون الثالث عشر في احدى رسائله عن القربان : « ان هذا السر العظيم هو سبب السعادة الخالدة وعربون المجد الابدي لنفوسنا واجسادنا ... ان اجسادنا الضعيفة الواهية تنتفض يوم القيامة بفضل القربانة الالهية . لأن جسد المسيح الغير المائت يزرع فينا بذار عدم الموت الذي ينبت لساعته ومن هنا تأتي للنفس والجسد نعمة المجد والخلود . وهذا علّمته الكنيسة دوماً معتمدة على كلام المسيح بالذات »[١] .

قال السيد المسيح: « بدوني لا يمكنكم ان تعملوا شيئاً » . وبالفعل ان رسالة الكنيسة صعبة بدون المسيح ، هذه الرسالة التي لأجلها اتخذ المسيح جسداً ترابياً ، والتي لأجل تسليمها كاملة تامة « صار الكلمة جسداً » . وليس من السهل يقدّر ان تتحمل الكنيسة اعباء هذه المهمة لو لم يكن المسيح معها . ومن هنا كانت ذبيحته اليومية حتى يغذي المؤمنين ويمدهم بامكانياته الالهية . لقد قال القديس توما : « ان المسيح يعطي كل واحد منّا بواسطة سر الافخارستيا ما اعطاه للعالم في سر تجسده وآلامه » .

فكما رأينا هي الافخارستيا التي ترافق الكنيسة في طريق صعودها نحو الله ، فهي الغذاء الذي يعطيها الحياة ويكملها والخبز اليومي « الذي ترد منه كل كل يوم موارد كأس الحياة والخلاص ، والزاد الذي تتناوله اذا ما جاعت في سفرها الطويل » . وهكذا يتمكن كل شخص ان يساهم في عمل خلاصه وخلاص البشرية . ويظل القربان غذاء يغذي كل مسيحي والكنيسة جمعاء الى ان يبلغ المسيح كماله في البشرية « لأجل بنيان جسد المسيح الى ان ننتهي جميعنا الى وحدة الايمان ومعرفة ابن الله الى انسان كامل الى مقدار قامة ملء المسيح »[٢] .

نعم ان للعوامل الانسانية دورها في تاريخ الكنيسة وفي بنيان جسد المسيح ولكن الذي يعمل خاصة في قيام البنيان وديمومة الكنيسة وبقائها هو عامل فائق

١) كذا في *Eucharistia* ص ١٩٥ .
٢) افس ٤ /١٢-١٣ .

الطبيعة ، عامل يخرج عن نطاق المقدرات الانسانية ألا وهو بقاء المسيح مع كنيسته : « أنــا معكم الى منتهى الدهر ... وابواب الجحيم لن تقوى عليها » . نعم ، المسيح هو مع كنيسته وهو معها خاصة بواسطة سر القربان . ولذا نتساءل اذا بطل القربان في العالم هل تدوم الكنيسة في الوجود؟ وهو معها بواسطة روحه القدوس « لأن الذي نزل هو الذي صعد ايضاً فوق السماوات ليملأ كل شيء »[١] . ولقد صعد لأن انطلاقه خيراً لنا لأنه لو لم ينطلق لم يأتنا المعزي »[٢] . وفي نهاية مطاف التاريخ يتسلم المسيح الخطية التي جملها بمواهب روحه القدوس . « والتي اشتراها بدمه الكريم »[٣] جميلة لا عيب فيها ، ثمرة حبه الذبيح .

المصادر

١١ العربية

منارة الأقداس مار اسطفان الدويهي ١٨٩٦

١٢ الفرنسية

J. Baudot, *Le Bréviaire*, Paris, 1929.

L. Duchesne, *Les origines du Culte Chrétien*, Paris, 1920, c. XVI.

H. de Lubac, *Méditations sur l'Eglise*, ch. IV, pp. 97-123, 1953.

K. Adam, *Le vrai visage du catholicisme*, pp. 263-267.

H. de Lubac, *Catholicisme*, pp. 57-83, 1952.

P. Battifol, *Etudes d'histoire : l'Eucharistie*, Paris, 1920.

Eucharistia, Encyclopédie populaire sur l'Eucharistie.

Saint Ephrem, *Hymnes et Sermoms*, Collection Lamy.

Ernest Mura, *Le Corps Mystique du Christ*, t. II, 1937.

André de Bovis, *L'Eglise et son mystère*, 1961.

Marie Joseph Nicolas, *L'Eucharistie*, Collect. Je sais. Je crois, 1959,

---

١) افس ٤/ ١٠ .

٢) يو ١٦/ ٧ .

٣) ليل الأحد القومة الرابعة النشيد .

الفوائد الطبية (تابع)

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

مرهم للحبوب المسرة

يُؤخذ قلفون ؛ وزيت ؛ وقليل من الشمع ؛ وشحم . تُغلى في اناء من نحاس لتحمرّ . ثم تُصفّى ويُرمى الجماش ؛ ويدهن في الشمس . وهو يفيد الورم ايضاً . ولكن اذا كانت اورام نارية ؛ يوضع فوق الدهون ورق اخضر ؛ عدا ورق التين والتوت .

وان اردت ان يختم الحبّ ؛ فضع مع الدهون شبّة بيضاء مشويّة .

واذا كانت الحبوب كبيرةً مثل طلي بلغم ، او فرخ احمدي ، او تفتيق العظام ؛ فضع مع هذا الدواء زيبقاً بعد ان تكون غليته ، ودقه دقاً بليغاً . ثم ادهن . وهو يمنع القمل ايضاً .

مرهم

يُؤخذ قطران وقلفونة ؛ وشمع ؛ وشحم فحل معزى. اجزاء سواء ؛ وتمرتينا : قدر نصف جزء من الاجزاء . وثقل الجميع زيت ؛ ويُغلى قليلاً في اناء من فخّار حتى يذوب . ثم يُصفّى في خرقة ويُستعمل . وهو نافع جداً .

للحب

يُؤخذ صبر [٣٠] اشقر ويؤكل منه كل يوم قدر فولة . ثم يؤكل بعده قدر فولة مستكي وذلك على الريق ، مدة ثمانية ايام .

او يُؤخذ مرسنك اصفر ، ومرسنك ازرق . ويدقّ جيداً في هاون من نحاس ؛ ويُسرهم بزيت في الهاون ذاته ويبقى فيه اربعة وعشرين ساعة . ثم يدهن منه الحبّ يبرأ ؛ وان لم يشف فتكون حبة كيّ .

اعلم انه يطلع (ينبت) للناس حبة شبه الخزازة . فهذه اذا كانت تحت بزّ (ثدي) الشمال من الرجال وتحت بزّ اليمين من النساء ، فلا يجوز ان تشغّل بالمراهم ، لانها بقرب القلب ، لكن تعالج بالدهونات فقط . وعلامتها انه يخرج منها زوم اصفر .

البلغمة

يؤخذ خرزة عقيق وتُحمى على ضوء الشمعة ، ويُكوى بها البلغمة ويخدم (الكي) سنة كاملة تُشفى .
او تُكوى بالنار ، وتخدم سنة . او تُرضّ لتنفقر . او يُدق عليها .

مرهم

يستعمل في ايام الشتاء اذا كانت القروح يابسة قحلة

يُؤخذ شمع وزيت وعلك وزفت . اجزاء سواء . تُذوّب على النار قليلاً . ويستعمل

لحب الرأس

يُؤخذ عودان (عيدان) تين ، تُحرق ويُضاف زيت الى رمادها ، ويُغلى قليلاً ويُدهن به .
وان اخذت من لبّ الخبز الطريّ ، وجزءًا من الحليب ، وملعقة سمن ، وملعقة عسل ، وغليت هذه الاصناف قليلاً ، ووضعتها لزقة على الطلوعة كم مرّة ، فانها تفتح وتسحب وتبرأ .

للربة

يُؤخذ صفار بيضة مشوية ويمرث في قطران ويدهن به .

مرهم

يُؤخذ من حفافة القصب الفارسيّ ، وبخور [٣١] ، وشمع ، وزيت عتيق ، وخمر اصفر ، وزوم طيّون ، وجزء يسير من السمن ، وجزء من الطحين ، وجزء من الدبس ، وزوم بلغصون ، وصابون بدون تخشين (غير مبلول) . قدر نصف الاجزاء . ثم يُغلى قليلاً ويستعمل .
ويجوز ان يضاف اليه بعض اشياء من وصفات المراهم ، مثل الصبر والمرتك والكافور ، ومن الاعشاب ايضاً . فيكون أنفع .

لحبة الخنزيرة

وهي قروح خبيثة تسرح في البدن وتأكله . وسببها اجتماع خلط بلغمي تحت الجلد ...
يُؤخذ صبر ومرّ حارّ . يُدقّ ويُعجن بسمن وعسل وخل حادق . ويُدهن ثمانية ايام ، كل يوم مرّة ، بعد ان يغسل بالماء الحارّ ، قبل كل دهنة مرة .

لحكاك الذي يسيل منه الزوم الاصفر

يُؤخذ خمسة دراهم اسفيداج ، وثلاثة دراهم كبريت اصفر ، وثلاثة دراهم افيون . تُسحق ثم تجبل بخل خمر ، ويُدهن بها .

مرهم

يُؤخذ شمع ، ولبان ، وعلك ، وبورق احمر ، وزيت عتيق ، اجزاء سواء . يُغلى قليلاً ويُستعمل .

مجموع مرهم

يُؤخذ صمغ زيتون . بزر قرّيص . خل . رماد شعر انسان . سمن . بنفسج . رماد . كزبرة البير وزومها . خمر . بول انسان . بول حمار . بزّاق محرق دون ابواقه ، زوم ورق دلب ورماده . لقاليق ليّات الغنم . جاز . زعفران . روند طويل . بزر رشاد . ملح محرق . فحم قصب فارسي . زوم عشبة سنان [٣٢] (اسنان) العجوز . زوم حمّيضة . زوم صمغ عكّوب . زوم حندقوق . عسل . زوم حشيشة القزاز (الزجاج) . حبّ قرقش ازرق . بخور . زيت عتيق . بزر كرفس . زوم بقدونس . زوم كرّات . طحين قمح وحمص وفول . زوم ورق عريش ، وورق سمّاق مغليّين . مرارة بقر . مرارة معزى . دنج . زبيب . ژرنيخ . زوم سلق . سيراج . خرق كتّان تُدقّ ناعماً جداً . عفص . زوم عدس . شبّه بيضا . زوم قرمة رفغان . صبر اشتر . كمّون . زوم القنطاريّون . او يغلى ويُؤخذ ماؤه . قطران . زيت خروع . رماد عيدان تين . حلقوم رمّان حامض وحبّه . بزر عنب . رماد كرّات جزء كبير . زوم حشيشة التين . زوم خس . حبّ خروع . مرتك جزء كبير . شحم خنزير . زوم عشبة العصّب (العصّيـــة) . بعر جمل محروق . رماد الطرفا . زوم القبّار . عشبة السراس .

وان لم تُوجد كل هذه الاجزاء فلا بأس . ثم يُترك زوم الاعشاب المذكورة في الشمس حتى يجمد قليلاً . ثم يضاف الى هذا المرهم حفافة القصب ويغلى قليلاً ويستعمل .

لفجر الدمامل

يُؤخذ عسل وخلّ ، ويضاف اليه مثله عنزروت ، يُدقّ ناعماً ثم يغلى قليلاً ويستعمل .

او يُؤخذ بزر قطونا ، وماء ورد ، ودبس ، ويدقّ ويجبل ويوضع لزقة . وهو ينفع الورم ايضاً .

او ضع عليها من الدنج تفتح .
او دقّ حلزون البرّ او الماء حيّ (حيّ العالم) وضعه لزقة . او بزاقة سوداء . او زبيب اسود [٣٣] مع قلب صنوبر . يُدقّ ويوضع لزقة . او بزر القرّيص يُدقّ ويوضع . وان دققت ورق القرّيص ووضعته على الجرح ختم حالاً . وان يبّسته وسحقته ورششته على الجرح صنع هكذا .
او يؤخذ لبن بقر مروّب ، وبعر جزء ، وسمن ، ويُغلى قليلاً ويوضع على الطلوعة فتفتح سريعاً .
او يُؤخذ فارة حية تشقّ وتُوضع . وهي تنفع لوجع السرطان ولمن شكّه نسرة .
او حشيشة العبعب ، تُدقّ وتُوضع على الطلوعة تفتح . وعلى البلغمة ايضاً .
او يُؤخذ حرباية تُحرق وتسحق وتُزج بزيت ويدهن به الطلوعة مرة واحدة تنفتح .
او يُؤخذ صفار بيضة ، وقلفون ، وزهر اصفر . يُدقّ ويوضع لزقة على الطلوعة تفتح .
او دقّ بومغيط وضعه لزقة ، فانه يفتح ايضاً الطلوعة بسرعة . مجرّب .

الفصل الرابع

للاستسقاء

يُؤخذ كرفس ، يُفرم ناعماً ويُغلى حتى يستوي . ثم يُؤخذ ماؤه ويسلق به حنطة وتؤكل ، ثم يشرب الماء المذكور على كم مرة .
او يُؤخذ ضفدعة بعليّة وتُقلى في زيت عتيق ويُدهن به الورم فيقشر ويُشفى . ثم يفيده مداومة اكل الفول خبزاً وطبيخاً . اي انه يأكل كل يوم بكرةً رغيفاً وعشيةً رغيفاً فقط . ويداوم على ذلك اربعين يوماً او سبعة ايام . ولا يشرب في هذه المدة ماءً ابداً . بل يشرب قليلاً من الحليب اذا عطش .
او يؤخذ قشر الزلخفة البعلية، ويُسحق ناعماً ويجبل بعسل ، ويؤخذ منه كل يوم قدر الجوزة على الريق . او يُكوى في الرجلين [٣٤] مقابل الكاحل من خلف ، في تلك الجورة .
ثم يجب ان يستعمل هذا التدبير وهو : يُؤخذ قمح ، عدس ، فول .

حمص . ماش . بشله سودا ، وهي التي قرونها كقريصت الحلا . ذره بيضا او صفرا . اجزاء سواء . وتُغلى بماء حتى تفتح . ويشرب منها سبعة ايام .

ولا يجوز شرب ماء غيرها ابداً حتى على الاكل . والأكل لحم فرّوج مشويّ . او لحم ضاني مشويّ خالي من الدهن . او توم مشويّ . او زيت نيء . او عسل . او خبز حاف . وليقلّل الأكل جداً .

وفي ثاني اسبوع يأكل المريض هذه المآكل عينها . أما الشرب، فليكن النصف ماءً ، والنصف خمراً اصفر . وان امكن فبدون غلي .

وفي ثالث اسبوع : يشرب عند عطشه ماء الزبيب فقط نقعاً لا غلياً . والمآكل هي هي عينها . أما على الاكل فليشرب خمراً اصفر فقط . اي بدون ماء .

لوجع الرأس
اي الشقيقة

وتكون على فرد ميل (جهة واحدة) . يُؤخذ افيون ، وزعفران ، ويسحق ناعماً ويجبل بخل وماء ورد . ويوضع لزقة . او يُؤخذ زيت وملح ونخالة . وتُغلى ثم توضع لزقة .

او يُؤخذ قشر رمان ، يُدق ناعما ويُعجن بخلّ ويوضع لزقة .

الصرع

امّا الصرع في اوقات الشتاء والبرد ، فيجب على صاحبه ان يحبس نفسه في مكان مضبوط عن الهواء . ثم يدهن دماغه وكل جسمه بالزيت، ويأكل اشياء حارة رطبة .

وجع الرأس ايضاً

يُؤخذ ورق ريحان اخضر ، يُرض ويُنقع بماء ثلاثة ايام [٣٥] ويكون الماء غَمره فقط . ويُغلى ليصمد ربع الماء . ثم يُؤخذ منه جزء ، ومن الخمر الطيب جزء ، ومن الزيت العتيق جزء . تُغلى جميعها حتى يفنى الخمر والماء . ثم يُؤخذ الزيت ويُدهن به سخناً جداً .

او يُؤخذ خل وشنادر ، وكلس . اجزاء سواء . توضع في قنينة وتُسدّ ، ثم تخضّ (ترجّ) جداً ، وتُفتح تحت انف صاحب وجع الرأس .

او يُؤخذ ثمرة من قط الحمار الناضج ويتنشق بزومها .

للنزلة والنصبة (الرشح)

ليضع المريض رجليه في الماء الحارّ قليلاً . ويأخذ رماداً سخناً في خرقة يضعها على زلاعيمه ويرقد . وذلك مرتين او ثلاثاً . ثم يرضّ قرون الخروب ويضعها في الماء ويشرب منه دائماً . وهو ينفع السعال ايضاً .

وجع الأذن

يُؤخذ سيراج ويمزج بماء ويُغلى حتى ينشف الماء كلياً . ثم يطرح فيه فلفل وثوم ومستكي وقرنفل ويُغلى على نار ليّنة حتى يزبد ايضاً زبداً ابيض . ثم يُرفع ويُقطر منه في قطنة في الأذن فاترًا ، ويرقد المريض الى الصباح . ثم يراجع ذلك جملة مرات .

او يُؤخذ افيون جيد يُنقع بماء ثم يُقطر منه في الأذن .

او يُقطر من زوم الكرات ، فانه يفتح منافذ السمع ولو كان الوجع مزمناً .

او يؤخذ خل وزيت طيّب (جيد) وسيراج ، اجزاء سواء . وتُغلى على نار هادئة حتى تنشف ولا يبقى الا الدهن . وحينئذ يُرفع عن النار الى ان يقبل اللمس ، ويُقطر منه في الأذن صباحاً وعند النوم مدة سبعة ايام فيُشفى ولو كان اصمّ .

او يُؤخذ شبّة بيضاء ، تُسحق ناعماً جداً ويُذرّ منها في الأذن(٣٦) ، فان كان فيها دود فيرقد على شقّها ويخرج .

او يُؤخذ نصف درهم فلفل ، ونصف درهم عنزروت ، ويسحق ناعماً ويُعجن بعسل ويُصنع منه فتايل ويُوضع في الأذن عند النوم ، على ثلاث ليالي .

او يُؤخذ بورق ، وزعتر ، ومستكي ، وعرق السوس ، اجزاء سواء . ثم تُغلى بماء الفجل على نار الفحم في وعاء من فخار مطيّن . ويُقطر منها في الأذن فاترة ، فيشفى صاحب الألم ولو كان اصمّ .

أذن الطفل التي تنبع

يُؤخذ حليب امرأة ويمزج بقليل من الملح ، ثم يقطر منه كم مرة .

الأذن النابعة

يُؤخذ بخور ناعم مع نبيذ حلو ، ويُقطر منه في الأذن .

او يُقطر من مرارة الثور مع حليب النساء .

الأذن المدودة

يؤخذ بول انسان ويوضع في قشرة رمان ويغلى ويقطر منه في الأذن. او يقطر من زوم شرش القبّار. او من الخلّ السخن. او من حليب التين.

واذا كان الدود من برودة، يؤخذ مرارة، واذا امكن مرارة طير مع دهن لوز ويقطر فيها.

او يؤخذ ثمرة من قطّ الحمار ناضجة ويقطر منها في الأذن.

لمن ثقل سمعه

يؤخذ شحم درغلّة يذوّب وينقّط في الأذن مدة ثلاث ليالي، نقطة واحدة فقط. او يقطر من بول الخنزير، او من مرارة البقر ثلاث ليالي. او من حليب امرأة مع جزء من الملح.

او يؤخذ ماء فجل وعسل ويقطر منه. او يقطر من مرارة معزى مأخوذة في شهر نيسان. او يقطر من بول كباب. وهو ان يؤخذ الكباب ويوضع على غربال وتحته وعاء وفوقه غطاء.

لعسر الولادة

تأخذ الامرأة كافورًا [٣٧] وتوضع في فمها حين العسر. او تحمل قرن معزى، فانها تلد سريعاً.

حي العالم

اذا دُقّ قليلاً وتحمّلت به الامرأة، قطع الرطوبة من الرحم. وعصارته تنفع الرمد.

سرطان نهري

يدقّ ويعصر زومه ويحلّى بالسكّر وتشرب منه الامرأة التي في باطنها وجع عقيب النفاس.

وجع الرحم بعد الولادة

يؤخذ ورق رمّان حلو وحامض ويغلى جيداً وتغسل به الامرأة.

كي يجود الحليب

تسلق المرأة السفرجل بالماء، وتشرب حشيشة الدرّ.

الحبل

يُؤخذ مخاليب الهدهد . تُحرق وتُسحق وتُسقى بماء .

او يُؤخذ طبع خنزير فحل ، ثم يُلفّ بصوفة ويوضع فينتم في الحال .

او يؤخذ مثقالين من مجبنة ارنب يُذوّبان بالماء ويُسقيان .

او يُؤخذ زهر قندول ، وبعر ارنب ، وسداب (فيجم) يابس . اجزاء سواء . يُدقّ ويُنخل ويُعجن بسمن بقر خالص ويُعمل ثلاثة اقراص ، تتبخّر بها الامرأة ثلاثة ايام بعد الطهر .

او يُؤخذ مردكوش خمسة عشر درهماً ، حصالبان ثلاثة دراهم ، بزر رشاد درهمان ، جوزة الطيب خمسة دراهم ، قرنفل ثلاثة دراهم ، زنجبيل ثلاثة دراهم ، فلفل ابيض درهم ، جوز سرو سبعة دراهم ، دار فلفل ثلاثة دراهم ، كمّون كرماني ثلاثة دراهم . انجباد درهم ، عود قرح درهم ، مسك خالص قيراط . دقّ وانخل واعجن ، وخذ بوزن هذه الاشياء عسلاً واغلِ على نار هادئة غلياً قليلاً ، عدا المسك لانه ينبغي ان يمزج بعد غلي الحوايج ، ثم يُعمل في صوف حبوباً ، كل واحدة بقدر البندقة وتتحمّل [٣٨] الامرأة كل يوم حبة بعد الطهر . فهو مجرّب كثيراً .

او تتحمّل في لقاليق ليّات الغنم . وقبل كل شيء فلتضع زعفران بصوفة بيضاء وتتحمّل بها . فان حلّ الزعفران تُعالج والا فلا .

لبياضة العين

يكحل في مرارة غراب يشفى ، ولو كانت البياضة على عينه من خمسين سنة . او يقطر من زوم قرمة الرفغين كم مرة . او يُؤخذ ريش زغلول حمام رخص ، ويمسط الدم الذي به ويوضع على الميل ويُكحل به كم مرة .

واعلم انه يوجد عشبة تُسمّى صابون العرب ، زهرها ازرق . يُؤخذ زومها ويُقطر منه لبياضة العين في الانسان او الحيوان . ثم تيبّس العشبة المذكورة في الفيء وتُسحق ويُتكحّل بها .

او يُؤخذ سن انسان ، وسمخ زيتون ، وورق عوسج ، ولسان البحر ، وعلك ابيض ، ولولو بكر ، وقرفة ، وورد مصري ، وعرق مرجان ، وعنزروت . اجزاء سواء . تُوضع في عقدة قصب فارسي ويُطلى فوقها بعجين وتُوضع في الرمغان حتى يستوي العجين . ثم تُخرج وتُسحق ناعماً وتُنخل جيداً في خرقة من حرير ويُتكحّل بها فتشفى العين ولو كان لها اربعون سنة .

او يُؤخذ عشبة ذنبة الفرس يابسة في الفيء ، تُدقّ ويُضاف اليها قدر ثلثها سكر نبات ويُكحل بها .
او يُؤخذ قمح وشعير ، يُدقّ ناعماً ويُكحل به بكرةً وعشية .
او يُكحل بمرارة كلب . او يُؤخذ هندبه (هندباء) يابسة في الفيء : تُدقّ ناعماً ويُكحل بها .
او يُكحل برماد لحم الغنم .

للعشى (للعشى)

وهو الذي لا يرى صاحبه عند هجوم الليل . يُؤخذ [٣٩] كبد معزى ، اي القصبة السوداء . وتُوضع على الجمر . فاذا ازبدت ، خذ في طرف ميل من هذا الزبد ورشّ عليه فلفلاً مسحوقاً واتركه لوقت النوم . ثم يتكحّل به ويرقد ويجعل على دماغه زبد بقر . فان نفع من اول مرة كان به والا فليراجع ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً ، ويجتنب أكل اليبوسات ويأكل الدسومات . وان كحلت بالدم نفع .

لطرفة العين

خذ الكمّون وامضغه بفمك وضعه في خرقة ثمّ اقطر منه في العين .

لورم العين

يُؤخذ زهر الختمية ، ويُنقع في ماء ورد ويوضع على العين . وهو ينفع الورم والحمرة .

لجهرة العين

يُؤخذ مرارة دجاجة بيضاء وجزء عسل ، ثم يُمزج ويتكحّل به .

لمن عدم البصر

يُؤخذ قذر انسان سخن ويوضع على الرأس ؛ فلوقته تذهب عنه موانع النظر .

للشعرة في العين

يُؤخذ دم ضفدعة الماء ويُكحل به في ميل ريحان .

كحل ينفع لكل وجع

يُؤخذ توتيا وتُوضع في بودقة (بوتقة) ويوضع تحتها نار الفحم حتى تذوب . ثم يلقى عليها جزء كبريت عامود . ثم يُؤخذ ملقط حديد ويحرّك به . والذي

يلصق عليه ضعه في اناء من نحاس . وهكذا اصنع الى النهاية . ثم اسحقه جيداً واعجنه بحامض سمّاق وجفّفه في الفيء . ثم اسحقه ثانياً وكحّل به .

واعلم ان كل ربع اوقية توتيا يلزم لها اربعة دراهم كبريت [٤٠] .

للرمد

يُؤخذ حليب امرأة والدة بنت ؛ ويوضع فيه شيء قليل من بزر السفرجل الغير مدقوق ويُفرك ويُقطر منه .

او زهر البقول ، او زهر شوك الدردر للقرطة كحلاً .

لضعف النظر

يؤخذ درهمان من مرارة ديك ؛ وجزء مسك ، وجزء من زوم الشومار ، ويُكحل به .

او يُؤخذ شحم حوت السمك وعسل ويُكحل به . او يكحل بمرارة بقرة سوداء .

كحل للبرودة

يُؤخذ عنزروت ، وشثم ؛ وسكر نبات ، وزوم طيّون يابس . اجزاء سواء . اسحق ناعماً واكحل .

للبياضة من قبل نزل دم

خذ سكراً وزلال بيضة اخفقها واجعل لزقة . كم مرة .

وان سحقت اليانسون وطرفته في زلال بيضة ووضعته على الجفون المحمرّة نفعها .

وان اخذت مرارة نسر وعسل ومزجتها ووضعتها لزقة على العين فانها تحدّ النظر وتشدّ الحدقتين .

وان اخذت زهر الافراجيا يابساً في الفيء وكحلت به ، فانه يحدّ النظر .

وان احرقت السرطان النهريّ وكحلت به ، فانه ينفع من نزول الماء في العين .

وان احرقت رأس الحمام بريشه ، وكحلت به نفع من الغشاوة على العين .

وان اخذت عين الحرباء اليمنى مع جزء من حليب امرأة وكحلت به نفع البياضة في العين وأحدّ النظر .

وان اخذت مرارة قط اسود وكحلت به ، فانك ترى في الليل رؤيتك في النهار . غير انه لا يخدم الا ساعتين فقط .

الفصل الخامس

دود الاسنان

اذا تأكلت الاسنان او تفتّتت ، او كان لها دم سائل ، يُؤخذ عفص وزهر الورد ، وزهر الطرفه (الطرفاء) [٤١] ويُدقّ ويُعجن بخل حادق ويُضمّدبه. او يُحمى حجر صوان ويُطفئ بالخل المذاب به توته زرقا ، ويتمخمض به .

صفرة الاسنان

يُؤخذ ملح وفحم وسكر . يُسحق ويُعجن بعسل وتُدلك به الاسنان ، فانه يصفّيها ويُطيّب نَفَس الفم .

نتانة النفس عند التكلم

يُؤخذ توم وقرنفل وفلفل ، يُسحق ناعماً ويُعجن بعسل ، ويُؤخذ منه مقدار لوزة على الريق ، ومثله عند النوم .

الملح

ان الملح الحادق ينفع قروح الفم وحفره .
واذا وُضع الورد على بثور الشفاه ابرأها .

وجع الاسنان

تُؤخذ حبّتان من الزبيب وتُدقان بين حجرين وتوضعان على السنّ . او يوضع عليه قطران او افيون .

للاسنان المخلخلة

يُؤخذ شبّ يماني وعسل ويُطبخ ويُضمد به .

وجع الشفاه

يُؤخذ عفص ناعم ، وعسل ، ودهن ورد ، ويُدهن به يبرأ .

حمو الفم

يُؤخذ سرطان نهريّ ، وتُرمى يداه ورجلاه ، ويُدقّ ويُغلى بماء حتى يهتري ويُتمخمض به كم مرة .

اوجاع الفم

يؤخذ زعتر وورق زيتون ، يُدقّ ويُخلط بخل خمر وقليل من الدبس ويتغرغر به .

او يُغلى قشر الصفصاف الاخضر ويُتغرغر به .

للحمو الذي في الوجه

يُؤخذ زبل سنونو، ويجبل بالنبيذ ويُطلى به .

اصفرار الوجه

يُؤخذ راوند ، يذوّب بخمر اصفر ، ويُدهن به كم مرة .

الخانوق

مداواته التمضمض بماء المردكوش ، ومضغ الحمّيض . ثم يُؤخذ فلفل وعسل ويوضع في الفم [٤٢] .

او يؤخذ عفص وسمّاق حبّ ، وحلقوم رمان حلو ، وشبّة بيضاء . اجزاء سواء . تُسحق وتجبل بخل حادق ، وتخفق جيداً ، ويُتمضمض بها . وتُدلك الاسنان بالحلقوم .

او يُكوى على قيد الشفتين في شريطة من نحاس .

او يُؤخذ ثلاثة دراهم عاقر قرحا ، وتُدقّ ناعماً ، ثم تُعجن بخل حادق وتُفرك بها الاسنان .

او يُؤخذ شرش خبّيزة ، يُرضّ ويُغلى بخل حادق ويُتمضمض به جملة مرات .

لسوس الاضراس

يُؤخذ فنجان من زوم ورق التين الشتويّ ، وفنجان عرَق زهره ، وفنجان بارود . ويغلى حتى يُعقد ، ويوضع منه قليلاً على الضرس . او يُعلّق في الرقبة شرش الهليون ، او ضرس الارنب ، او يُشرب الافتيمون في الغليون كالتتن (التبغ) .

لوجع الحنجرة

يُؤخذ خل وزيت الورد ، ويتمضمض به . او حليب اتانة ، او حليب معزى ، ويُتمضمض به .

للذي يبق الدم من فمه

يُؤخذ كزبرة وتنقع في خل حادق مع حب رمان حامض ، ويُشرب منه فنجان على الريق . جملة ايام .

وجع القلب

وهو ان يحسّ صاحبه كأن احداً يمرث قلبه . يُؤخذ قرنفل ، جزء يسير ، وسكر جزء كبير . ويدقّ ناعماً ويُشرب في حليب غنم ، بكرةً وعند النوم .

او يُؤخذ كفّ من الحبّة الخضره (الخضراء) ، وكفّ زنجبيل بلدي ، وكفّ بزر حرير اي بزر قزّ . يدقّ ناعماً ويخلط بعسل ويُلعق على الريق . وهو [٤٣] ينفع من وجع القلب الدائم ، ويُخرج البلغم الخارّ .

وان كان من قِبَل صفراء : يُؤخذ نعنع جوّي يُدقّ ، ثم يُؤخذ خميرة وتُذاب بخلّ قليل وتُعجن مع النعنع وتُوضع على الراس والسرّة .

القلب المحترق

يُغلى زنجبيل ويُؤخذ ماؤه ويجبل فيه طحين شعير ويُجعل لزقة على السرّة .

او يُؤخذ زوم البقلة وتُجبل في طحين شعير وتُوضع على البطن . او على البوصار لانها تفيده ايضاً .

لهجة النفس

يُؤخذ زهر الختمية ، وسكّر نبات . يُدقّ ويُترك في اناء منقوعاً فيه مع الماء ثلاثة ايام ويُشرب منه ثلاثة ايام يبرأ المريض .

من عرض لأنفه ورم

فليُذب الصبر بالماء ويدهنه به .

التسميط

يُؤخذ مرسنك ، يُدقّ ناعماً ويُمرهم بالخل الحادق ويُدهن به حين وجود التسميط .

او يؤخذ خلد ويُحرق ويُمرهم رماده بالزيت ويُدهن به مع وجود التسميط .

لبحة الصوت

يُؤخذ ثلاثة دراهم سكر فضي ، وثلاثة دراهم لعاب سفرجل . انقع بالماء واشرب ثلاثة ايام ، كل يوم فنجاناً على الريق وفنجاناً عند النوم .

او خذ ثلاث جوزات . احرقها واسحقها مع قشرها واشربها مع خمر ابيض طيّب .

او تُؤخذ أوقية سكر نبات وتُسحق ، ثم يؤخذ صفار بيضة ويُضاف

اليه درهم من السكر . ثم يشربها على الريق حتى تنتهي اوقية السكر [٤٤] .
او أجرش الفول ثم انقعه بالماء من عشية الى بكرة . ثم ضع فيه شهد عسل واشرب منه كباية على الريق كم يوم .
او اشرب خمس بيضات برشت على الريق . وضع في كل بيضة درهماً من السكر .

قمعدة

وهي انك اذا وضعت يدك على فم المعدة سمعت لها اصواتاً وقرقرة . يُؤخذ رغيف خبز قمح سخن جداً ويوضع على السرّة . وتُؤكل الشوربا (الحساء) بكرةً وعشية . ثم يُؤخذ رمانة حامضة وتُدق وتُؤكل على الريق . ثم يؤكل خمير الحنطة مع عسل .
او يُدقّ كمّون وفلفل وفيجم ويُعقد في دبس ويُؤكل منه كل يوم درهمان على الريق .
او خذ الفيجم والبخور الناعم والخمر الاصفر او الخل الحادق . اجزاء سوية. واجعل لزقة على السرّة ولا ترفعها حتى تقع هي من ذاتها . وراجعها ثلاث مرات .

نفخة البطن

يُؤخذ كمّون ويدقّ ؛ ثم يوضع غمره حليب بقر ويُسخّن ويُشرب على الريق كباية ومثلها عند النوم .

الطحال

تُؤخذ حبّة سودا (سوداء) . تُغلى في خل حادق وتُنقع به الى الصباح ؛ ويُشرب منه سبعة ايام على الريق فنجان ويُؤكل جزء من الحبة السوداء المذكورة .
او يُؤخذ حافر ثور ويُحرق ويُسحق ويجبل بعسل ويؤكل منه كل يوم قدر لوزة ، على ثمانية ايام .
او يؤخذ زوم [٤٥] حشيشة البرابينا ، وطحين شعير وصفار بيضة . ثم يخفق ويجبل لزقة على الخاصرة او على الوجع .
او تُؤخذ عروق القبّار اليابسة في الفيء . وتسحق وتُلتّ بالعسل ؛ ويُؤكل منه مقدار لوزة على الريق كم مرّة .
او زوم البرابينا ، وراحة طحين فول ، وملعقة بخور ، وزلال بيضة ، وفنجان خل حادق . تُخفق وتُوضع لزقة وتُترك ثلاثة ايام .

او طحين فول ، وطحين شعير ، وبعر معزى . اجبل في خل حادق وادهن به .

او ضع العلّق على الطحال اذا كان مزمناً وقوياً جداً .

دود البطن

يُؤخذ صبر اشقر خمسة دراهم . حبّ رشاد خمسة دراهم . يدقّ ناعماً ويُعجن بعسل ويُلعق منه على الريق .

او خذ ثلاثة دراهم من حبّ النيل ، ومثلها حبّ خريساني ، ومثلها شرش خنشار يابس في الفيء ، ودق ناعماً جداً وانخل وذوّب في كبايتين من الماء الفاتر واشربهما على الريق وصم إلى الظهر . وان عطشت اشرب ماءً بارداً ، غير انه يجب ان يركّب هذه الشربة واحد والآخر يأخذها (يشربها) كيلا يشمّ رائحتها .

او اشرب على الريق فنجان خل حادق فتهرّ (تُنزل) الدود .

او خذ قبضتين من قشر الرمان الحلو والحامض واغلهما برطل من الماء حتى يصمد أوقيتان ، ثم أضف اليها اوقيتين من النبيذ الاصفر غير المغلي واشرب على الريق مرّة واحدة [٤٦] وهو ينفع من عضة الكلب الكلِب ايضاً .

القولنج

اعلم ان القولنج منه بارد ، ومنه حارّ . والذي يكون في الحرّ ، هو الحارّ .

علاج الحارّ : ان يداوم صاحبه على أكل البصل الاخضر على الريق .

علاج البارد : يُؤخذ صبر اشقر ، وحبّ رشاد ، وفلفل ، وزنجبيل ، وسكر . اجزاء سواء . تُدقّ ناعماً وتُغلى حتى تُعقّد ويُؤخذ منها مقدار الجوزة عند هيجان العلّة .

او يُؤخذ من روث الدواب الاخضر ويُغلى بخمر اصفر مع جزء يسير من الينسون ، وجزء يسير من القرفة ، ويُصفّى بخرقة ويُشرب مرّة فقط .

رشح البول

يُؤخذ حمّص ويُنقع في خل حادق ثلاثة ايام ، ويؤكل منه حفنة ، ويُشرب من الخلّ فنجان على الريق مدة اربعين يوماً . وان شفي صاحبه قبل الاربعين يقطع ذلك .

لمن يبول في الفراش

يأخذ مثقالا من الخولنجان : وينقعه بخمر اصفر ويشرب منه .

او اكوِ تحت السرّة بثلاث اصابع .

او احرق عرف ديك ابيض وذوّبه في ماء واشربه .

او اقلِ السرطان نهريّ بزيت واسحقه وذوّب منه مثقالين بماء واشرب .

حصر البول

يُؤخذ كلخ هجر (كذا) يُغلى بماء ويُشرب . او يُشرب زوم فرفحين .

او يُشرب حليب مع مستحلب البزورات .

لمن يبول دماً

يُؤخذ خمسون درهماً حبّ سمّاق ، وثلاثمئة درهم ماء . يُنقع فيه الحبّ يوماً وليلة . ثم يُغلى حتى ينقص النصف ويُشرب كل يوم فنجانان . وتؤكل الأغذية الحامضة كالليمون وغيره .

لمن لا يقدر ان يسك البول [٤٧]

يُؤخذ درهمان من البلّوط ويُسحق ناعماً ، ويُنقع بماء ويُشرب منه .

حصر البول

خذ بيضة مشوية ولتّها في سبيداج وكلْ . ثم تبخّر ببزر اللوف كم مرّة .

او انقع بزر البقدونس بماء الفجل واشرب .

او خذ حجر زيتون اسرائيل وضعه في فنجان واعصر عليه ليمونة حامضة واتركه من عشية الى بكرة . ويُشرب على الريق .

او خذ ثلاثة دراهم تمرتينا ، ودرهم بخور ذكَر سمخ . وقبضة من شرش الحليون ، وملعقة من العسل ، وملعقة من الزيت . تُغلى جميعها برطل من الماء في اناء من نحاس ، حتى يصمد نصف الماء . ويُشرب منه سبعة ايام : كل يوم فنجان على الريق . وتؤكل بعده كم حبة زبيب حالاً . والأكل يكون بنصف ملح ، ويُجتنب اكل الحامض .

معجون يمسك البول

يُؤخذ بزر كرفس ، عشرة دراهم ، كندر عشرون درهماً ، زبيب منزوع النوى مئة درهم . يُدقّ ويُعجن في الزبيب ، ويُؤخذ منه على الريق ، كل يوم قدر لوزة .

بول الدم

يُشرب بول حمارة او مرارة فرس .

حصر البول

امزج دم الجمل بالخمر واشرب فنجاناً على الريق .

الحصى الذي يمنع البول

يُؤخذ حليب امرأة مع خمر عتيق وعسل ، يُمزج ويُشرب .
وان وضعتَ حصوة ملح ، او زعفران في الطبيعة فتبول حالاً .
او انقع [٤٨] حبّ شعير وفحم بماء واشرب .

حصر البول

يُؤخذ ورق الختمية وورق الثوم ، ويُغلى جيدّاً ويُشرب منه دواماً . ثم تُهبّل المعاري به جملة مرار .

لورم الطبيعة

اولاً يُفصد في شرش الباسليق ، ثم يُشرب ماء بزر البقلة ، ويُضمّد بدقيق بزر البقلة والحمّيضة مجبولا بشمع ودهن وشحم عجل .
في دحّة على القضيب مكان الوجع . اي تحت قدح الخاتم . ويتولّد ايضاً من مداومة اكل الجبن ، ومن شرب اللبن والخمر بزيادة . ويفيده الكيّ واعلم ان الحصى الذي يصير في الذكر ، يتولّد من اكل الحبوب النيئة . وعلاجه عسر جدّاً .

من يخرج من ذكره قيح

يؤخذ كشتبان بخور ، ويُدقّ ناعماً ويُمزج بفنجان زيت ويُشرب على الريق . ثم يُشرب بعده قدر اوقية من زوم حشيشة القزاز (الزجاج)

ويصوم المصاب ثلاث ساعات ويفطر شوربا . ويشرب قبلاً وبعداً ماء مدبّراً . وهو شرش هليون وشرش صُرّيم الديك وحشيشة القزاز . ليكن هذا شربه دائماً مدة ثمانية ايام ؛ وفي هذه الايام الثمانية ؛ يأخذ اربعة دراهم تمرتينا ويعجنها في قضامة مدقوقة ؛ ويحبّبها على قدر حبّ العنب . ويأخذ كل يوم حبة .

او يُؤخذ شعير ويُوضع في كوز من فخار . ثم يُوضع في الفرن من عشية الى الصباح . ويُسحق الشعير ويؤخذ منه درهم في فنجان من زوم الشومار صباحاً وعند النوم مدة ثمانية ايام .

او يُؤخذ حفنة من بزر القرفحين ؛ وحفنة من بزر الرمان الحلو ؛ وسن ثوم . يُدقّ الجميع ويجبل في كباية نبيذ [٤٩] اصفر ويُلعق على الريق ؛ مدة ثمانية ايام .

او اغلِ شرش الباطور (الباتور) او شرش الشبرق واشرب كما مرّ .

او اشرب الزيت الحلو على الريق ؛ وداوم على غسل المعاري وما حولها بماء حارّ وصابون مع الفرك . وهو يفيد حصر البول ايضاً .

او خذ نصف أوقية زيت ؛ ونصف أوقية قرفة ناعمة ؛ وامزج وكل على الريق مدة ثمانية ايام .

او اكوِ في قرص الرأس .

او يُؤخذ درهمان صبرا شقرا ؛ ودرهمان مرسنك يُدقّ ناعماً ويُغلى جيداً في زيت على الجمر حتى يفنى الصبر ، ويُدهن به مكان الوجع وحوله.

الفصل السادس

الحمى الدائمة

اي التي تكون كل يوم ؛ وليس يوم بعد يوم ؛ يشرب صاحبها كل يوم فنجان خل حادق على الريق . ثم يضع على دماغه ضماد الخل مع الرماد والملح ؛ وذلك في ابتداء العلّة .

او خذ ثلاثة خيطان كبريت وأضئ الاول . ثم خذ قنينة واسعة الفم

وخضّها بماء وكبّ الماء منها . ثم لفّها بخرقة مبلولة . ثم اجعل فمها على خيط الكبريت المتّقد ، وحينما يقطع ارفع القنينة حالاً وضع فيها فنجان ماء . ثم خضّها جداً بوضع يدك على فمها . وبعده فرّغ الماء في اناء ، واصنع هكذا في الخيط الثاني والثالث . وفي كل مرة أرجع هذا الماء عينه وخض به مثل الاول . اخيراً . [٥٠] خذ هذا الماء واحفظه ، وامزج منه اربع نقط في فنجان ماء بارد واسق صاحب الحمّى الدائمة . اي التي تكون كل يوم . وليس يوم بعد يوم . وهو يشفي الحرّ الذي يصير للاطفال ايضاً . والدود الذي في البطن . وقيل انه عال (جيد) مجرّب .

او تؤخذ أوقية بنفسج ويُغلى بماء حتى يهترى . ثم يُجفّف ويُسحق ، ثم يُضاف اليه زومه مع أوقية سكر وأوقية عسل وأوقيتين خمر مصبوغ ، ويُغلى ثانياً حتى يُعقّد . ثم يُؤخذ منه قدر الجوزة مذاباً في كباية ماء .

او خذ الطين الارمني والكافور ، اجزاء سواء . وانقع بماء ورد ، وماء الريحان والخل الحادق ، وادهن صداغ صاحب الحمّى الدائمة ويديه ورجليه .

الحب الذي يكون في الذكر

يُؤخذ كاد هندي ، وصبر اشقر ، وبخور جاوري . اجزاء سواء . اسحق ناعماً ، واغسل بماء ورشّ على الوجع .

البردية المثلثة

يُؤخذ حليب بقر ، وسمن منقّص ، وعسل منزوع الرغوة ، ويشرب فاتراً عند ابتداء الدور .

صورة تنقيص السمن والسيراج وغيره : يُوضع مثلاً السمن في الماء ، ويغلى الى ان يفنى الماء كلياً ثم يُرفع ويُستعمل .

وان غليتَ الابوسفايج وشربت منه يوم الدور كله ، نفع البردية المثلّثة .

او خذ أوقية من العسل ، وأوقية من العرَق . امزجها وتناول منها في بدء الدور .

او اغلِ راحتين من الدُخن حتى يفتح، وخذ فنجاناً من زومه ، وفنجاناً من النبيذ الاصفر ، واشرب على الريق كم مرّة ، او في ابتداء الدور .

او اغلِ شرش [٥١] الدوينه[1] وخذ منه كباية ، وكباية من النبيذ الاصفر . واشرب على الريق ، وعند النوم ، على ثلاثة ايام .

او خذ راحة من البن النيء ، اي بدون تحميص . ودقّ جريشاً وانقع في كباية ماء من عشية الى الصباح ، في السحره ، ثم اعصر فوقه ليمونة حامضة واشرب يوم الدور ، على الريق . وهو مجرّب .

للدورية التي تكون يوماً بعد يوم

تُؤخذ اوقية عرَق زهره ، وأوقية عسل . اخفق وخذ في ابتداء الدور .

او خذ فنجاناً من زوم عشبة البرابينا ، وفنجان عرَق زهره ، وفنجان خمر اصفر بدون غلي ، وفنجاناً من بول طفل ، وحصوة ملح ، وامزج واشرب في ابتداء الدور مرة فقط .

او اغلِ شرش بلنجان (باذنجان) اسود ، واشرب منه بكرة وعشية ، مدة ثلاثة ايام .

او سافر واتعب في اليوم الذي لا يكون فيه دورك ، فتذهب عنك البردية .

او اعصر رمانة حامضة ، ورمانة حلوة واغلِ واغثِ (كذا) وبخّر واشرب عند ابتداء الدور .

فائدة

اعلم ان الدم يتحرّك في الربيع ، والصفراء في الصيف ، والسوداء في الخريف ، والبلغم في الشتاء .

ثم اعلم ايضاً ، ان البردية المثلّثة ، هي ناتجة عن السوداء . والتي تكون يوماً بعد يوم ، فعن الصفراء ، والتي تكون كل يوم فعن الدم .

لمن لا يقدر ان يضبط البول

يُؤخذ قشر رمان ويُغلى جيدًا ويشرب . ثم يُسحق قشر غيره ، اي غير الذي غلي . ويُرشّ قليل منه على الطعام .

او يُوضع بزر خس في خمر عتيق ويُنقع ويُشرب منه كباية على الريق كم مرة .

(١) نقلها العشبة المسماة : دوينة الجدي (الناشر) .

البرص

وهو شدة البياض الذي يصير في البدن . وبعضه يسرح في البدن . يُبدأ اولاً بمسهل البلغم . ثم يؤخذ من البصل الكبير فيشوى على الرمغان ؛ ويعصر زومه ويُطلى به الموضع كله ، ويُترك يوماً وليلة . ثم يغسل بماء حارّ بكرةً [٥٢] وعشية . ثم يعاد الطلي والاسهال كل اسبوع مرة ؛ او في الشهر مرتين ؛ وذلك على قدر قوة الشخص . ويُستعمل كل يوم أكل الثوم والعسل.

او يؤخذ خردل ، وخمر ، وجزء كندر . يُسحق ناعماً ؛ ثم يُربى بعسل وخل ويُترك الى الصباح . ويدخل صاحبه الى الحمّام حتى يحمى ويعرق جسمه . ثم يأخذ قطعة من ثوب صوف خشن ويفرك به المكان حتى يحمرّ . ثم يدهن ويقعد ساعة طويلة ، ثم يغسله .

البهق الأسود

يؤخذ شرش الحميّض الجوّاني (الداخلي) الابيض ؛ ثم يُدقّ ويُغلى قليلاً ويُضاف اليه البورق ، ويتسحّر ليلةً ويدهن به مرارًا .

الجرب

يُؤخذ نصف أوقية سمن منقّص ، ودرهمان كبريت عامود ، ويشرب على الريق ويُدهن محل الجرب . ثم يأخذ من السمن المنقّص ومن العسل وحليب البقر ويتغدّى منه . وينبغي ان يكون العسل منزوع الرغوة . فان لم يبرأ بعد ثلاثة او خمسة ايام ، فليستعمل مسهل السوداء . ثم يراجع الدواء والغداء ثانية يبرأ .

واعلم ان الجرب نوعان : معازي وجمالي . فالمعازي يُحجب (يُحجم) او يفصد : ثم يأخذ صاحبه اربع طابع والمصل مدة . ثم يأخذ درهماً من الراوند القزازي مع الحليب . اي انه يقسم الدرهم مرتين ، ويأخذ كل نصف درهم [٥٣] في أوقية حليب ، في الجمعة مرتين . ثم يُدقّ طرفة (طرفاء) وينقع في لبن ويُدهن .

او يأخذ نصف درهم من ثلج الحكمة ، وربع درهم من الراوند ، ونصف درهم من السكر . يدقّ ناعماً ويضع في ماء بارد ويشرب على الريق سبعة ايام .

او يأخذ الكلس والسيراج وزوم الفرفحين وزوم حشيشة القزاز (الزجاج) ويمزج ويدهن .

او يمزج القطران البيرقي مع الخل ويدهن .

او يغلي الدفلة غلياً جيداً . ثم يمزج بالملح ويغسل مكان الجرب .

او يدهن بزبل انسان طريّ ممزوج في بول انسان فيشفى حالاً . وهو مجرّب .

او يُؤخذ زبل حمام ويُمرث بقطران ويُدهن به . او بدم وطواط . او دقّ بزر كزبرة وامزج بخل وادهن به .

او يُؤخذ درهمان دقيق ، ودرهمان قشر جوز ، ودرهمان لباني . يُدقّ ويُخلط ويُطلى به .

او يؤخذ زيبق ودهن ورد ويُطلى به ، ثم يُرشّ فوقه جاز . وهو مجرّب .

او انه يسحق بزر الرشاد ، وفحم القصب الفارسي ويرش منه .

او يمزج زوم الحمّيضة بالخل ويدهن به .

او يأخذ شعشوع البطم فيدقه ويضعه لزقة .

او يُدقّ حبّ القرقش ويوضع لزقة .

او يمزج الكبريت بالخل ويُدهن به .

او يدهن بزوم الكرفس والبقدونس .

او بماء العريش .

او يُدقّ اللوز المرّ ويُضاف اليه الخلّ والخمر ، ويُدهن به .

او النخالة والخل ويدهن .

او يُغلى نعنع [٥٤] جوّي بخمر ويُوضع لزقة .

او تُدقّ الكراويا البرية وتُمزج بخل ويُدهن به .

او زوم الكراث . او زيت الخروع . او الخل ويدهن به .

او تُمزج الزبدة بالسكر وحليب البقر من بزّ (ثدي) أمه ويُشرب منه كباية بسرعة على الريق ، جملة ايام .

الحزاز

خذ حصوة ملح وحفّ (وحكّ) بها المحل حتى يجري الدم . ثم اطله برماد بعر الغنم المعجون بزوم بزر قطونا . ثم استعمل شراب الحليب والسمن والعسل الذي ذكرناه للجرب .

او ادهن في وسخ ماسورة التتون (التبغ) واعلم ان المدهون يدوخ وينتق (يتقيّأ) ويُشفى حالا .

او يؤخذ ورق المنتور الاصفر مع الملح القبرسي . يدق ويوضع لزقة .

او يُدهن في بول ثور البقر مع الخمر .

الحزازة الدموية

يؤخذ كبريت عامود ويُمرث في حامض ليمون ، ثم تُحفّ الحزازة برقعة عباءة خشنة ، وتُدهن به كم مرة .

او يؤخذ من دود البومغيط ، يُدقّ ويُوضع لزقة .

او يؤخذ شنادر بدون طبخ . يُسحق ناعماً ، وتُحفّ الحزازة برقعة عباءة ثم تُدهن الحزازة بريق على الريق ويرش عليها الشنادر .

او يُدهن في حليب الجمّيز او التين .

او تؤخذ خميرة الرنجس وتشوى في النار ، وتُدقّ وتوضع لزقة .

او اعصر زوم العصّيب (عشبة العصّية) وادهن به . او بزوم القرّيزة .

حرق النار

يؤخذ سمن وخلّ . ولبّ خبز ، يُعجن ويُوضع لزقة .

او احرق خرق كتان وامزج [٥٥] مع رمادها العسل والخلّ وادهن به .

او دقّ الحمّص والشعير ، واجبل بالخلّ وادهن به .

او يؤخذ الشعير ويُحمّص كالبنّ ويُسحق مع فحم القصب الفارسي ويُمرهم بزيت ، ويُدهن به بكرة وعشية .

او اغل ورق السماق في رطل من الماء حتى يصمد نصفه واغسل به ..

او خذ قشر شرش السنديان ، واغسله جيداً واغله حتى يصمد ربع الماء وادهن به .

او احرق حبّ الشعير ورش منه .
او احرق عظم الدجاج واسحق ورش .
او احرق حية سوداء ورش .
او عند وقوع الحرق ادهنه حالاً بالمخاط .
او ضع مكان الحرق على أذنك .
او اسلق بصل النرجس ودقّ واعجن بعسل واجعل لزقة .
او ادهن بدم الحمير .
او خذ بعر الغنم وبعر المعزى ، ودقّ ناعماً واجبل بخل وادهن .
او دقّ الزيتون المسبّح وضع لزقة .
وان كان الحرق قوياً جدًا ، فليشرب صاحبه ماء حشيشة القزاز (الزجاج) ، اي انه يرضّها ويضع غمرها ماء ويشرب .
او يشرب ماء رماد الطرفة (الطرفاء) .
او يدهن بزوم ماء السلق ، او بالسيراج .
او يمزج السمن مع الخلّ ويدهن به .
او دقّ القرّة وضع لزقة مرهم الكلس .
او ادهن بدهن الورد الخالص .
او خذ من حنّة قُريش التي على الشيارة ، وهي صفراء اللون ، واتفل عليها وحفّ (وحكّ) وادهن .

حرق الماء

خذ زلال بيضة واخفقه بزيت وضعه لزقة .
او حمّص الشعير ، واسحق واخفق في زلال بيضة وزيت وزوم بصل ، وضع لزقة .

تعريف عن الكتب

النظم الدستورية في لبنان والبلاد العربية والعالم

قدم له الدكتور بطرس ديب – بيروت – منشورات عويدات ١٩٦١-٦٢٢ص. حجم كبير

بقلم عبدو عويدات

عنوان هذا الكتاب برنامج. ولا يخالجنا ريب ان المؤلف لا يستطيع ان يعيش بفكره وقلمه وقلبه الا في تلك الأجواء الواسعة التي فيها يشعر بخدمة يؤديها لوطنه وبخدمة يسديها ايضاً للعلم وللدروس الحقوقية التي افتقرت الى الكتب في اللغة العربية تحمل الينا دروساً مقارنة ولغةً صحيحة واعتبارات دقيقة واحكاماً جريئة قاطعة لا تخاف ملامة وقد اسسها المؤلف على علم عميق واختبار واسع.

وما نريد أن نقوله قبل أن نحلل الكتاب في فصوله واجزائه هو أن الوضوح السائد بين طياته لهو وضوح فكر تسلط على درسه وأخذ بناصية تلك الثقافة الواسعة التي تراها في الأسطر كلها وتشعر بها مرفرفة بين الصفحات والكلمات. فكل نقطة وكل رأي يبديه المؤلف يستند إلى براهين عقلية سليمة ويبدو مشبعاً تنقيباً وتمحيصاً.

يعود بنا المؤلف الى اوائل التاريخ فيسير بنا اشواطاً الى ان يصل بنا الى الوقت القائم فلا نحس بتعب ولا بسأم اذ نطلب مزيد معرفة. هذا هو فن الكتابة ان يشوق القارئ الى متابعة السير والى العب المتواصل من معين لا ينضب.

في متقدمة واسعة الارجاء وضع المؤلف الأسس التي عليها بنى مؤلفه. فمن سعة الاطلاع ورحابة الآفاق الى اختبار عميق أمين يسير الرئيس عويدات بين المبادئ الفلسفية فيحللها في صلتها بالحقوق والمجتمع وانسانية الانسان فيرى القارئ من خلالها لا احكاماً تائهة بين العديد من الأمثال ولكن بناءً شاهقاً يتسلقه مع قائد يبين له الطريق ويسانده في السير. فمن المبادئ الى الواقعية ومن الواقعية التي تفهم من خلال المبادئ وعلى ضوئها. هذا ما سنراه في الفصول التي يحلل فيها المؤلف النظم الدستورية.

لم يعالج المؤلف النظام البرلماني البريطاني والنظم الفرنسية والنظام الرئاسي

في اقتضاب وقوة ولم يقابل بين هذا كله الا ليصل بنا عاجلاً الى الدول العربية ونظمها وليُبدي الرأي الصادق فيها والمبضع في يده . واذا ما تكلم على النظم الاميركية فلأنه رأى فيها نظاماً يتساوى وبعض الأنظمة الحديثة في بلاد نالت استقلالها من مدة غير بعيدة . ولذا فينتقل المؤلف بعد ذلك الى النظم الحكومية الحديثة ويدرس القوى الكامنة في تلك الدول والعناصر المكونة للدولة ويتقلب بين قديم وحديث إلى أن يصوّر وضع الكومنولث البريطاني الاخير ومنه الى أن يصف دستور ١٩٥٨ وبعد ذلك ينتقل الى البلاد العربية ولا يأبه لملامة لائم اذ يُبدي في المقارنات احكاماً جريئة وفي البتّ في قيمة بعض الدساتير الجامدة ولا يخشى ان يمدح حيث المدح واجب وبخاصة تلك الدساتير التي تقول باشراك الشعب بالحياة الوطنية وبالأمور ذات الشأن العائدة على البلاد بالخير والتوفيق الى ان يصل الى لبنان فيولي درس نظمه الاهمية الكبرى . ولا عجب في ذلك . فنجد هنا خاصة التاريخ والفلسفة والتحليل القانوني جنباً الى جنب يختلطون في وحدة يقتنع منها القارئ ويستنير بها الطالب .

ولقد اجهد المؤلف نفسه في الانكباب على المصادر ليستخلص منها ما هو اهل للدرس وليُضفي عليها من معلوماته الغزيرة ثوباً جميلاً . اما ما قاله في المرحلة الاولى في تاريخ النظم اللبنانية فمع انه عجالة موفقة ، لا يسعنا الا أن نشكر للمؤلف تلك الصفحات الملأى علماً ودقةً . اما المرحلتان الثانية والثالثة فلقد اودعها خبرة من انحنى على الامور بشغف الشاهد ودرسها بلهفة العامل على حب بلاده ووطنه .

لن نستطيع ان نوفيّ هذا الكتاب حقه من التقريظ ولن نقدر ان نعطي فكرة ولو ضئيلة عن الثروة التي ضمّنها دفتاه واننا لنحثّ القارئ — وإن لم يكن يُعنى بالدروس الحقوقية — ان يطالع هذا الكتاب فيروق الفيلسوف والمؤرخ والاجتماعي والمحامي والقانوني اذ ليس في هذا الكتاب تحليل قوانين ومقارنة شرائع فحسب . فيه توجيه علمي وصوفية حكم .

أ . ع . خ .

الذكرى القرنية الاولى (١٨٦٢—١٩٦٢) لدير مار دوميط فيطرون ومخطوطاته النادرة

مطبعة الكريم (جونيه) — ١٩٦٢ — ٨٦ ص .

بقلم الاب بطرس فهد

تاريخ الأديرة جزء لا يتجزأ من تاريخ لبنان ولقد برهن عن ذلك المؤلف بعد ان سرد قصة تأسيس الدير وما اعتراه من صعوبات وكيف كان ولا يزال

منارة في المنطقة . وبعد ان حوّل المؤلف همّه الى درس المخطوطات القيّمة فقد اعطانا ثبتاً ضافياً وتحليلاً وافياً يهمّ كل من يفتش عن المخلّفات المسيحية وفي درسها ونشرها فائدة لمن اراد وخدمة للغة في تاريخها وتطويرها . واذ نشكر للمؤلف اتحافنا بكتابه هذا نرى من واجبنا ان نردد ما قلناه في اول هذه الكلمات القصيرة ان تاريخ الأديرة جزء من تاريخ لبنان علّ قولنا هذا يحثّ الجميع على تأريخ الأديرة الكبيرة التي هي اكليل الجبل .

ا . ع . خ.

لمحة عن مذهب تحديد النسل وموقف الكنيسة الكاثوليكية منه

مطبعة الكريم (جونيه) – ١٩٦٢ – ٣٧ ص .

بقلم الاب بطرس فهد

ان كتب المؤلف راقنا اسلوبه وان اختصر مؤلفات غربية اخذ منها الكوثر واعطانا خلاصة دسمة تغذّي وتُنبي عمّا في تلك الكتب من معنى وثروة . فلمحته هذه ضافية تظهر لنا مظاهر مختلفة من مشكلة تحديد النسل واعتراضات الكنيسة عليها لتعيدها الى الصواب اي الى الشريعة الطبيعية اولاً وبعد ذلك الى الشريعة الالهية الوضعية والى الشريعة المسيحية : اذ اتى المسيح الاله ليكمّل.

في قراءة هذه اللمحة فائدة وقد عادت المشكلة على بساط البحث مع ما كُتب عنها في هذه الأيام الاخيرة وهي مشكلة تقضّ مضجع كل مسيحي صميم . وعليه ان يفهم اولاً واخراً ان الحل النهائي لمشكلة كهذه لن يكون الا بالنسبة لصليب المسيح .

ع . خ.

غرائب اللهجة المصرية

مطبعة قلفاط (بيروت) – ١٩٦٤ – ١١٢ ص . ، حجم كبير

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

مع المقالات العديدة وبعض الكتب التي نشرها فريق من الشرقيين والمستشرقين في شأن اللغة المصرية العامية ؛ لانجد منهم من قارن مجموع قاموسها بمعجم العربية الفصحى ، لايضاح ما بينها من الشبه والاختلاف ، بالتفصيل والترتيب اللذين يستوجبهما البحث العلمي العميق .

لذلك قد اقدم الاب نخله ، بعون الله تعالى ، على معالجة هذا الموضوع الجديد . مع وعورة مسالكه ، لخدمة علم اللغات . فضلاً عن تلك الغاية ، كان قصده الخاص تمكين آلاف الأدباء الناطقين باللهجة العامية المصرية ، من التبحر في معرفة ما اقتبسته من العربية . مع تحويل لفظه او معناه في الغالب . وما ابتكرته من عشرات الصيغ وآلاف التعابير . وقد اضاف . بصفة تكملة لا مندوحة عنها ، بيان اصل ٢١٢٩ كلمة مختصة بها . وقد اقترضت اكثرها من هذه اللغات : التركية ، الفارسية ، الفرنسية ، الايطالية ، الانجليزية ، اليونانية ، القبطية والسريانية . بعض تلك الكلمات الدخيلة قد زال استعمالها ، وقد ذكرها مع ذلك لتسهيل فهم المطبوعات والمخطوطات القديمة .

اما مثات الكلمات الدخيلة المتنقلة من العربية الى اللهجة المصرية العامية ، فيندر جداً ان يذكرها ، لان القارئ يجدها في كتابه « غرائب اللغة العربية » الذي صدرت طبعته الثانيـــة سنة ١٩٦٠ من المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، وهو يُباع في المكتبة الشرقية بتلك المدينة ، وكذلك غرائب اللهجة« المصرية » و« غرائب اللهجة اللبنانية السورية » الصادر سنة ١٩٦١ . ن.ر.م.

رسائل في اللغة

مطبعة الارشاد (بغداد) – كلية الآداب – ١٩٦٤ – ١٧٦ ص.

الأعلام العربية

دراسة لغوية اجتماعية – مطبعة أسعد (بغداد) – كلية الآداب – ١٩٦٤ – ٩٣ ص.

بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي

اجتهد المؤلف في تقديم هذين الكتابين لخدمة لغة الضاد في ان يتحف القرّاء بنصوص قيّمة . ففي الاول من هذين المؤلفين اربع رسائل في اللغة حقّقها وعلّق عليها واعطاها الفهارس الوافية لتكون بين أيدي المنقّبين وسيلة تسهّل عليهم الوصول الى مرادهم . ولقد قضى الناشر الوقت الطويل في جمع ما جمع من الحواشي مطّلعاً على ما كتب في الموضوع نفسه وما ذلك الا ليضع المؤلفات المنشورة في بيئة وجو يُعطيانها معنى اوسع وفائدة كبرى . وعلينا ايضاً ان نُثني على المؤلف اذ وضع مقدمات ضمّنها ما يعرفه عن حياة مؤلفي الرسائل وعن تعدد المخطوطات .

اما المؤلف الثاني وهو جديد في العربية الحديثة فان الكاتب احب ان يخدم

درس تطوير اللغات وخاصة اللهجات المختلفة منها فجمع أسماء أعلام وبين صحتها واصلها واستعمالها في الطوائف المختلفة وتداولها . فكان لكتابه هذا مع كل ما فيه من نقص ان ينبّه من تهمهم هذه الدروس الى العمل اكثر فاكثر للوصول إلى تبيين الأثر الذى تأثرت به كلمات ولغات . وهذا ، على ما اعتقد، الهدف الذي اليه يصبو كل لغوي امين .

واذا ما اخذنا على المؤلف شيئاً فهي لغته الفرنسية اذ كان من الاصلح ان لا ينشر الكلمة الصغيرة التي نشر دون تمحيصها وتصديقها . وما هذا الا نقص يسير .

ا. ع. خ.

في الربوع الاندلسية

وزارة الثقافة والارشاد القومي (حلب) – ١٩٦٣ – ١٢٠ ص .

بقلم سامي الكيالي

الربوع الاسبانية وخاصة الاندلسية غنية بذكريات وآثار اسلامية منها نقش في الحجر ، ومنها يظل في البناء ومنها خطّ في مخطوطات اكثرها لا يزال دفيناً. وكلما تقلّبت بين جوانح تلك البلاد عثرت على أثر يُنبيك ان الحضارة الاسلامية حطّت فيها رحالها . فهذا ما يخبرنا اياه المؤلف مع غصّة وحسرة لمجد زال ولعظمة فُقدت . فترافقه وتتبع معه خطوط بلاد تشبه البلاد الشرقية بجبالها ووهادها وجوّها وسمائها وتشبهها بعقلية سكانها . وعند آخر المطاف تنفث وقد اخذتك الدهشة : جمال يتكدّس ويبقى للاجيال الطالعة ذكرى صافية .

اما الاسلوب القصصي السّهل الذي استعمله المؤلف فهو ما يطابق هذه الرحلة فتقرأ بلا عيّ ولا تعب وتصل الى آخر الكتاب وكأنك تبدأ الرحلة . فنهنئ المؤلف على كتابه هذا .

ا. ع. خ.

خمر وشعر

دار الرائد (حلب) – ١٩٦٣ – ١٨٣ ص .

بقلم سامي الكيالي

وكأني بالشعراء لا يستلهمون الا الخمر والمرأة . وكثر عدد اولئك الذين تغنّوا بالخمرة وفيها وجدوا لا صفاء الفكر ولكن صفاء عالم الاحلام الغير الوضعي ليعيشوا فيه فترة من الزمن تحميهم من مشاكل الحياة وصعوباتها .

ولقد جمع الناشر هنا العدد العديد من الأشعار ومن الشعراء وكل منهم على طريق في ابراز الفكرة وكلّهم يلتقون في استعمال الخمرة واسطة لعبور الواقع إلى اللاواقعي. ولقد اجادوا كلهم إذ اختصروا في اجواء غريبة تؤمّن لهم صحب الحبيبة لا غير فمنهم من انغمس في التهتك ومنهم من عفّت نفسه عن الاغراآت.

ولكن شعراء غير هؤلاء وجدوا القريحة السيّالة والالهام الصافي في مواضيع ارفع وفي افكار أسمى. ولم يتعاطوا ما تعاطاه اولئك. أهذا خير للشعر او خلاله الشعر وامده البعيد؟ ا. ع. خ.

الروائع الدفينة للشاعر الزجلي الموهوب أبي علي حنينه البكاسيني

بيروت – ١٩٦٢ – ١٥ ص.

بقلم جرجي ابراهيم نصر

يطيب للانسان في اويقات عابرة ان يعود الى الشعر الزجلي فيرتاح الى نفس صادقة تقول ما فيها من حنان وعطف او لذع بريء صادق. ولقد وفّق الناشر في ما عمله هنا فاعطانا صفحات كانت دفينة لولا همته في ابرازها وجعلها في التداول. والناشر معروف بحرصه على نشر ما دُفن من اثاره بلدته الثرية. فأهلاً به. ا. ع. خ.

خواطر وذكريات للمغفور له المعلم جاد الله حنينه

بيروت – ١٩٦٣ – ١٤ ص.

بقلم جرجي نصر

هذه ايضاً من بقايا الزوايا سحبتها يد الناشر واتحفتنا بها لنرى كمال ما كان يتحلّى به رجالاتنا في لبنان وهم للمعاصرين قدوة ونبراسا. فالذكريات التاريخية التي نجدها هنا تعبر عن زمن نحن بحاجة الى زيادة معلومات كهذه لنفهمه والوقوف على احواله. ا. ع. خ.

لبنان في روائع اقلامه

المطبعة الكاثوليكية (بيروت) – ١٩٦٤ – ٥١٣ ص. – حجم كبير

بقلم الدكتور جميل جبر

جامع هذه الروائع الدكتور جميل جبر ؛ في خصب انتاج خيّر يتحفنا

اليوم بهذا الكتاب وقد وفّق الى اختيار الكتّاب اللبنانيين ومن اقلامهم النفثات الحلوة في وطنهم لبنان . فنرى المسيحي تلوّ المسلم والمسلم تلوّ المسيحي يتغنون بجمال لبنان وثقافة لبنان وعقلية اللبنانيين الثريّة . وفي هذه الصفحات الطويلة تاريخ يستطيع مؤرخ المجتمعات ان يستخلص منها دروساً شيّقة عن الثقافة والشعر : عن العوائد والحياة العادية . عن الافراح والايام السود الخ . وفي هذا قيمة هذه المنتخبات . ونحن على أمل ان الدكتور جبر قد يكمّل في سلسلة ثانية ما بدأه هنا فيتحفنا بمختارات خطتها يد لبنانية لا تقلّ عن الذين ذكرهم هنا مقدرةً وغراماً بوطنهم . وربما جرّب فاتحفنا ايضاً بما كتبه اولئك الذين من سائر اقطار البلاد العربية أمّوا لبنان فوجدوا فيه الضيافة والصحّة والحريّة والمحبة الحقيقية . — يطلب من المكتبة الشرقية — ساحة النجمة . بيروت .

ا . ع . خ .

فراغ

بيروت — ١٩٦١ — حجم صغير — ١٣٢ ص .

بقلم اميل ابي نادر

لا قصة ولا رواية ولكن اراد المؤلف ان يحلّل نفسانية شاب من ترعرعه الى ان شرب من الحياة كأسها حتى الثمالة بين صدق وكذب بين نجاح وانكسار . وفي هذا التحليل درس نجح فيه المؤلف وكان مراده في كل ذلك ان يُظهر فراغ نفس لا تملؤها المآكل الارضية ولن يشبعها نهم الغرائز والشهوات فتظلّ فارغة تمرّ من اختبار حياة الى آخر وهي تروم العبور الى آخر وفي كل ذلك تشعر بسأم وضجر ولقد صنع الله ذلك الشاب ليرتوي من مياه حياة ويأكل المآكل التي تغذّي القلوب وتقوّيها في المسير بين طيّات الزمن ووعر الطريق .

نتمنى على المؤلف ان يتحفنا بدروس من قلمه يغوص فيها في النفس وفي نزعاتها ويبيّن لعصر تكاثرت فيه المادية وسيطرت فيه الالوان المغرية ان الاخلاق لم ولن تتبدل في خلقها فهي لله . ولربما طغت المادة وتحكمت برقاب العباد وذبح لها الناس ما عندهم من الغوالي الى ان يشعروا بانهم خسروا نفوسهم فيعودون الى التفكير والصمود فيسيطرون مجدداً على المادة وتعود هذه الى ما يجب ان تكون : آلة في خدمة الانسان لا إلهة تُعبد .

ا . ع . خ .

ادباء بغداديون في الاندلس

منشورات مكتبة النهضة (بغداد) – ١٩٦٣ – ٥١ ص. – بمناسبة احتفالات بغداد – الكنيدي

وصف الأندلس في معجم البلدان

مطبعة المعاني (بغداد) – القسم الاول – مستل من مجلة الجمعية الجغرافية العراقية – العدد الثاني – ١٩٦٤ – ١٨ ص.

رثاء هر بين شاعر بغدادي ودمشقي

مستل من مجلة التراث الشعبي – العدد السابع – السنة الاولى – ١٩٦٤ – بغداد – مطبعة المعارف – ١٤ ص.

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

للمؤلف جولات موفّقة في الادب الاندلسي وهو يدرس هذا الأدب في كلية الآداب في جامعة بغداد ولا غروّ اذا اتحفنا اليوم بهذه الدروس. فتطرّق في الاول الى احياء ذكرى بعض الادباء البغداديين الذين عاشوا في الاندلس او اقتبسوا منها. فاكتفى المؤلف هنا بثلاثة منها وعرض على القارئ حياتهم ومؤلفاتهم وتأثيرهم على المجتمع الاندلسي فنجح بما اراد. لكنه ارجأ الى درس آخر يشبع فيه هؤلاء الثلاثة وغيرهم من الادباء البغداديين الذين امّوا الاندلس درساً وتمحيصاً وتحليلاً. ونحن نودّ لو اعطانا في هذا المقال شيئاً من مؤلفات من ذكرهم لكنّا معه نقدّر ونمدح ولا نظل فقط بين تقريظ يقوله المؤلف فنتقبل به. والقارئ يستعطي مرات قبساً من النور الذي يعرضه المؤلف فيبهره النور ولا يتوصل الى تقديره حق قدره لأنه لم يتوصل بمساندة المؤلف الى اقتباس الشيء اليسير الذي يقوده الى الحكم الكثير. انما طريقة المؤلف في العودة الى المصادر ففيها علم واتقان.

اما في مقاله الثاني فيسير المؤلف السير الواعي في تحليل حياة ياقوت ومعجمه ويدرس تأثير العلماء الذين استقى منهم المعجم وفي هذا شيء من الدقة والتدقيق ما يميز الدروس التي نحن بصددها. ولكننا لا نجد بعد في ذكر المصادر الا الكثرة الكثيرة لا يترك لنا فيها المجال كي نرى ما اخذ منها وما جدّده بالدرس والتمحيص والمقابلة. انما لا نريد بهذا ان نقلّل من قيمة هذا المقال وبما فيه من جودة تعبير ومنطق وخضوع للطريقة العلمية. اردنا ان نلفت نظر المؤلف الى ما هو تائق اليـه في دروسه: اطلاع القارئ بصورة وافية كافية على ما حوته بطون الكتب او المخطوطات من ثروات تجادل عليها الأدباء او ما زالت دفينة.

يتصف المقال الثالث بما اتصف به المقالان الاولان: سعة اطّلاع

على المصادر وروح تنقيب ودقة في التمحيص . حسناً فعل المؤلف في جمع اشعار تصف الحيوان الأليف ولقد غابت هذه الاشعار وغاب الادباء الذين يحسنون هذه التصاوير الجميلة المريحة والتي فيها يجد القارئ شيئاً من حياته اليومية مع الحيوانات التي يعتاد على رفقتها وفيها من الامانة والالفة الكثير مما يرتاح اليه . على المؤلف يكتشف في زوايا خزائن الأدب اموراً عديدة دفينة يبرزها الى عالم النور فيؤدي بذلك خدمة صافية للعلم والادب .

نتمنى على المؤلف أن يواصل سعيه في التأليف وأن يكون دوماً في صرح الادب والعلم اميناً للحقيقة وصراحة الفكر . ا.ع. خ.

ظلال السنديان

مطبعة سليم (بيروت) – ١٩٦٢ – ١٧٤ ص.

بقلم حارث فرحات

في هذا الكتاب قصص عديدة تجمعها روح لبنانية واضحة المعالم . فيقص علينا المؤلف بعض العادات التي عاشها ويعود بنا الى بعض الذكريات التي تراوده وإذا بنا بين دفتي الكتاب في قرية من قرى لبنان نعيش مع القرويين حارسي التراث الجدي ورافعي لواء المحافظة على ايمان وعادات الجدود . انما بين هذا السهر نرى ما نراه عند المؤلف من التدقيق في تحليل بعض المواقف والحالات وقد اجاد مرات في هذا التحليل الذي وان كان كلامياً ففيه درس نفساني عميق يتوارى بين السطور . فهنيئاً للمؤلف بكتابه هذا . وعليه ان يتحفنا بغيره من نفثات قلمه وقلبه .

ا. ع. ح.

الآثار المطوية

الجزء الثاني – بيروت – المطبعة الكاثوليكية – ١٩٦٤ – ٣٥٤ ص. –حجم كبير

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

من طالع مقالات الاب شبلي عشق لغة الضاد وهو فيها منكّر ولغوي وناشر تراث الماضي بطريقة تقرّبه من المطالع وتسهّل عليه تفهمه .

كان المؤلف قد نشر في الجزء الاول من الآثار المطوية (الذي ظهر في المشرق تباعاً) نصوصاً لاقت الاستحسان الكلّي . وهي نادرة الوجود وقد

أحاطها باطار يسهّل فهمها . وها هو الآن يزيد على ما مضى من مجموعاته التي لا ينضب معينها نصوصاً شيقة ادبية وتاريخية يطلع القارئ بواسطتها على امور وامور لم يكن يعرفها فيدخل في روح عصر ويتثبت من حوادث كان غاب عنه فهمها . واذا بالمؤلف يحييها باعطائه اياها بيئة قيلت فيها ومقارنة بعض الحوادث المعاصرة وزيادة ايضاحات . وكل ذلك يحمل القارئ الى الاستزادة من المعلومات بينا هو ينتقل من موضوع الى آخر دون أن يشعر بالملل ولا بالسأم .

ولذا فيبدو لنا المؤلف وكأنه دائرة معارف تاريخية حية وهذا ما يجعل من قرآة مؤلفات الاب شبلي قراءة شبيهة في اسلوبها باليازجي ابراهيم وبأفكارها بالافكار الحديثة وبطريقة نشرها بالطرق القائمة اليوم .

لا نستطيع ان نسرد هنا فهارس هذا الكتاب الثريّ والمتنوّع المواضيع اذ ينتقل من التاريخ الحديث الى الأدب الى بعض الرسائل التي صدرت عن الجزار وغيره من الحكام الخ... انما نحث الكثيرين على قراءته والإفادة منه.

ا. ع. خ.

عشر سنين في شاطئ العاج ١٩٥٤ — ١٩٦٤

بيروت — ١١٩ ص.

بقلم الاب نعمة الله خوري اللبناني

ملحمة لبنان المغترب حامل رسالة الى العالم وحريص على حفظ التراث الذي اورثه اياه الجدود . يبني ويعلم ويتاجر ويعطي امثولة الاندفاع والاقدام والمثابرة الطويلة في اعماله : أياً كانت فيكتب صفحة مجيدة في تاريخ العالم . وهذا الكتاب يرفع الستار عن بعض حوادث هذه الملحمة العظيمة التي عاشها المؤلف في شاطئ العاج . ففي كل كلمة روح وعاطفة وحنين وبين السطور حياة راهب احب ربه فقدم نفسه لاخوته بين البشر وخدمهم بصفاء وثبات ومحبة . وقراءة هذا الكتاب تُعطي القارئ مقدار التفاني والتضحية في سبيل هدف عالٍ .

ا. ع. خ.

تاريخ العمل

ترجمة فانزكم نقش : مراجعة انطون المقدسي — وزارة الثقافة والارشاد القومي — مطبعة الجمهورية — دمشق — بدون سنة الطبع — ٢٣١ ص.

بقلم فرانسوا باريت

بدقة المؤرخ ونظر الاجتماعي الثاقب يسير المؤلف في تأريخ العمل من عصر الاداة حيث «كان السكان الزراعيون يقدرون بثمانين بالمائة من مجموع السكان»

الى عصر الآلة حيث انخفض ذلك العدد « واصبح العمال والزراع متعادلين في الوقت الحاضر تقريباً » . فاخذ على عاتقه ان يدرس في الجزء الاول في ستة فصول العبودية البدائية كي ينتقل بعد ذلك الى العمل الزراعي فالعمل اليدوي والجمعيات الحرفية وبعد ذلك الى تطور الجمعيات الحرفية وتطور وضع الشغيلة وعلاقات العمل برأس العمل . كل هذه الفصول تتتالى بقوة ورشاقة وثروة معلومات شيقة واراء فلسفية تلقى على كل هذه الصفحات نوراً للتأويل .

اما الجزء الثاني فينحني على عصر الآلة ويتطور تفكير المؤلف في سبعة فصول من تكوين الظروف الخارجية للعمل الحديث الى الشروط المادية للعمل الحديث الى العواقب الاجتماعية والسياسية لعلاقات رأس المال والعمل من عام ١٧٩١ الى عام ١٨٨٤ . وينتقل بعد ذلك الى تنظيم الحركة العمالية من عام ١٨٨٤ الى ايامنا فالى تطور الحركة العمالية في البلاد الاجنبية فالى النظريات السياسية والاقتصادية وتنظيم العمل واخيراً الى بعث النقابة الفرنسية بعد التحرير. ان هذا الجزء يحمل بين صفحاته معلومات قيمة ثابتة فيدخل المؤلف الى عقلية تطور الحالات والاحداث ويستخلص منها نتائج مهمة يستطيع انسان اليوم — اذا ما ألقى نظرة على الماضي — ان يتتبع الخطوات الجبارة التي اوصلته الى حياته اليوم .

وفي الخاتمة يعمل المؤلف على تبيان ما صارت اليه اليد العاملة في حقل الزراعة والعمل مظهراً كيف ان الآلة تقوم مقام العامل الزراعي والصناعي وكيف نصير كلنا في عصر التكنية الى اكتشافات يعظم عددها فتعظم مسؤولية الانسان في توجيه الكون . ا. ع. خ.

نقد وتعريف

الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م — مطبعة المعارف (بغداد) — ٢٥٥ ص.

بقلم عبدالله الجبوري

النقد والتعريف يتطلبان ثقافة واسعة وحكمة أمينة في البتّ في قيمة قصيدة او كتاب . ولقد برهن المؤلف في كثير من صفحات هذا الكتاب عن التفتيش عما يعيد الشعر الذي يدرسه الى بيئة والى مقارنته مع غيره من الشعر . انما عليه ايضاً ان يوسع آفاقه الأدبية ويجعل من نقده المنتظم درساً وافياً صالحاً لأن يساعد القارئ على التبحر في موضوع ما يعرضه المؤلف عليه .

ولقد برهن صاحب هذا الكتاب عن تنوّع في الأسلوب اذ اهتمامه كان الى مختلف وجوه الادب من شعر ومسرحيات ومحاضرات . ولذا فكتابه هذا ليُنبي عن مقدرة ستكون في المستقبل وسيلة للوصول إلى دروس وتحاليل ترضي بالثقافة المطوية عليها وبالآفاق الواسعة الارجاء وبالاحكام الصائبة .

ا . ع . خ.

اشباح وظلال

مطبعة المعارف (بغداد) – ١٩٦٢ – ١٧٥ ص.

بقلم عبدالله الجبوري

حماس واندفاع وصخب في القول والتعبير . لا يروم الا الهدم وسماع الصوت عالياً مدوياً . في صدره امل وفي فكره نية في ان يعبّر عمّا يختلج قلبه من تنكر لكل ما يضايق تفتح شخصيته وشخصية ابناء جلدته . وعند قراءة هذه المجموعة يشعر القارئ بنبضات تحسّسها في سني شبابه ورأى من خلالها عواطف وتأثرات كان شعر بها عندما كانت الحمية تدفع به الى الامام غير آبه لملامة او لظلم . انما سن الشباب يزول وتحتلّ الحكمة والاتزان محله وتصير تلك الحمية قوة اقناع لا قوة هوس فحسب . ونتمنى على الشاعر ان يتابع سيره في الانتاج ان هو الا ناجح في مسعاه . ا . ع . خ.

روائع من الشعر الفارسي

ترجمه محمد الفراتي – المطبعة الهاشمية (دمشق) – ١٩٦٤ – ٣٢٢ ص.

شاعر يتكلم على شعراء وفيه ما فيهم من قريحة وسبك حسن وعواطف نبيلة واحساسات قوية ومخيلة طافحة . شاعر قدّم للشعراء الفارسيين الثلاثة الذين يتحفنا بشيء من شعرهم . جلال الدين الرومي ؛ سعدي الشيرازي ؛ حافظ الشيرازي ؛ بكلمة وجيزة واعطى الترجمة قالباً سوياً وتنقّل بين القوافي الصائبة ، على قدر الامكان . وإنه لمن الصعوبة بمكان ان يتوصل مترجم الى ترجمة شعرية لو لم يكن له من المقدرة ما يؤهله الى ذلك . وفي ترجمة الفراتي ثروة كلامية واحساسية تحملنا على القول ، لو لم نعلم ذلك ، انه عاش بين قصائد المؤلفين الثلاثة وعاد فاعطاها قالباً عربياً منه ومن يضوجه . واظن ان هذه الترجمات لتساعد الثقافة الشاملة العامة باحسن ما في الشعوب من روائع وكنوز .

ا . ع . خ.

مسرح عربي قديم : كراكوز

وزارة الثقافة والارشاد القومي – مطبعة المفيد الجديدة (دمشق) – ١٩٦٤ – ٢٤٠ ص.

بقلم عادل ابو شنب

تعوّد القارئ ان يطالع ما يقدّمه له المؤلفون من شعراء ومؤرّخين وكتّاب دون ان يفقه أن هناك نوعاً شعبياً من التأليف فيه تتجسّم روح الشعب بكل ما فيها من قوة بدائية وصلة بالارض وما ترمز اليه من «التبذل وخلع العذار ودغدغة نزعة النذالة الكامنة في كل انسان» (ص ج) وفي الوقت نفسه من بديهية وصدق . ولقد احيا المؤلف في كتابه هذا نوعاً من المسرحية العربية القديمة وقد كان يأخذنا العجب عندما نسمع ان العرب لم يأبهوا لهذا الفن وهو أصل لما سيصل اليه المسرحيون في جيلنا هذا .

وهذا الفن قد توسّع وازدهر في الغرب في القرون الوسطى وهو التعبير الصادق عن عقلية زمن وايّ شعب وُجد في المعمور ليقوم بتصوير ادوار يعيشها فيها من الهزء والتهكم وفيها أيضاً من الفصول الحياتية التي تحمل بين طياتها اكثر مما تختلقه المخيّلة من اسباب الفرح والضحك والهزل . وكم من المثقفين والمثريين الذين يظنون انفسهم اعلى من ان يتنازلوا الى حضيض الشعب هم ايضاً شعب عندما تفلت الاهواء ويعودون الى صدق مراسهم وقوّة البديهة فتتجلّى فيهم النادرة الحلوة والتصوير الصادق لمواقف الحياة في سيرها بين طيب ومنجم وواعظ ومشعوذ الى ما هنالك من ضروب الوظائف .

ولقد ازدهر ذلك الفن الشعبي في العصر العثماني حيث الظلم والعبودية . وما كان يفرّج من كربة شعب الا اللجوء الى هذا الفن فيه يضع الافراد تشابيه وتصاوير تعطي الشعب والجمهور لذة وفكاهة فيها ينسى ما يحتمله من تعسف حاكم وظلم سيد وقد اسموه «خيال الظل» .

واننا لنشكر للمؤلف كتابه هذا اذ في الأدب الشعبي : مع كل ما يعتريه من بذاءة لسان وضعف حجة وهزال : نبضة حية وتصوير امين لحالة اجتماعية معينة في عصر مضى.

ا. ع. خ.

تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب – الجزء الرابع – القسم الثاني

حققه الدكتور مصطفى جواد – وزارة الثقافة والارشاد القومي (دمشق) – المطبعة الهاشمية – ١٩٦٣ – من الصفحة ٦٤٧ الى الصفحة ١٢٣٠ – حجم كبير.

بقلم ابن الفوطي

هذا هو الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب فيه

تتمة كتاب العين وكتاب الغين . لم تصلنا منه الاجزاء الثلاثة الأولى .

هوذا نوع تفرد به باكرًا المؤلفون العرب وهو السهر على حفظ اسماء ادباء او اسماء شخصيات الدنيا اشتهرت بادبها او بشعرها او بحنكتها السياسية . وان في هذا النوع من التأريخ السريع لفائدة ينتفع بها القارئ اذ انه يتعرّف الى اسماء لم يكن له بها علم ويستطيع أن يُعطي لبعض الدروس العلمية التاريخية حلقات ضائعة .

ولقد قام الناشر بعمل مفيد واحاط ببعض الحواشي ما غمض في النص واظهر نشرته بحلة واضحة مشرقة . ا. ع. خ.